جواهر الأدب

يشتمل على مختارات نفيسة من المنظو[illegible]
لمشاهير الشعراء وبلغاء الكتّاب

الجزء الثاني

جمع بعناية

سليم إبراهيم صادر

طبعة سابعة منقحة

بيروت

مكتبة صادر

المقدمة

صادف الجزء الاول من اجزاء جواهر الادب عند ارباب المشرق والمغرب العلم والادب اقبالاً لم يكن في الحسبان حتى لجوا علينا في طبع سائر الاجزاء بوجه السرعة فلم نتخلف عن تحقيق رغبتهم خدمة للناشئة العربية التي عليها معوَّل نجاح الامة في هذا العصر واقدمنا على العمل باوفر نشاطاً واكثر اعتناء حتى نضع هذا الكتاب على نسق ابدع واسلوب انفع

ولعل ابناء الوطن يقدرون ما عانيناه في هذا السبيل حق قدره فيقبلوا على هذا المؤلف كما اقبلوا على شقيقه من قبله وهو جلّ ما نرجوه من غيرتهم الادبية وحسبنا بذلك تنشيطاً الى متابعة الاهتمام باتمام هذه السلسلة العلمية التي تضم بين دفتيها تلك الفرائد اليتيمة التي نثرتها اقلام الأئمة الاعلام المعروفين بعلو كعبهم في عالم التحرير والتحبير والترصيف والتنميق . اما مزية هذا الكتاب على اخيه السابق فهي ابين من ان توصف فان الطالب يشعر من نفسه انه انتقل الى كتاب اعلى طبقة واسمى موضوعاً واوسع ابواباً وابلغ تعبيراً واجزل تركيباً وادقّ معنى واسلس مبنى واغزر مادة . ولا يخفى ما وراء ذلك من جليل المقاصد وغزير المنافع . وان في هذه الطريقة من وفرة التعب واجهاد الفكرة في ميدان البحث والتنقيب والتحري والتدقيق ما يشعر به كل من عانى مشقات الجمع والتأليف وقاسى انصاب الاختيار والتصنيف . سدّدنا الله الى مناحي الرشد ووقانا مهاوي الخطإ ومظان الزلل

سليم صادر

وَجاءَ فِي ٱلحَدِيثِ : لَيسَ ٱلأَعمى مَنْ عَمِيَ بَصَرُهُ وَلٰكِنَّ ٱلأَعمى مَنْ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ

وَقالَ ٱبْنُ عَبّاسٍ لَمّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ ٱللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا   فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيرُ ذِي دَخَلٍ [1]   وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَٱلسَّيْفِ مَشْهُورُ

وَقالَ آخَرُ :

ٱلعَقْلُ حُلَّةُ فَخْرٍ مَنْ تَسَرْبَلَهَا   كَانَتْ لَهُ نَسَباً تُغْنِي عَنِ ٱلنَّسَبِ

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى سُلَيمانَ بْنِ عَبْدِ ٱلمَلِكِ فَتَكَلَّمَ عِنْدَهُ بِكَلامٍ أَعْجَبَ سُلَيمانَ . فَأَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَهُ لِيَنْظُرَ أَعَقْلُهُ عَلى قَدْرِ كَلامِهِ أَمْ لا . فَوَجَدَهُ مَضْعُوفاً [2] فَقالَ : فَضْلُ ٱلعَقْلِ عَلَى ٱلمَنْطِقِ حِكْمَةٌ وَفَضْلُ ٱلمَنْطِقِ عَلَى ٱلعَقْلِ هُجْنَةٌ [3] وَخَيرُ ٱلأُمورِ مَا صَدَّقَ بَعْضُها بَعْضاً وَأَنْشَدَ :

وَمَا ٱلمَرْءُ إِلّا ٱلأَصْغَرانِ [4] فُؤادُهُ   وَمِقْوَلُهُ وَٱلجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هٰذَا ٱلمَعْنَى قَوْلُ زُهَيرٍ :

لِسَانُ ٱلفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤادُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إِلّا صُورَةُ ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ

---

(١) الدخل ما داخلك من فساد في العقل او الجسم (٢) اي وجد عقله اضعف من كلامه (٣) عيب وقبح (٤) القلب واللسان

اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِي شَرَفِ ٱلْعِلْمِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلْعِلْمُ أَجْمَلُ حِلْيَةٍ وَأَفْضَلُ قُنْيَةٍ [١] وَٱلْجَهْلُ مَطِيَّةُ [٢] سُوءٍ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ وَمَنْ صَحِبَهَا ضَلَّ . وَمِنَ ٱلذُّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي ٱلضَّلَالِ

وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِبَنِيهِ : تَعَلَّمُوا ٱلْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَوْسَاطًا سُدْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً [٣] عِشْتُمْ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : تَعَلَّمِ ٱلْعِلْمَ فَإِنَّهُ يُقَوِّمُكَ وَيُسَدِّدُكَ [٤] صَغِيرًا وَيُقَدِّمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا ، وَيُصْلِحُ زَيْغَكَ [٥] وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ ، وَيُقَوِّمُ عِوَجَكَ وَمَيْلَكَ وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وَأَمَلَكَ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : لَيْسَ يَجْهَلُ فَضْلَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا أَهْلُ ٱلْجَهْلِ ، لِأَنَّ فَضْلَ ٱلْعِلْمِ إِنَّمَا يُعْرَفُ بِٱلْعِلْمِ ، وَهٰذَا أَبْلَغُ مِنْ فَضْلِهِ لِأَنَّ فَضْلَهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ . فَلَمَّا عَدِمَ ٱلْجُهَّالُ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي بِهِ

---

(١) مكتسب (٢) المطية دابة تمطو في سيرها اي تسرع (٣) السوقة لرعية من الناس اي العامة الذين عليهم راعٍ (٤) يرشدك الى السداد اي صواب (٥) الزيغ الميل عن الحق

ِلمون إلى فضل العلم ، جهلوا فضله واسترذلوا اهله ، وتوهموا
ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة والطرف[1]
شتهاة أولى أن يكون إقبالهم عليه وأحرى أن يكون
شتغالهم به

قال الشاعر :

عاب التعلم قوم لا عقول لهم
وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقال حكيم : العلم عصمة[2] الملوك لأنه يمنعهم من الظلم
يردهم إلى الحلم ويصدهم عن الأذية ويعطفهم على الرعية

قيل للخليل بن أحمد : العلم أفضل أم المال . قال : العلم .
قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك . قال ذلك
معرفة العلماء بحق الملوك وجهل الملوك بحق العلماء

---

(١) جمع الطرفة وهي الملحة والغريب المستحسن المعجب (٢) عصمة وقاية

ٱلفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

في الحَضِّ عَلَى العِلمِ

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بنُ عَبَّاسٍ : مَنْهُومَانِ[1] لا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ مَالٍ

وَقَالَ أَدِيبٌ : عَلَيْكَ بِٱلعِلْمِ وَٱلإِكْثَارِ مِنْهُ فَإِنَّ قَلِيلَهُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِقَلِيلِ ٱلْخَيْرِ وَكَثِيرَهُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِكَثِيرِهِ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلمُعْتَزِّ : مَا مَاتَ مَنْ أَحْيَا ٱلعُلُومَ

وَقَالَ ٱلإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ :

تَعَلَّمْ يَا فَتَى وَٱلعُودُ رَطْبٌ ... وَطِينُكَ لَيِّنٌ وَٱلطَّبْعُ قَابِلْ

فَإِنَّ ٱلجَهْلَ وَاضِعُ كُلِّ عَالٍ ... وَإِنَّ ٱلعِلْمَ رَافِعُ كُلِّ خَامِلْ

فَحَسْبُكَ يَا فَتَى شَرَفاً وَعِزّاً ... سُكُوتُ ٱلحَاضِرِينَ وَأَنْتَ قَائِلْ

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلنَّحْوِيُّ :

أَخُو ٱلعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ ... وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ رَمِيمُ[2]

وَذُو ٱلجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ مَاشٍ عَلَى ٱلثَّرَى[3] ... يُعَدُّ مِنَ ٱلأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمُ

---

(١) شرهان (٢) الرميم البالي من العظام (٣) التراب الندي

ٱلفَصْلُ ٱلرَّابِعُ

فِي فُنُونِ ٱلعِلْمِ وَٱلحِرْصِ عَلَى ٱلإسْتِكْثَارِ مِنْهُ

قَالَ بَعْضُ ٱلحُكَمَاءِ : ٱقْصِدْ مِنْ أَصْنَافِ ٱلْعِلْمِ إِلَى مَا هُوَ سهى لِنَفْسِكَ وَأَخَفُّ عَلَى قَلْبِكَ . فَإِنَّ نَفَاذَكَ فِيهِ عَلَى حَسَبِ شَهْوَتِكَ لَهُ وَسُهُولَتِهِ عَلَيْكَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ : ٱلْعِلْمُ لَا يُسْبَرُ[1] غَوْرُهُ[2] وَلَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَلَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ وَلَا تُسْتَقْصَى[3] أُصُولُهُ ، وَلَا تُضْبَطُ أَجْزَاؤُهُ ، وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ . فَٱبْدَأْ بِٱلْأَهَمِّ فَٱلْأَهَمِّ وَٱلْأَوْكَدِ فَٱلْأَوْكَدِ[4] وَبِٱلْفَرْضِ قَبْلَ ٱلنَّفْلِ[5] يَكُنْ ذَٰلِكَ عَدْلًا قَصْدًا[6] وَمَذْهَبًا جَمِيلًا

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ ٱلأُدَبَاءِ : لَسْتُ أَطْلُبُ ٱلْعِلْمَ طَمَعاً فِي غَايَتِهِ وَٱلْوُقُوفِ عَلَى نِهَايَتِهِ وَلٰكِنِ ٱلْتِمَاسَ مَا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : مَنْ ظَنَّ أَنَّ لِلْعِلْمِ غَايَةً فَقَدْ بَخَسَهُ حَقَّهُ[7] وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَنْزِلَتِهِ

---

(١) يمتحن (٢) عمقه (٣) استقصى الشيء بلغ غايته (٤) الاقوى والاثبت (٥) النفل ما تفعله مما لا يجب (٦) العدل الاعتدال والقصد المستقيم (٧) ظلمه

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِابْنِهِ : عَلَيْكَ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ عَدُوٌّ مَا جَهِلَ . وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوًّا لِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ وَأَنْشَدَ :

تَفَنَّنْ وَخُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا ... يَفُوقُ امْرُؤٌ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمُ

فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ ... بِهِ وَلِعِلْمٍ أَنْتَ تُتْقِنُهُ سِلْمُ

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ : الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْوَى فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

وَقَالَ آخَرُ : كُلُّ إِنَاءٍ يُفْرَغُ فِيهِ شَيْءٌ يَضِيقُ إِلَّا الْقَلْبَ ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا أُفْرِغَ فِيهِ عِلْمٌ اتَّسَعَ . وَقِيلَ : لَا تَخُضْ فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ ازْدِحَامَ الْعِلْمِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ

وَقَالَ أَنُو شِرْوَانُ : قَلْبُ الْعَالِمِ كَبَيْتٍ فِيهِ مِصْبَاحٌ لَا يَضِيقُ مِنْ تَظَاهُرِ النُّورِ فِيهِ بَلْ يَتَّسِعُ لِلنَّظَرِ وَيَزِيدُ فِي الضِّيَاءِ

وَقِيلَ : الشَّرَهُ فِي الْمَالِ دَنَاءَةٌ وَفِي الْعِلْمِ نَبَاهَةٌ

اَلْفَصْلُ اَلْخَامِسُ

فِي إِجْلَالِ اَلْعُلَمَاءِ

قَالَ بَعْضُ اَلْأُدَبَاءِ : لِيَعْرِفِ اَلْمُتَعَلِّمُ لِأُسْتَاذِهِ فَضْلَ عِلْمِهِ ، وَلْيَشْكُرْ لَهُ جَمِيلَ فِعْلِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا يَعْرِفُ فَضْلَ اَلْعِلْمِ إِلَّا أَهْلُ اَلْفَضْلِ

وَقَالَ أَحَدُ اَلْفُضَلَاءِ : اَحْذَرِ اَلْبَسْطَ [1] عَلَى مَنْ يُعَلِّمُكَ وَإِنْ آنَسَكَ ، وَتَجَنَّبِ اَلْإِدْلَالَ [2] عَلَيْهِ وَإِنْ تَقَدَّمَتْ صُحْبَتُهُ . وَلَا تُظْهِرْ لَهُ اَلِاسْتِكْفَاءَ [3] مِنْهُ وَالِاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ . فَإِنَّ فِي ذَٰلِكَ كُفْرًا لِنِعْمَتِهِ وَاسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِ

وَقَالَ أَحَدُ اَلشُّعَرَاءِ :

أَكْرِمْ طَبِيبَكَ إِنْ أَرَدْتَ دَوَاءَهُ ... وَكَذَا اَلْمُعَلِّمَ إِنْ أَرَدْتَ تَعَلُّمَا

إِنَّ اَلْمُعَلِّمَ وَالطَّبِيبَ كِلَاهُمَا ... لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا

فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَالِجًا ... وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ [4] مُعَلِّمَا

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلِقَتْ [5] ... أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ [6]

---

(١) الادلال والاجتراء وترك الاحتشام (٢) من ادل عليه اذا انبسط اي وثق بمحبته فأفرط عليه (٣) الاستغناء (٤) جفا ضد آنس (٥) بليت (٦) الناظر اليه

وَانْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي أَدَبٍ ... مُهَذَّبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْعُلَمَاءُ سُرُجُ الْأَزْمِنَةِ . كُلُّ عَالِمٍ سِرَاجُ زَمَانِهِ يَسْتَضِيءُ بِهِ أَهْلُ عَصْرِهِ . وَقَدْ رَجَّحَ كَثِيرٌ حَقَّ الْعَالِمِ عَلَى حَقِّ الْوَالِدِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ كَانَ خَيْرَ أَبٍ

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

أَلْعَالِمُ الْعَاقِلُ ابْنُ نَفْسِهِ ... أَغْنَاهُ جِنْسُ عِلْمِهِ عَنْ جِنْسِهِ

وَلَيْسَ مَنْ تُكْرِمُهُ لِغَيْرِهِ ... مِثْلَ الَّذِي تُكْرِمُهُ لِنَفْسِهِ

قِيلَ لِلْإِسْكَنْدَرِ : إِنَّكَ تُعَظِّمُ مُؤَدِّبَكَ أَكْثَرَ مِنْ تَعْظِيمِكَ لِأَبِيكَ . فَقَالَ : لِأَنَّ أَبِي سَبَبُ حَيَاتِي الْفَانِيَةِ وَمُؤَدِّبِي سَبَبُ حَيَاتِي الْبَاقِيَةِ

وَدَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ مُؤَدِّبُ الْوَاثِقِ عَلَى الْوَاثِقِ فَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ وَأَكْثَرَ إِعْظَامَهُ فَقِيلَ لَهُ : مَنْ هٰذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : هٰذَا أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانِي بِذِكْرِ اللهِ وَأَدْنَانِي مِنْ رَحْمَةِ اللهِ

اَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ
فِي ٱلْأَدَبِ

قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ ٱلنَّاسُ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبْكَ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْكَرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهِمَا . لِيُعْجِبْكَ مَا إِذَا أَكْرَمُوكَ لِعِلْمٍ أَوْ أَدَبٍ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : رَأْسُ ٱلْأَدَبِ مَعْرِفَةُ ٱلرَّجُلِ قَدْرَهُ .

وَقَالَ ٱلطُّغْرَائِيُّ :

لَا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرْقَى إِلَى ٱلْفَلَكِ
فَبَيْنَمَا ٱلذَّهَبُ ٱلْإِبْرِيزُ مُخْتَلِطٌ بِٱلتُّرْبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى ٱلْمَلِكِ

وَقَالَ ٱلشَّعْبِيُّ : ٱلْأَدَبُ لِلْفَقِيرِ مَالٌ وَلِلْغَنِيِّ جَمَالٌ وَلِلْحَكِيمِ كَمَالٌ

وَقَالَ آخَرُ : أَحْسَنُ ٱلْأَدَبِ أَلَّا يَفْتَخِرَ ٱلْمَرْءُ بِأَدَبِهِ . وَقِيلَ : أَرْبَعَةٌ تَسُودُ ٱلْعَبْدَ : ٱلْأَدَبُ وَٱلْعِلْمُ وَٱلصِّدْقُ وَٱلْأَمَانَةُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأَعَاجِمِ مُفْتَخِرًا :

مَا أَنَا مَوْلًى وَلَا أَنَا عَرَبِي عَقْلِيَ مَالِي وَهِمَّتِي حَسَبِي
إِذَا ٱنْتَمَى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَإِنَّنِي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

سَمِعَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا يَقُولُ : أَنَا غَرِيبٌ . فَقَالَ : كَلَّا إِنَّ ٱلْغَرِيبَ مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ

أَلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ
فِي تَأْدِيبِ ٱلصَّغِيرِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : إِذَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَدُومَ حُبُّكَ لِأَحَدٍ فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ . وَقَالَ آخَرُ: أَدِّبُوا أَوْلَادَكُمْ صِغَارًا تَقَرُّ بِهِمْ أَعْيُنُكُمْ كِبَارًا

وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : أَضَرَّ بِنَا فِي ٱلْوَلِيدِ حُبُّنَا لَهُ فَلَمْ نُؤَدِّبْهُ وَكَأَنَّ ٱلْوَلِيدَ أَدَّبَنَا . وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : مَنْ لَمْ يَجْلِسْ فِي ٱلصِّغَرِ حَيْثُ يَكْرَهُ لَمْ يَجْلِسْ فِي ٱلْكِبَرِ حَيْثُ يُحِبُّ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْيَتْهُ ٱلْمُرُوءَةُ يَافِعاً (١)   فَمَطْلَبُهَا كَهْلًا (٢) عَلَيْهِ شَدِيدُ

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ :

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتَهُ فِي ٱلصِّبَا   كَٱلْعُودِ يُسْقَى ٱلْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقاً نَاضِرًا   بَعْدَ ٱلَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

وَٱلشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ   حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ (٣)

إِذَا ٱرْعَوَى (٤) عَاوَدَهُ جَهْلُهُ   كَذِي ٱلضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ (٥)

---

(١) اليافع المقارب البلوغ (٢) الكهل من جاوز الثلاثين الى احدى وخمسين (٣) قبره (٤) ارعوى عن القبيح كفّ عنه ورجع (٥) النكس عود المرض بعد الشفاء

مَا تَبْلُغُ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ   مَا يَبْلُغُ ٱلْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وَقِيلَ : مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي ٱلصِّغَرِ هَانَ فِي حَالِ ٱلْكِبَرِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

يَنْشَا[1] ٱلصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ   إِنَّ ٱلْأُصُولَ عَلَيْهَا تَنْبُتُ ٱلشَّجَرُ

وَقَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

قَدْ يَنْفَعُ ٱلْأَدَبُ ٱلْأَحْدَاثَ فِي صِغَرٍ

وَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَدَبُ

إِنَّ ٱلْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا ٱعْتَدَلَتْ

وَلَنْ يُقَوَّمَ إِنْ قَوَّمْتَهُ ٱلْخَشَبُ

قِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا حَدُّ ٱلتَّعَلُّمِ وَٱلتَّأَدُّبِ . فَقَالَ : حَدُّ ٱلْحَيَاةِ ، أَيْ يَجِبُ لَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيَتَأَدَّبَ مَا دَامَ حَيًّا

---

(١) اي ينشأ بمعنى يربى ويشب

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ

فِي أَدَبِ ٱلْمُجَالَسَةِ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ ٱلْعَاصِ : لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلَاثٌ : إِذَا وَفَدَ عَلَيَّ رَحَّبْتُ بِهِ ، وَإِذَا جَلَسَ وَسَّعْتُ لَهُ ، وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ

وَقَالَ زِيَادٌ : إِيَّاكَ وَصُدُورَ ٱلْمَجَالِسِ وَإِنْ صَدَّرَكَ صَاحِبُهَا . فَلَأَنْ تُدْعَى مِنْ بُعْدٍ إِلَى قُرْبٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُقْصَى [1] مِنْ قُرْبٍ إِلَى بُعْدٍ . وَقَالَ ٱلْأَحْنَفُ : مَا جَالَسْتُ مَجْلِسًا خِفْتُ أَنْ أُقَامَ مِنْهُ لِغَيْرِي

وَقَالَ ٱلْحَسَنُ : مُجَالَسَةُ ٱلرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ ٱسْمِهِ مُجَالَسَةُ ٱلْحَمْقَى . وَلِذٰلِكَ قَالَ شَبِيبُ بْنُ شَبَّةَ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، وَلَقِيَهُ فِي ٱلطَّرِيقِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُ هَيْئَتِهِ وَسَمْتِهِ [2] : أَصْلَحَكَ ٱللهُ إِنِّي أُحِبُّ ٱلْمَعْرِفَةَ وَأُجِلُّكَ عَنِ ٱلْمَسْأَلَةِ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا فُلَانٌ

وَقَفَ ٱلْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ ٱلْأَشْعَثِ بِبَابِ مُعَاوِيَةَ ، فَأَذِنَ لِلْأَحْنَفِ ثُمَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ ٱلْأَشْعَثِ . فَأَسْرَعَ مُحَمَّدٌ فِي مَشْيِهِ حَتَّى دَخَلَ قَبْلَ ٱلْأَحْنَفِ . فَلَمَّا رَآهُ مُعَاوِيَةُ قَالَ لَهُ : إِنِّي وَٱللهِ مَا أَذِنْتُ لَهُ قَبْلَكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ . وَإِنَّا كَمَا نَلِي أُمُورَكُمْ كَذٰلِكَ نَلِي أَدَبَكُمْ . وَمَا تَزَيَّدَ [3] مُتَزَيِّدٌ إِلَّا لِنَقْصٍ يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ

---

(١) تبعد (٢) هيئته (٣) تكلف الزيادة

الفَصْلُ التَّاسِعُ

في أدَبِ المَلْبوسِ

يَجِبُ عَلَى الإِنسَانِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلَ الحَالِ فِي مُرَاعَاةِ[١] مَلابِسِهِ مِنْ غَيْرِ إِكْثَارٍ وَلَا اطِّرَاحٍ . فَإِنَّ اطِّرَاحَ مُرَاعَاتِهَا وَتَرْكَ تَفَقُّدِهَا مَهَانَةٌ وَذُلٌّ ، وَكَثْرَةَ مُرَاعَاتِهَا وَصَرْفَ الهِمَّةِ إِلَى العِنَايَةِ بِهَا دَنَاءَةٌ وَنَقْصٌ

وَقَالَتِ الحُكَمَاءُ : إِذَا اشْتَدَّ كَلَفُ المَرْءِ بِمُرَاعَاةِ لِبَاسِهِ قَطَعَهُ[٢] ذَلِكَ عَنْ مُرَاعَاةِ نَفْسِهِ وَصَارَ المَلْبُوسُ عِنْدَهُ أَنْفَسَ وَهُوَ عَلَى مُرَاعَاتِهِ أَحْرَصُ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الحِكَمِ : البَسْ مِنَ الثِّيَابِ مَا يَخْدُمُكَ وَلَا يَسْتَخْدِمُكَ[٣]

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِإِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : أَرَاكَ لَا تُبَالِي مَا لَبِسْتَ . فَقَالَ : لَأَنْ أَلْبَسَ ثَوْبًا أَقِي[٤] بِهِ نَفْسِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ثَوْبٍ أَقِيهِ بِنَفْسِي

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

وَمَا الحَلْيُ إِلَّا زِينَةٌ لِنَقِيصَةٍ يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الحُسْنُ قَصَّرَا
فَأَمَّا إِذَا كَانَ الجَمَالُ مُوَفَّرًا لِحُسْنِكَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا[٥]

---

(١) حفظ (٢) منعه (٣) يجعلك خادماً (٤) اصون (٥) يحسّن

ٱلفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ
فِي آدَابِ ٱلْمَضِيفِ وَٱلضَّيْفِ

قَالَ ٱلشَّيْخُ شِهَابُ ٱلدِّينِ : عَلَى ٱلْمَضِيفِ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظْهِرَ لَهُمْ بَسْطَ ٱلْوَجْهِ فَقَدْ قِيلَ : ٱلْبَشَاشَةُ فِي ٱلْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْقِرَى[1]. وَقَالَتِ ٱلْعَرَبُ : تَمَامُ ٱلضِّيَافَةِ ٱلطَّلَاقَةُ[2] عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ ٱلْحَدِيثِ عِنْدَ ٱلْمُؤَاكَلَةِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ : مِنَ ٱلْمُسْتَقْبَحِ تَقْدِيمُ ٱلشَّيْءِ ٱلْيَسِيرِ وَتَفْخِيمُهُ ، وَأَقْبَحُ مِنْ ذٰلِكَ مَا يَفْعَلُهُ ٱلْبُخَلَاءُ . فَإِنَّهُمْ يَعْزِمُونَ[3] عَلَى ٱلضَّيْفِ ، فَإِذَا ٱعْتَذَرَ لَهُمْ أَمْسَكُوا عَنْهُ[4] بِمُجَرَّدِ ٱلِاعْتِذَارِ كَأَنَّهُمْ تَخَلَّصُوا مِنْ وَرْطَةٍ[5]

وَمِمَّا يُعَابُ عَلَى ٱلضَّيْفِ أُمُورٌ مِنْهَا : كَثْرَةُ ٱلْأَكْلِ ٱلْمُفْرِطِ وَتَتَبُّعُ طُرُقِ ٱلشَّرِهِينَ وَقُبْحُ ٱلْمُؤَاكَلَةِ . كَأَنْ يَجْعَلَ ٱللُّقْمَةَ فِي فِيهِ وَيَتَشَفَّهَا[6] فَيَسْمَعَ لَهَا حِينَ ٱلْبَلْعِ حِسٌّ لَا يَخْفَى عَلَى جُلَسَائِهِ . أَوْ كَأَنْ يَقْرِضَ[7] ٱللُّقْمَةَ بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهِ أَوْ يُخَلِّلَ[8] أَسْنَانَهُ بِأَظْفَارِهِ أَوْ يَنْفُخَ فِي ٱلطَّعَامِ .

---

(١) الضيافة (٢) البشاشة (٣) يقسمون (٤) امتنعوا (٥) الورطة الشدة وكل امر شاق تعسر النجاة منه (٦) يبالغ في مصها (٧) يقطع (٨) خلّل اسنانه ازال ما بينها من الطعام

وَمِنَ ٱلْأَضْيَافِ مَنْ لَا يَلَذُّ لَهُ حَدِيثٌ إِلَّا وَقْتَ غَسْلِ يَدَيْهِ فَيَبْقَى ٱلْغُلَامُ وَاقِفاً وَٱلْإِبْرِيقُ فِي يَدَيْهِ وَٱلنَّاسُ يَنْتَظِرُونَهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ ٱلدَّارَ فَيَبْتَدِئُ بِٱلْهَنْدَسَةِ أَوَّلًا فَيَقُولُ : كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَابُ ٱلْمَجْلِسِ مِنْ هٰهُنَا وَٱلْإِيوَانُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هٰهُنَا . وَيَنْتَقِلُ مِنَ ٱلْهَنْدَسَةِ إِلَى تَرْتِيبِ ٱلْمَجْلِسِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى صَاحِبَ ٱلْبَيْتِ قَدْ أَسَرَّ[1] إِلَى صَدِيقِهِ شَيْئاً فَيَقُولُ : مَا ٱلَّذِي قَالَ ٱلْمَوْلَى لِصَاحِبِنَا ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُعْلِمَهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْجِلُ صَاحِبَ ٱلْمَنْزِلِ بِٱلْأَكْلِ وَيَشْكُو ٱلْجُوعَ . وَيَظُنُّ أَنَّ ذٰلِكَ بَسْطٌ[2] وَمَكَارِمُ أَخْلَاقٍ . وَإِنَّمَا ذٰلِكَ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ لَا فِي بُيُوتِ ٱلنَّاسِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ ٱلسَّائِلَ عَلَى ٱلْبَابِ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ مِنْ مَالِ صَاحِبِ ٱلْبَيْتِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، أَوْ يَقُولُ لِلسَّائِلِ : فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْكَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو ٱلنَّاسَ لِصَاحِبِ ٱلْوَلِيمَةِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَيُقَلِّدُ لِذٰلِكَ ٱلْمِنَنَ[3]

---

(١) حدَّث سرًّا (٢) دالة (٣) العطايا

الباب الثاني

في الفضائل والنقائص

ألفَصْلُ ألأوَّلُ

في التَّواضُعِ وَالكِبْرِ

أَلكِبْرُ[١] يُكسِبُ المَقْتَ[٢] وَيَحُولُ دُونَ التَّآلُفِ وَيُوغِرُ[٣] صُدُورَ الإِخْوَانِ . وَالإِعْجَابُ[٤] يُخْفِي المَحَاسِنَ وَيُظْهِرُ المَسَاوِئَ وَيُكْسِبُ المَذَامَّ[٥] وَيَصُدُّ عَنِ الفَضَائِلِ

قَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى : تَوَاضُعُكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ لَكَ مِنْ شَرَفِكَ

وَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : أَفْضَلُ الرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ وَعَفَا عَنْ قُدْرَةٍ وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ

وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : مَا تَاهَ[٦] إِلَّا وَضِيعٌ وَلَا فَاخَرَ إِلَّا أَثِيمٌ . وَكُلُّ مَنْ تَوَاضَعَ لِلّٰهِ رَفَعَهُ

وَقَالَ أَحَدُ الحُكَمَاءِ: لَا يَدُومُ المُلْكُ مَعَ الكِبْرِ . وَقَالَ آخَرُ : إِنَّ الكِبْرَ يُوجِبُ المَقْتَ ، وَمَنْ مَقَتَهُ رِجَالُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ حَالُهُ

---

(١) التجبر والتكبر (٢) البغض (٣) من اوغر صدره اذا احماه من الغيظ (٤) الاستكبار (٥) جمع مذمة (٦) تكبر

وَقَالَ عُمَرُ : أُرِيدُ رَجُلًا إِذَا كَانَ فِي ٱلْقَوْمِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَبَعْضِهِمْ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِيرَهُمْ فَكَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ

وَقَالَ بُزُرْجُمْهَرُ : وَجَدْنَا ٱلتَّوَاضُعَ مَعَ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبُخْلِ أَحْمَدَ عِنْدَ ٱلْحُكَمَاءِ مِنَ ٱلْكِبْرِ مَعَ ٱلْأَدَبِ وَٱلسَّخَاءِ . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَأَقْبَحُ شَيْءٍ أَنْ يَرَى ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ
رَفِيعاً وَعِنْدَ ٱلْعَالَمِينَ وَضِيعُ
تَوَاضَعْ تَكُنْ كَٱلنَّجْمِ لَاحَ لِنَاظِرٍ
عَلَى صَفَحَاتِ ٱلْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعُ .
وَلَا تَكُ كَٱلدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ
عَلَى طَبَقَاتِ ٱلْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعُ

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : إِنَّ ٱلْعَفْوَ لَا يَزِيدُ ٱلْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا فَٱعْفُوا يُعِزَّكُمُ ٱللهُ . وَإِنَّ ٱلتَّوَاضُعَ لَا يَزِيدُ ٱلْعَبْدَ إِلَّا رِفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعْكُمُ ٱللهُ . وَإِنَّ ٱلصَّدَقَةَ لَا تَزِيدُ ٱلْمَالَ إِلَّا نَمَاءً فَتَصَدَّقُوا يَزِدْكُمُ ٱللهُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

مَثَلُ ٱلْمَجْدِ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ ۞ مَثَلُ ٱلظِّلِّ ٱلَّذِي يَمْشِي مَعَكْ
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَّبِعاً ۞ فَإِذَا وَلَّيْتَ(١) عَنْهُ تَبِعَكْ

---

(١) اعرضت

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّانِي

فِي ٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ

قَالَ ٱلْمُهَلَّبُ: ٱلصِّدْقُ عِزٌّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَكْرَهُ وَٱلْكَذِبُ ذُلٌّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تُحِبُّ. وَمَنْ عُرِفَ بِٱلْكَذِبِ ٱتُّهِمَ فِي ٱلصِّدْقِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ　　أَحْرَقَكَ ٱلصِّدْقُ بِنَارِ ٱلْوَعِيدْ

وَٱبْغِ رِضَى ٱلْمَوْلَى فَأَغْبَى ٱلْوَرَى　　مَنْ أَسْخَطَ ٱلْمَوْلَى وَأَرْضَى ٱلْعَبِيدْ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ ٱلنُّطْقِ ٱلصِّدْقُ.

وَقَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ: أَحْسَنُ ٱلْكَلَامِ مَا صَدَقَ فِيهِ قَائِلُهُ وَٱنْتَفَعَ بِهِ سَامِعُهُ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ:

لَا يَكْذِبُ ٱلْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ　　أَوْ عَادَةِ ٱلسُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ ٱلْأَدَبِ

وَأَوْصَى بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ وَلَدَهُ فَقَالَ: إِيَّاكَ وَٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُزْرِي بِقَائِلِهِ وَإِنْ كَانَ شَرِيفاً فِي أَصْلِهِ وَيُذِلُّهُ وَإِنْ كَانَ عَزِيزاً فِي أَهْلِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: أَمْرَانِ لَا يَنْفَكَّانِ عَنِ ٱلْكَذِبِ: كَثْرَةُ ٱلْمَوَاعِيدِ وَشِدَّةُ ٱلِاعْتِذَارِ

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي ٱلنَّمِيمَةِ وَٱلْغِيبَةِ وَٱلسِّعَايَةِ

ٱلْغِيبَةُ[١] خِيَانَةٌ وَهَتْكُ[٢] سِرٍّ يَحْدُثَانِ عَنْ حَسَدٍ وَغَدْرٍ . وَأَمَّا ٱلنَّمِيمَةُ[٣] فَهِيَ أَنْ تَجْمَعَ إِلَى مَذَمَّةِ ٱلْغِيبَةِ رَدَاءَةً وَشَرًّا وَتَضُمَّ إِلَى لُؤْمِهَا دَنَاءَةً وَغَدْرًا . ثُمَّ تَؤُولُ إِلَى تَقَاطُعِ ٱلْمُتَوَاصِلِينَ وَتَبَاغُضِ ٱلْمُتَحَابِّينَ . وَأَمَّا ٱلسِّعَايَةُ[٤] فَهِيَ شَرُّ ٱلثَّلَاثَةِ لِأَنَّهَا تَجْمَعُ إِلَى مَذَمَّةِ ٱلْغِيبَةِ وَلُؤْمِ ٱلنَّمِيمَةِ ٱلتَّغْرِيرَ[٥] بِٱلنُّفُوسِ وَٱلْقَدْحَ[٦] فِي ٱلْمَنَازِلِ وَٱلْأَحْوَالِ .

وَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : ٱلنَّمِيمَةُ لَا تَقْرَبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا وَلَا عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : ٱحْذَرُوا أَعْدَاءَ ٱلْعُقُولِ وَلُصُوصَ ٱلْمَوَدَّاتِ وَهُمُ ٱلسُّعَاةُ وَٱلنَّمَّامُونَ . إِذَا سَرَقَ ٱللُّصُوصُ ٱلْمَتَاعَ

---

(١) اسم من غاب فلان فلاناً اذا عابه وذكره بما فيه من السوء (٢) كشف وخرق (٣) اسم من النم وهو اشاعة الحديث او السعاية لايقاع فتنة او وحشة (٤) من سعى به اذا وشى به (٥) من غرر فلان بنفسه اذا عرضها للهلكة (٦) الطعن

سَرَقُوا هُمُ ٱلْمَوَدَّاتِ : وَفِي ٱلْمَثَلِ ٱلسَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ ٱلْوَاشِيَ ضَيَّعَ ٱلصَّدِيقَ . وَقَدْ تُقْطَعُ ٱلشَّجَرَةُ فَتَنْبُتُ وَيَقْطَعُ ٱلسَّيْفُ ٱللَّحْمَ فَيَنْدَمِلُ [١] وَٱللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ

وَقَالَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ : ٱلْكَذَّابُ لِصٌّ لِأَنَّ ٱللِّصَّ يَسْرِقُ مَالَكَ وَٱلْكَذَّابَ يَسْرِقُ عَقْلَكَ . وَلَا تَأْمَنْ مَنْ كَذَبَ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْكَ ، وَمَنِ ٱغْتَابَ غَيْرَكَ عِنْدَكَ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ .

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا غَابَ آخَرَ عِنْدَ ٱلْمَأْمُونِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ : قَدِ ٱسْتَدْلَلْنَا عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تَذْكُرُ مِنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ ، لِأَنَّ طَالِبَ ٱلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا هِيَ فِيهِ لَا بِقَدْرِ مَا فِيهِمْ مِنْهَا

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى ٱبْنِ سِيرِينَ فَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ نِلْتَ [٢] مِنِّي . قَالَ : نَفْسِي أَعَزُّ مِنْ ذٰلِكَ

---

(١) يبرأ (٢) يقال نال من عرض فلان اي سبّه

ٱلفَصلُ ٱلرَّابِعُ

فِي ٱلحَسَدِ

قَالَ ٱلْحَسَنُ : أُصولُ ٱلشَّرِّ وَفُرُوعُهُ خَمْسَةٌ : ٱلْحَسَدُ وَٱلْحِرْصُ وَحُبُّ ٱلرِّئَاسَةِ وَحُبُّ ٱلثَّنَاءِ وَحُبُّ ٱلْفَخْرِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : ٱلنَّاسُ حَاسِدٌ وَمَحْسُودٌ . وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ حَسُودٌ

وَقَالَ عَلِيٌّ : لَا رَاحَةَ لِحَسُودٍ وَلَا إِخَاءَ لِمَلُولٍ[1] وَلَا مُحِبَّ لِسَيِّئِ ٱلْخُلُقِ

وَكَتَبَ ٱبْنُ ٱلْمُبَارَكِ إِلَى ٱبْنِ بِشْرٍ ٱلْمَرْوَزِيِّ :

كُلُّ ٱلْعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا
إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدِ

وَقَالَ ٱلْحَسَنُ : مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ ٱلْحَسُودِ . نَفَسٌ دَائِمٌ وَهَمٌّ لَازِمٌ وَغَمٌّ لَا يَنْفَدُ كَمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِنَّ ٱلْحَسُودَ ٱلظَّلُومَ فِي كُرَبٍ يَخَالُهُ مَنْ يَرَاهُ مَظْلُومَا
ذَا نَفَسٍ دَائِمٍ عَلَى نَفَسٍ يُظْهِرُ مِنْهُ مَا كَانَ مَكْتُومَا

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُلَمَاءِ : ٱلْحَسَدُ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ ٱلْمَحْسُودِ وَنَقْصِ ٱلْحَسُودِ

---

(١) ذي ملل اي ضجر

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

يَا طَالِبَ ٱلعَيْشِ فِي أَمنٍ وَفِي دَعَةٍ
رَغْدًا بِلَا قَتَرٍ [١] صَفْوًا بِلَا رَنَقٍ [٢]

خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ [٣] وَمِنْ حَسَدٍ
فَٱلغِلُّ فِي ٱلقَلْبِ مِثْلُ ٱلغُلِّ [٤] فِي ٱلعُنُقِ

وَقَالَ ٱلشَّرِيفُ ٱلرَّضِيُّ :

عَادَاتُ هٰذَا ٱلدَّهْرِ ذَمُّ مُفَضَّلٍ
وَمَلَامُ مِقْدَامٍ [٥] وَعَذْلُ [٦] جَوَادِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَأَظْلَمُ أَهلِ ٱلأَرْضِ مَن بَاتَ حَاسِدًا
لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

مَرَّ قَيسُ بْنُ زُهَيرٍ بِبِلَادِ غَطَفَانَ فَرَأَى ثَرْوَةً وَعَدَدًا فَكَرِهَ ذٰلِكَ . فَقِيلَ لَهُ : أَيَسُوءُكَ مَا يَسُرُّ ٱلنَّاسَ . قَالَ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي أَنَّ مَعَ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلثَّرْوَةِ ٱلتَّحَاسُدَ وَٱلتَّخَاذُلَ ، وَإِنَّ مَعَ ٱلقِلَّةِ ٱلتَّحَاشُدَ وَٱلتَّنَاصُرَ . وَكَانَ يُقَالُ : مَا أَثْرَى قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا تَحَاسَدُوا وَتَجَادَلُوا

---

(١) غبرة وكدر (٢) كدر (٣) غش وحقد (٤) الطوق من حديد
(٥) شجاع جريء كثير الاقدام اي الاجتراء (٦) لوم

اَلْفَصْلُ اَلْخَامِسُ
فِي شُكْرِ اَلنِّعْمَةِ وَكُفْرَانِ اَلْجَمِيلِ

قَالَ بَعْضُ اَلْأُدَبَاءِ : مَنْ حَمِدَكَ عَلَى نِعْمَتِكَ فَقَدْ وَفَّاكَ حَقَّهَا وَجَاءَ فِي اَلْحَدِيثِ . مَنْ نَشَرَ مَعْرُوفاً فَقَدْ شَكَرَهُ وَمَنْ سَتَرَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ اَلْخُوَارِزْمِيُّ : إِذَا قَصُرَتْ يَدَاكَ عَنِ اَلْمُكَافَأَةِ فَلْيَطُلْ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ

وَقَالَ بَعْضُ اَلْحُكَمَاءِ : اَلْمَعْرُوفُ إِلَى اَلْكِرَامِ يُعْقِبُ خَيْرًا وَإِلَى اَللِّئَامِ يُعْقِبُ شَرًّا . وَمَثَلُ ذٰلِكَ اَلْمَطَرُ يَشْرَبُ مِنْهُ اَلصَّدَفُ فَيُعْقِبُ لُؤْلُؤًا وَتَشْرَبُ مِنْهُ اَلْأَفَاعِي فَيُعْقِبُ سُمًّا

وَجَاءَ فِي اَلْحَدِيثِ : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نِعْمَةٌ فَلْيُكَافِئْ عَلَيْهَا ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيُثْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ كَفَرَ اَلنِّعْمَةَ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَذُمُّ تِلْمِيذًا كَنُودًا

فَيَا عَجَباً لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا ... أُلَقِّمُهُ بِأَطْرَافِ اَلْبَنَانِ [1]

أُعَلِّمُهُ اَلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اَشْتَدَّ سَاعِدُهُ [2] رَمَانِي

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ اَلْقَوَافِي [3] ... فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

---

(١) الاصابع (١) ذراعه (٣) جمع القافية وهي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة والمراد بها هنا الشعر

أَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

فِي ٱلغَدْرِ وَٱلْمَكْرِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: مَنْ عَامَلَ ٱلنَّاسَ بِٱلْمَكْرِ كَافَأُوهُ بِٱلْغَدْرِ. وَقَالَ آخَرُ: رُبَّ حِيلَةٍ كَانَتْ عَلَى صَاحِبِهَا وَبِيلَةً [١] وَرُبَّ حِيلَةٍ أَهْلَكَتِ ٱلْمُحْتَالَ. وَقِيلَ: ٱلْوَفَاءُ مِنْ شِيَمِ ٱلْكِرَامِ وَٱلْغَدْرُ مِنْ خَلَائِقِ ٱللِّئَامِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

وَكَمْ مِنْ حَافِرٍ لِأَخِيهِ لَيْلًا تَرَدَّى [٢] فِي حَفِيرَتِهِ نَهَارًا

وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ يَصِفُ ٱلنَّاسَ فِي قِلَّةِ ٱلْوَفَاءِ:

بِمَنْ يَثِقُ ٱلْإِنْسَانُ فِي مَا يَنُوبُهُ [٣]
وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُرِّ ٱلْكَرِيمِ صِحَابُ
وَقَدْ صَارَ هٰذَا ٱلنَّاسُ إِلَّا أَقَلَّهُمْ
ذِئَابًا عَلَى أَجْسَادِهِنَّ ثِيَابُ

وَلَهُ أَيْضاً:

أَبْغِي ٱلْوَفَاءَ بِدَهْرٍ لَا وَفَاءَ لَهُ كَأَنَّنِي جَاهِلٌ بِٱلدَّهْرِ وَٱلنَّاسِ

حُكِيَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْأَعْرَابِ أَثَارُوا ضَبُعاً فَدَخَلَتْ خِبَاءَ

---

(١) وخيمة (٢) هلك (٣) يصيبه

شَيْخ فَقَصَدُوهَا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا بُغْيَتُكُمْ. قَالُوا: جَارُكَ قَالَ: أَمَا إِذْ قَدْ سَمَّيْتُمُوهَا جَارِي فَإِنَّ هٰذَا ٱلسَّيْفَ دُونَهَا. فَتَرَكُوهَا وَكَانَتِ ٱلضَّبُعُ هَزِيلَةً. فَأَحْضَرَ لَهَا مِنْ لِقَاحِهِ وَجَعَلَ يَسْقِيهَا حَتَّى عَاشَتْ. فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَبَقَرَتْ[1] بَطْنَهُ وَهَرَبَتْ. فَجَاءَ ٱبْنُ عَمِّهِ يَطْلُبُهُ فَوَجَدَهُ مُلْقًى فَتَبِعَهَا حَتَّى قَتَلَهَا وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

وَمَنْ يَصْنَعِ ٱلْمَعْرُوفَ مَعْ غَيْرِ أَهْلِهِ
يُلَاقِ كَمَا لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرِ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا ٱسْتَجَارَتْ[2] بِبَيْتِهِ
أَحَالِيبَ[3] أَلْبَانِ[4] ٱللِّقَاحِ[5] ٱلدَّرَائِرِ
وَأَسْمَنَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ
فَرَتْهُ[6] بِأَنْيَابٍ لَهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِذَوِي ٱلْمَعْرُوفِ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ
يَجُودُ بِمَعْرُوفٍ عَلَى غَيْرِ شَاكِرِ

---

(١) شقت (٢) استغاثت واستعانت (٣) جمع احلابة وهي ان تحلب لاهلك وانت في المرعى ثم تبعث بهِ اليهم (٤) جمع لبن (٥) جمع لقوح وهي الناقة الحلوب (٦) شقته

أَلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ

فِي ٱلْغَضَبِ

قَالَ بَعضُ ٱلْبُلَغاء : مَنْ رَدَّ غَضَبَهُ هَدَّ[1] مَنْ أَغْضَبَهُ

وَقَالَ ٱلْمُورِقُ ٱلعِجْلِيُّ : مَا تَكَلَّمْتُ فِي ٱلْغَضَبِ بِكَلِمَةٍ إِلَّا نَدِمْتُ عَلَيْهَا فِي ٱلرِّضَى . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَباء : إِيَّاكَ وَعِزَّةَ ٱلْغَضَبِ فَإِنَّهَا تُفْضِي بِكَ إِلَى ذِلَّةِ ٱلِاعْتِذَارِ

وَقَالَ آخَرُ : ٱحْتِمَالُ ٱلصَّبْرِ عَلَى لَذْعِ[2] ٱلْغَضَبِ أَهْوَنُ مِنْ إِطْفَائِهِ بِٱلشَّتْمِ وَٱلْقَذْعِ[3]

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلعَزِيزِ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ : أَنْ لَا تُعَاقِبْ عِنْدَ غَضَبِكَ وَإِذَا غَضِبْتَ عَلَى رَجُلٍ فَٱحْبِسْهُ . فَإِذَا سَكَنَ غَضَبُكَ فَأَخْرِجْهُ فَعَاقِبْهُ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ . وَلَا تُجَاوِزْ بِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ سَوْطًا

وَكَانَ بَعْضُ مُلُوكِ ٱلطَّوَائِفِ إِذَا غَضِبَ أُلْقِيَتْ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ تُرَبِ ٱلْمُلُوكِ فَيَزُولُ غَضَبُهُ

وَشَتَمَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَأَمْسَكَ عَنْهُ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ . فَقَالَ : لَا أَدْخُلُ حَرْبًا ٱلْغَالِبُ فِيهَا شَرٌّ مِنَ ٱلْمَغْلُوبِ

---

(١) هدم شديدًا وضعضع (٢) من لذعه اذا وجعه وآذاه (٣) الشتم

ٱلفَصلُ ٱلثَّامِنُ

فِي ٱلحِلمِ وَٱلعَفوِ

قَالَ بَعضُ ٱلحُكَمَاءِ : ٱلحِلمُ مِنْ أشرَفِ ٱلأخلاقِ وَأحَقِّهَا بِذَوِي ٱلألبَابِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ سَلامَةِ ٱلعِرْضِ وَرَاحَةِ ٱلجَسَدِ وَٱجتِلابِ ٱلحَمْدِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ : حِلْمُكَ عَلَى ٱلسَّفِيهِ يُكثِرُ أنصَارَكَ عَلَيْهِ

وَقَالَ ٱلمُسْتَنصِرُ : لَذَّةُ ٱلعَفوِ أطيَبُ مِنْ لَذَّةِ ٱلتَّشَفِّي . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إنَّ أوْلَى ٱلنَّاسِ بِٱلعَفوِ أقدَرُهُمْ عَلَى ٱلعُقُوبَةِ

وَقَالَ عَلِيٌّ لِعَاقِلِ بْنِ مُرَّةَ : مَنْ أحمَقُ ٱلنَّاسِ ، قَالَ : مَنْ ظَنَّ أنَّهُ أعقَلُ ٱلنَّاسِ . قَالَ : صَدَقْتَ . فَمَنْ أعقَلُ ٱلنَّاسِ ، قَالَ : مَنْ لَمْ يَتَجَاوَزِ ٱلصَّمْتَ فِي عُقُوبَةِ ٱلجُهَّالِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ :

إذَا نَطَقَ ٱلسَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إجَابَتِهِ ٱلسُّكُوتُ
سَكَتُّ عَنِ ٱلسَّفِيهِ فَظَنَّ أنِّي ... عَيِيتُ عَنِ ٱلجَوَابِ وَمَا عَيِيتُ
فَإنْ جَاوَبْتَهُ فَرَّجْتَ عَنْهُ ... وَإنْ خَلَّيْتَهُ كَمَدًا يَمُوتُ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلمُعْتَزِّ : لَا تَشِنْ[1] وَجْهَ ٱلعَفوِ بِٱلتَّقرِيعِ[2]

---

(١) شان ضد زان (٢) بالتعنيف وهو اللوم بشدة

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ثَلَاثَةٍ : لَا يُعْرَفُ ٱلْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْغَضَبِ ، وَلَا ٱلشُّجَاعُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْحَرْبِ ، وَلَا أَخُوكَ إِلَّا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهِ

وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ مِمَّنْ أُوتِيَ ٱلْحِلْمَ طَبْعاً لَا تَطَبُّعاً وَمُنِحَ ٱلْعَفْوَ خُلُقاً لَا تَخَلُّقاً فَكَانَ يَقُولُ : إِنِّي لَأَسْتَحْلِي ٱلْعَفْوَ حَتَّى أَخَافَ أَنِّي لَا أُوجَرُ عَلَيْهِ . وَلَوْ عَلِمَ ٱلنَّاسُ حُبِّي لِلْعَفْوِ لَمَا تَقَرَّبُوا إِلَيَّ إِلَّا بِٱلْجِنَايَاتِ

وَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ لِجَانٍ [١] عَجَزَ عَنِ ٱلْعُذْرِ : مَا هٰذَا ٱلْوُجُومُ [٢] وَعَهْدِي [٣] بِكَ خَطِيباً لَسِناً [٤] . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ هٰذَا مَوْقِفَ مُبَاهَاةٍ [٥] وَلٰكِنَّهُ مَوْقِفُ تَوْبَةٍ . وَٱلتَّوْبَةُ بِٱلِاسْتِكَانَةِ [٦] وَٱلْخُشُوعِ وَٱلذِّلَّةِ . فَرَقَّ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ

وَأُحْضِرَ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ رَجُلٌ قَدْ أَذْنَبَ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . أَنَا ٱلَّذِي أَسْرَفَ [٧] عَلَى نَفْسِهِ وَٱتَّكَلَ عَلَى عَفْوِكَ . فَعَفَا عَنْهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ

•

---

(١) لمذنب (٢) من وجم الرجل اذا سكت على غيظ او سكت وعجز عن التكلم من كثرة الغم والخوف (٣) معرفتي (٤) فصيحاً (٥) مفاخرة (٦) الذل (٧) اسرف المال اذا بذّره وانفقه في غير طاعة

اَلْفَصْلُ التَّاسِعُ
فِي مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِئِهَا

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : لَا يَكُونُ الْمَرْءُ حَسَنَ الْخُلُقِ مَا لَمْ يَكُنْ سَهْلَ الْعَرِيكَةِ (١) لَيِّنَ الْجَانِبِ طَلِيقَ (٢) الْوَجْهِ قَلِيلَ النُّفُورِ طَيِّبَ الْكَلِمَةِ

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْحَسَنُ الْخُلُقِ مَنْ نَفْسُهُ فِي رَاحَةٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ . وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا لَمْ تَتَّسِعْ أَخْلَاقُ قَوْمٍ   تَضِيقُ بِهِمْ فَسِيحَاتُ الْبِلَادِ

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ حُسْنِ الطِّبَاعِ مُرَكَّباً
فَأَنْتَ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ حَبِيبُ

وَعَنِ الْحَدِيثِ : إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِبَسْطِ (٣) الْوَجْهِ وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفاً لَهُ   إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ

---

(١) الطبع (٢) ضاحك مشرق (٣) بشاشة

وَقَالَ آخَرُ فِي ٱلتَّخَلُّقِ :

إِذَا رَامَ ٱلتَّخَلُّقَ [١] جَاذَبَتْهُ خَلَائِقُهُ إِلَى ٱلطَّبْعِ ٱلْقَدِيمِ

قِيلَ لِبَعْضِ ٱلْأُدَبَاءِ : مَتَى يَبْلُغُ ٱلرَّجُلُ ذُرْوَةَ ٱلْكَمَالِ . قَالَ : إِذَا ٱتَّقَى مَنْ خَلَقَهُ وَجَادَ بِمَا رُزِقَهُ وَٱخْتَارَ مِنَ ٱلْقَوْلِ أَصْدَقَهُ وَحَسَّنَ فِي كُلِّ ٱلْأَحْوَالِ خُلُقَهُ

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : وَرَدَ عَلَيْنَا ٱلْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ٱلْمَدِينَـةَ وَالِياً . وَكَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةٌ مِنْ وَرَقِ ٱلْمُصْحَفِ . فَوَٱللهِ مَا تَرَكَ فِينَا فَقِيرًا إِلَّا أَغْنَاهُ ، وَلَا مَدْيُونًا إِلَّا أَدَّى عَنْهُ دَيْنَهُ . وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِعَيْنٍ أَرَقَّ مِنَ ٱلْمَاءِ وَيُكَلِّمُنَا بِكَلَامٍ أَحْلَى مِنَ ٱلْجَنَى . وَلَقَدْ شَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَوْ كَانَ مِنْ مُعَاوِيَةَ لَذَكَرْتُهُ . تَغَدَّيْنَا يَوْماً عِنْدَهُ فَأَقْبَلَ ٱلْفَرَّاشُ بِصَحْفَةٍ فَعَثَرَ فِي وِسَادَةٍ فَوَقَعَتِ ٱلصَّحْفَةُ مِنْ يَدِهِ . فَوَٱللهِ مَا رَدَّهَا إِلَّا ذَقَنُ ٱلْوَلِيدِ ، وَٱنْكَبَّ جَمِيعُ مَا فِيهَا فِي حُجْرِهِ . فَبَقِيَ ٱلْغُلَامُ مُتَمَثِّلًا وَاقِفاً ، مَا مَعَهُ مِنْ رُوحِهِ إِلَّا مَا يُقِيمُ رِجْلَيْهِ . فَقَامَ ٱلْوَلِيدُ فَغَيَّرَ ثِيَابَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْنَا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ [٢] جَبْهَتِهِ فَأَقْبَلَ عَلَى ٱلْفَرَّاشِ وَقَالَ : يَا بَائِسُ مَا أَرَانَا إِلَّا رَوَّعْنَاكَ [٣] . ٱذْهَبْ فَأَنْتَ وَأَوْلَادُكَ أَحْرَارٌ لِوَجْهِ ٱللهِ

---

(١) التطبع وهو ان يستعمل الرجل غير ما في طبعه (٢) جمع اسرار وهي خطوط في الكف والجبهة (٣) افزعناك

ألفَصْلُ ٱلْعَاشِرُ

فِي ٱلحَيَاء

قَالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ: مَنْ كَسَاهُ ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ سَتَرَ عَنِ ٱلنَّاسِ عَيْبَهُ. وَقَالَ آخَرُ: إِذَا ذَهَبَ ٱلْحَيَاءُ حَلَّ ٱلْبَلَاءُ

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ:

إِذَا قَلَّ مَاءُ ٱلْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ   وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهٍ إِذَا قَلَّ مَاؤُهُ

حَيَاءَكَ فَٱحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا   يَدُلُّ عَلَى طَبْعِ ٱلْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ

وَقِيلَ: لَيْسَ لِمَنْ سُلِبَ ٱلْحَيَاءَ صَادٌّ[1] عَنْ قَبِيحٍ، وَلَا زَاجِرٌ[2] عَنْ مَحْظُورٍ[3]، فَهُوَ يُقْدِمُ عَلَى مَا يَشَاءُ وَيَأْتِي مَا يَهْوَى

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

يَعِيشُ ٱلْمَرْءُ مَا ٱسْتَحْيَا بِخَيْرٍ   وَيَبْقَى ٱلْعُودُ مَا بَقِيَ ٱللِّحَاءُ[4]

فَلَا وَٱللهِ مَا فِي ٱلْعَيْشِ خَيْرٌ   إِذَا مَا ٱلْمَرْءُ فَارَقَهُ ٱلْحَيَاءُ

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ ٱللَّيَالِي   وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَٱصْنَعْ مَا تَشَاءُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ: إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْكَ أَفْعَالُكَ ٱلَّتِي هَمَمْتَ بِفِعْلِهَا فَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْهَا لِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ مِنْهَا

وَقَالَ آخَرُ: مَا أَحْبَبْتَ أَنْ تَسْمَعَهُ أُذْنَاكَ فَأْتِهِ[5]، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ تَسْمَعَهُ أُذْنَاكَ فَٱجْتَنِبْهُ

---

(١) مانع (٢) مانع (٣) ممنوع (٤) قشر الشجر (٥) فافعله

أَلْفَصْلُ أَلْحَادِي عَشَرَ
فِي الْقَنَاعَةِ

قَالَ ابْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ صُنْ شُكْرَكَ عَمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَاطْلُبِ الْمَعْرُوفَ مِمَّنْ يَحْسُنُ طَلَبُكَ إِلَيْهِ ، وَاسْتُرْ مَاءَ وَجْهِكَ بِقِنَاعِ قَنَاعَتِكَ ، وَتَسَلَّ عَنِ الدُّنْيَا بِتَجَافِيهَا (١) عَنِ الْكِرَامِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

قَنِّعِ النَّفْسَ بِالْكَفَافِ وَإِلَّا ... طَلَبَتْ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا

وَقَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَرْزُوقٍ مِنْ نُدَمَاءِ الْمَهْدِيِّ . فَسَكِرَ يَوْماً فَفَاتَتْهُ الصَّلَاةُ . فَجَاءَتْهُ جَارِيَةٌ لَهُ بِجَمْرَةٍ فَوَضَعَتْهَا عَلَى رِجْلِهِ فَانْتَبَهَ مَذْعُوراً . فَقَالَتْ لَهُ : إِذَا لَمْ تَصْبِرْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا فَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى نَارِ الْآخِرَةِ . فَقَامَ وَصَلَّى وَتَصَدَّقَ بِمَا يَمْلِكُ وَذَهَبَ يَبِيعُ الْبَقْلَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فُضَيْلٌ وَابْنُ عُيَيْنَةَ فَإِذَا تَحْتَ رَأْسِهِ لَبِنَةٌ (٢) وَمَا تَحْتَ جَنْبِهِ شَيْءٌ . فَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ لَمْ يَدَعْ أَحَدٌ شَيْئاً لِلَّهِ إِلَّا عَوَّضَهُ مِنْهُ بَدِيلًا فَمَا عَوَّضَكَ عَمَّا تَرَكْتَ لَهُ . قَالَ : الرِّضَى بِمَا أَنَا فِيهِ

---

(١) تنحيها وابتعادها (٢) الواحدة من اللبن وهو المضروب من الطين مربعاً للبناء

اَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي عَشَرَ

فِي ٱلْمَشْوَرَةِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاء : إِذَا أَشْكَلَتْ[١] عَلَيْكَ ٱلْأُمُورُ فَٱرْجِع إِلَى رَأْيِ ٱلْحُكَمَاء وَلَا تَأْنَفْ مِنَ ٱلِٱسْتِرْشَادِ . فَلَأَنْ تَسْأَلَ وَتَسْلَم خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ وَتَنْدَمَ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلَاء: مَنِ ٱسْتَخَارَ[٢] رَبَّهُ وَٱسْتَشَارَ صَحْبَهُ[٣] وَأَجْهَدَ[٤] رَأْيَهُ[٥] فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاء: نِصْفُ رَأْيِكَ مَعَ أَخِيكَ فَشَاوِرْهُ لِيَكْمُلَ لَكَ ٱلرَّأْيُ

وَقَالَ ٱلْأَرَّجَانِيُّ :

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ[٦] نَائِبَةٌ   يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَشُورَاتِ

فَٱلْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَادَنَا[٧] وَنَأَى[٨]   وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرْآةِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِسْمَعْ مَقَالَةَ ذِي لُبٍّ وَتَجْرِبَةٍ   يُفِدْكَ فِي ٱلْيَوْمِ مَا فِي دَهْرِهِ عَلِمَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأَعْرَابِ : مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى غُبِنَ قَوْمِي . قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ . قَالَ : لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أُشَاوِرَهُمْ

(١) التبست وخفيت (٢) طلب الخيرة فيقال استخر ربك اي اطلب منه ان يختار لك ما يوافقك فيختار لك (٣) جمع صاحب (٤) بلغ الجهد اي الطاقة والقدرة (٥) الرأي ما ارتآه الانسان واعتقده او الاصابة في التدبير (٦) اصابتك (٧) قرب (٨) بعد

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ

فِي كِتْمَانِ ٱلسِّرِّ

قَالَ بَعْضُ ٱلْفَلَاسِفَةِ : مَنْ أَفْشَى سِرَّهُ كَثُرَ عَلَيْهِ ٱلْمُتَآمِرُونَ[1]

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاء : كِتْمَانُكَ سِرَّكَ يُعْقِبُكَ ٱلسَّلَامَةَ وَإِفْشَاؤُهُ يُعْقِبُكَ ٱلنَّدَامَةَ . وَٱلصَّبْرُ عَلَى كِتْمَانِ ٱلسِّرِّ أَيْسَرُ مِنَ ٱلنَّدَامَةِ عَلَى إِفْشَائِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاء : أَحْزَمُ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا يُفْشِي سِرَّهُ إِلَى صَدِيقِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهُمَا شَرٌّ فَيُفْشِيهِ عَلَيْهِ

قِيلَ لِأَبِي مُسْلِمٍ ٱلْخُرَاسَانِيِّ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَدْرَكْتَ مَا أَدْرَكْتَ . قَالَ : إِتَّزَرْتُ بِٱلْحَزْمِ وَٱرْتَدَيْتُ بِٱلْكِتْمَانِ وَحَالَفْتُ ٱلصَّبْرَ وَسَاعَدَنِي ٱلْقَدَرُ فَأَدْرَكْتُ مُرَادِي ، وَحُزْتُ مَا فِي نَفْسِي ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَدْرَكْتُ بِٱلْحَزْمِ وَٱلْكِتْمَانِ مَا عَجَزَتْ
عَنْهُ مُلُوكُ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ حَشَدُوا

مَا زِلْتُ أَسْعَى عَلَيْهِمْ فِي دِمَارِهِمِ
وَٱلْقَوْمُ فِي غَفْلَةٍ بِٱلشَّامِ قَدْ رَقَدُوا

---

(١) المتشاورون

حَتَّى ضَرَبْتُهُمْ بِالسَّيْفِ فَانْتَبَهُوا
مِنْ نَوْمَةٍ لَمْ يَنَمْهَا قَبْلَهُمْ أَحَدُ
وَمَنْ رَعَى غَنَماً فِي أَرْضِ مَسْبَعَةٍ
وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعْيَهَا ٱلْأَسَدُ

إِسْتَشَارَ بَعْضُ مُلُوكِ ٱلْعَجَمِ وَزِيرَيْهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَداً إِلَّا خَالِياً. فَإِنَّهُ أَمْوَتُ لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ. فَإِنَّ إِفْشَاءَ ٱلسِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى ٱثْنَيْنِ. وَإِفْشَاءَهُ إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ. فَإِذَا كَانَ ٱلسِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أَحْرَى أَنْ لَا يَظْهَرَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً. وَإِنْ كَانَ عِنْدَ ٱثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ ٱلشُّبْهَةُ وَٱتَّسَعَتْ عَلَى ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلْمَعَارِيضُ[1]. فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقَبَ ٱثْنَيْنِ بِذَنْبِ وَاحِدٍ، وَإِنِ ٱتَّهَمَهُمَا ٱتَّهَمَ بَرِيئاً بِخِيَانَةِ مُجْرِمٍ، وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا كَانَ ٱلْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ ٱلْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ

---

(١) جمع المعرض من الكلام وهو خلاف المصرح

ٱلْفَصْلُ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ
فِي ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلْأُخُوَّةِ

قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ: لَيْسَ سُرُورٌ يَعْدِلُ [1] لِقَاءَ ٱلْإِخْوَانِ وَلَا غَمٌّ يَعْدِلُ فِرَاقَهُمْ . وَقِيلَ : لِقَاءُ ٱلْخَلِيلِ يُفَرِّجُ ٱلْكُرُوبَ وَفِرَاقُهُ يُقَرِّحُ ٱلْقُلُوبَ

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شُبَّةَ : إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ خَيْرٌ مِنْ مَكَاسِبِ ٱلدُّنْيَا . هُمْ زِينَةٌ فِي ٱلرَّخَاءِ وَعُدَّةٌ فِي ٱلْبَلَاءِ وَمَعُونَةٌ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ

وَقَالَ ٱلْعَتَابِيُّ :

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَيْنِهِ ... وَلٰكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهْوَ غَائِبُ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِماً ... وَمَالِي لَهُ إِنْ أَعْوَزَتْهُ ٱلنَّوَائِبُ

وَقَالَ آخَرُ فِي وَصْفِ صَدِيقٍ لَهُ وَفِيٍّ :

أَخٌ لِي لَمْ يَلِدْهُ أَبِي وَأُمِّي ... تَرَاهُ ٱلدَّهْرَ مَغْمُوماً لِغَمِّي
يُشَاطِرُنِي سُرُورِي فِي ٱبْتِهَاجِي ... وَيَأْخُذُ عِنْدَ هَمِّي شَطْرَ هَمِّي
يُبَصِّرُنِي عُيُوبِي حِينَ تَبْدُو ... مَخَافَةَ كَاشِحٍ لَهِجٍ بِذَمِّي
وَيُصْفِي ٱلْوُدَّ مِنْهُ أَهْلَ وُدِّي ... وَيَمْنَعُ مِنْ مُعَادَاتِي وَظُلْمِي
وَيُنْفِذُ حُكْمَهُ فِي كُلِّ مَالِي ... كَمَا فِي مَالِهِ يَرْضَى بِحُكْمِي
فَلَوْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمَحْذُورِ يُفْدَى ... إِذَا لَفَدَيْتُهُ بِدَمِي وَلَحْمِي

---

(١) يواري ويشابه

أَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسَ عَشَرَ

فِي ٱلْإِخْوَانِ ٱلْعَدِيمِي ٱلْوَفَاء

قَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاء : مُصَاحَبَةُ ٱلنَّاسِ خَطِرَةٌ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى صُحْبَتِهِمْ فَقَدْ بَالَغَ فِي عُذْرِهِمْ . وَإِنَّمَا هُوَ كَرَاكِبِ بَحْرٍ إِنْ سَلِمَ بَدَنُهُ مِنَ ٱلْغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ قَلْبُهُ مِنَ ٱلْفَرَقِ (١)

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاء : ٱسْتَعِذْ مِنْ شِرَارِ ٱلنَّاسِ وَكُنْ مِنْ خِيَارِهِمْ عَلَى حَذَرٍ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلشُّعَرَاء :

صُنِ ٱلنَّفْسَ وَٱحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا ... تَعِشْ سَالِمًا وَٱلْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلُ
وَلَا تُرِيَنَّ ٱلنَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلًا ... نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ ٱلْيَوْمِ فَٱصْبِرْ إِلَى غَدٍ ... عَسَى نَكَبَاتُ ٱلدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ ٱمْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ ... إِذَا ٱلرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادٌ إِذَا ٱسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ ... وَعِنْدَ ٱحْتِمَالِ ٱلْفَقْرِ عَنْكَ بَخِيلُ
فَمَا أَكْثَرَ ٱلْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ ... وَلَكِنَّهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ قَلِيلُ

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقُدُّوسِ :

وَأَكْثَرُ مَنْ تَلْقَى يَسُرُّكَ قَوْلُهُ ... وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يَسُرُّكَ فِعْلُهُ
وَقَدْ كَانَ حُسْنُ ٱلظَّنِّ بَعْضَ مَذَاهِبِي ... فَأَدَّبَنِي هٰذَا ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ

---

(١) الخوف

وَقَالَ ٱبْنُ حَيْنَاء ٱلتَّيمِي

أَلنَّاسُ أَتْبَاعُ مَنْ دَامَتْ لَهُ ٱلنِّعَمْ وَٱلْوَيْلُ لِلْمَرْءِ إِنْ زَلَّتْ بِهِ ٱلْقَدَمُ

وَقَالَ آخَرُ :

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي ٱلزَّمَانِ وَمَا بِهِمْ خِلٌّ وَفِيٌّ لِلشَّدَائِدِ أَصْطَفِي

فَعَلِمْتُ أَنَّ ٱلْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ أَلْغُولُ وَٱلْعَنْقَاءُ وَٱلْخِلُّ ٱلْوَفِي

وَقَالَ ٱلْقَاضِي ٱبْنُ مَعْرُوفٍ :

إِحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَٱحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ

فَلَرُبَّمَا ٱنْقَلَبَ ٱلصَّدِيقُ فَكَانَ أَعْلَمَ بِٱلْمَضَرَّهْ

قِيلَ لِبَعْضِ ٱلْوُلَاةِ : كَمْ صَدِيقاً لَكَ . قَالَ : لَا أَدْرِي . أَلدُّنْيَا مُقْبِلَةٌ عَلَيَّ وَٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ أَصْدِقَائِي . وَإِنَّمَا أَعْرِفُ ذٰلِكَ إِذَا أَدْبَرَتْ عَنِّي .

لَمَّا نُكِبَ [1] عَلِيُّ بْنُ عِيسَى ٱلْوَزِيرُ لَمْ يَنْظُرْ بِبَابِهِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَأْلَفُونَهُ فِي وِلَايَتِهِ . فَلَمَّا رُدَّتْ إِلَيْهِ ٱلْوِزَارَةُ وَقَفَ أَصْحَابُهُ بِبَابِهِ ثَانِياً فَقَالَ :

مَا ٱلنَّاسُ إِلَّا مَعَ ٱلدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا . فَكُلَّمَا ٱنْقَلَبَتْ يَوْماً بِهِ ٱنْقَلَبُوا

يُعَظِّمُونَ أَخَا ٱلدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ يَوْماً عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

---

(١) اصيب بمصيبة

ألفصلُ ألسَّادِسَ عشَرَ
فِي فَضْلِ ٱلصَّداقَةِ عَلَى ٱلقَرَابَةِ

قِيلَ لِبَزُرْجُمهرَ : مَنْ أَحبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَمْ صَديقُكَ . فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَخِي إِلَّا إِذَا كَانَ صَدِيقاً لِي . وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : ٱلْقَرَابَةُ تَحْتَاجُ إِلَى مَوَدَّةٍ وَٱلْمَوَدَّةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى قَرَابَةٍ

وَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبَّاسٍ : ٱلْقَرَابَةُ تُقْطَعُ وَٱلْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ وَمَا رَأَيْتُ كَتَقَارُبِ ٱلْقُلُوبِ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو ٱلْوُدِّ مِنِّي وَذُو ٱلْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
وَإِخْوَتِي أُسْوَةٌ[1] عِنْدِي وَإِخْوَانِي
عِصَابَةٌ[2] جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أَدَبِي
فَهُمْ وَإِنْ فُرِّقُوا فِي ٱلْأَرْضِ جِيرَانِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
أَبْدَانُنَا بِشَآمٍ أَوْ خُرَاسَانِ

وَقَالَ آخَرُ :

إِنْ نَخْتَلِفْ نَسَباً يُؤَلِّفْ بَيْنَنَا ... أَدَبٌ أَقَمْنَاهُ مَقَامَ ٱلْوَالِدِ
أَوْ نَفْتَرِقْ فَٱلْوَصْلُ مِنَّا مَاؤُهُ ... عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدِ

---

(١) سواء (٢) جماعة

ألفصلُ السَّابعَ عشرَ

في مُعاتبةِ الصَّديقِ واستبقاء مودَّتِهِ

قالَ بعضُ العلماء : ينبغي أن تستنبطَ[1] لأخيكَ سبعينَ عذرًا . فإن لم يقبلهُ قلبُكَ فقل لقلبِكَ ما أقساكَ : يعتذرُ إليكَ أخوكَ سبعينَ عذرًا فلا تقبلُ عذرَهُ فأنتَ المعتوبُ لا هوَ

وقالَ الشَّاعرُ :

فلا عيشٌ كوصلٍ بعدَ هجرٍ ... ولا شيءٌ ألذُّ منَ العتابِ

وقالَ بشَّارُ بنُ بردٍ :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتبًا ... صديقكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ

وإن أنتَ لم تشربْ مرارًا على القذى[2] ... ظمئتَ وأيُّ النَّاسِ تصفو مشاربُهْ

فعِشْ واحدًا أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ ... مقارفُ ذنبٍ مرَّةً ومجانبُهْ

ومَن ذا الذي تُرضي سجاياهُ كلُّها ... كفى المرءَ نبلًا أن تُعدَّ معايبُهْ

وقالَ إسماعيلُ صبري :

إذا خانني خلٌّ قديمٌ وعقَّني ... وفوَّقتُ يومًا في مقاتلِهِ سهمي

تعرَّضَ طيفُ الودِّ بيني وبينَهُ ... فكسَّرَ سهمي فانثنيتُ ولم أرمِ

---

(١) تستخرج (٢) القذى ما يقع في العين او الشراب من تبن او غيره

ألفصلُ الثامنَ عشرَ

في البشاشةِ والتحبّبِ إلى الناسِ

قالَ أحدُ الأدباء : ليكنْ وجهكَ بسّاماً وكلامكَ ليّناً تكنْ أحبَّ إلى النّاسِ ممّنْ يعطيهم الذّهبَ والفضّةَ

وقالَ آخرُ : اللّطيفُ منَ الكلامِ يعطفُ القلوبَ النافرةَ ويؤنسُ القلوبَ المستوحشةَ ويلينُ العريكةَ المستصعبةَ وتبلغُ بهِ الحاجةُ . وما أصدقَ قولَ القائلِ :

وما اكتسبَ المحامدَ طالبُوها   بمثلِ البشرِ والوجهِ اللطيفِ

وقالَ آخرُ :

ألبشرُ يكسبُ أهلَهُ   صدقَ المودّةِ والمحبّهْ
والتيهُ يستدعي لصا   حبِهِ المذمّةَ والمسبّهْ

وقالَ أرسطاطاليسُ للإسكندرِ : أعظمُ ما أوصيكَ بِهِ ألّا تتبغّضَ إلى أحدٍ منْ خلقِ اللهِ . فرأسُ العقلِ بعدَ الإيمانِ التحبّبُ إلى النّاسِ كافّةً . وقالَ أبو جعفرٍ المنصورُ : إنْ أحببتَ أنْ يكثرَ الثناءُ الجميلُ عليكَ منَ النّاسِ بغيرِ نائلٍ [1] فالقهمْ ببشرٍ حسنٍ

---

(١) عطاء .

وَقَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ :

وَجهٌ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَيَاءِ سَكِينَةٌ ... وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مَعَ ٱلْأَنْفَاسِ

وَإِذَا أَحَبَّ ٱللهُ يَوْماً عَبْدَهُ ... أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ : أَتَيْتُ ٱلْخَلِيلَ فَوَجَدْتُهُ جَالِساً عَلَى طُنْفُسَةٍ[١] صَغِيرَةٍ فَرَحَّبَ بِي وَوَسَّعَ لِي وَكَرِهْتُ أَنْ أُضَيِّقَ عَلَيْهِ فَٱنْقَبَضْتُ عَنْهُ[٢] فَأَخَذَ بِعَضُدِي[٣] وَقَرَّبَنِي مِنْ نَفْسِهِ وَقَالَ لِي إِنَّهُ لَا يَضِيقُ سَمُّ[٤] ٱلْخِيَاطِ[٥] بِمُتَحَابَّيْنِ وَلَا تَسَعُ ٱلدُّنْيَا مُتَبَاغِضَيْنِ

وَقَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

صِلْ مَنْ هَوِيتَ وَإِنْ أَبْدَى مُعَاتَبَةً

فَأَطْيَبُ ٱلْعَيْشِ وَصْلٌ بَيْنَ إِلْفَيْنِ

وَٱقْطَعْ حَبَائِلَ[٦] خِدْنٍ[٧] لَا تُلَائِمُهُ

فَرُبَّمَا ضَاقَتِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱثْنَيْنِ

---

(١) بساط وثوب (٢) انضمت (٣) العضد غليظ الذراع الذي بين المرفق والكتف (٤) ثقب (٥) الابرة (٦) اسباب (٧) صاحب

أَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعَ عَشَرَ

فِي ٱلْوَفَاءِ بِٱلْوَعْدِ وَٱسْتِنْجَازِهِ

قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : إِيَّاكَ وَٱلْمَطْلَ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ مَفْسَدَةٌ لِلْمُرُوءَةِ ، مَهْدَمَةٌ لِلصَّنِيعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلشُّكْرِ ، مَدْعَاةٌ لِلذَّمِّ

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : ٱلْعُذْرُ ٱلْجَمِيلُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَطْلِ ٱلطَّوِيلِ . وَقَالَ أَيْضاً : وَعْدُ ٱلْكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ . وَوَعْدُ ٱللَّئِيمِ مَطْلٌ وَتَعْلِيلٌ . وَقِيلَ : ٱلْإِسْرَاعُ بِٱلرَّدِّ خَيْرٌ مِنَ ٱلْإِبْطَاءِ بِٱلْوَعْدِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

تَعْجِيلُ وَعْدِ ٱلْمَرْءِ أُكْرُومَةٌ[1] ... تَنْشُرُ عَنْهُ أَطْيَبَ ٱلذِّكْرِ
وَٱلْحُرُّ لَا يَمْطُلُ مَعْرُوفَهُ ... وَلَا يَلِيقُ ٱلْمَطْلُ بِٱلْحُرِّ

وَقَالَ آخَرُ :

وَمِيعَادُ ٱلْكَرِيمِ عَلَيْهِ دَيْنٌ ... فَلَا تَزِدِ ٱلْكَرِيمَ عَلَى ٱلسَّلَامِ
يُذَكِّرُهُ سَلَامُكَ مَا عَلَيْهِ ... وَيُغْنِيكَ ٱلسَّلَامُ عَنِ ٱلْكَلَامِ

وَكَتَبَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ إِلَى رَجُلٍ وَعَدَهُ بِعِدَةٍ وَمَطَلَهُ بِهَا

لَا جَعَلَ ٱللهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا ... عِنْدَكَ مَا عِشْتَ حَاجَةً أَبَدَا
مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ أُسَرُّ بِهَا ... إِلَّا تَثَاقَلْتَ ثُمَّ قُلْتَ غَدَا

---

[1] أي كرم

أَلْفَصْلُ ٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلْكَرَمِ وَٱلْبُخْلِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْحُكَمَاءِ : حَدُّ ٱلْجُودِ أَنْ يَبْذُلَ ٱلرَّجُلُ مَالَهُ حَيْثُ يَجِبُ ٱلْبَذْلُ، وَيَحْفَظَهُ حَيْثُ يُمْكِنُ ٱلْحِفْظُ . وَمَنْ بَذَلَ مَكَانَ ٱلْإِمْسَاكِ فَهُوَ مُبَذِّرٌ، وَمَنْ أَمْسَكَ مَكَانَ ٱلْبَذْلِ فَهُوَ بَخِيلُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

كَمْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي ٱلنَّاسِ أَمْوَاتُ

وَقَالَ ٱلْحُطَيْئَةُ :

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ[1]

لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ[2] بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ

وَقَالَ جَامِعُ جَوَاهِرِ ٱلْأَدَبِ :

مَنْ صَاغَ لِلنَّاسِ تَاجاً مِنْ مَآثِرِهِ صَاغُوا لَهُ مِنْ جُمَانِ ٱلْحَمْدِ تِيجَانَا

وَقَالَ بَعْضُ ٱلصُّلَحَاءِ : خَيْرُ ٱلْمَالِ مَا أُخِذَ مِنَ ٱلْحَلَالِ وَصُرِفَ فِي ٱلنَّوَالِ[3]، وَشَرُّ ٱلْمَالِ مَا أُخِذَ مِنَ ٱلْحَرَامِ وَصُرِفَ فِي ٱلْآثَامِ .

وَقَالَ آخَرُ : أَفْضَلُ ٱلْمَعْرُوفِ إِغَاثَةُ ٱلْمَلْهُوفِ

وَقَالَ مَحْمُودٌ ٱلْوَرَّاقُ :

مَنْ ظَنَّ بِٱللهِ خَيْرًا جَادَ مُبْتَدِئاً وَٱلْبُخْلُ مِنْ سُوءِ ظَنِّ ٱلْمَرْءِ بِٱللهِ

---

(١) جمع الجازية وهي المكافأة على الشيء (٢) المعروف (٣) العطاء

وَقَالَ بَعضُ ٱلْحُكَمَاء : ٱنْتَهِزِ ٱلْفُرَصَ عِنْدَ إِمْكَانِهَا . وَلَا تُحَمِّلْ نَفْسَكَ هَمَّ مَا لَمْ يَأْتِكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ تَقْتِيرَكَ [1] عَلَى نَفْسِكَ تَوْفِيرٌ لِخِزَانَةِ غَيْرِكَ

وَقَالَ آخَرُ : ٱلْإِحْسَانُ إِلَى ٱللَّئِيمِ أَضْيَعُ مِنَ ٱلرَّسْمِ عَلَى بِسَاطِ ٱلْمَاء وَٱلْخَطِّ عَلَى بَسِيطِ ٱلْهَوَاء . وَقِيلَ : لَا تَصْنَعُوا إِلَى ثَلَاثَةٍ مَعْرُوفًا : ٱللَّئِيمِ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَرْضِ ٱلسَّبِخَةِ لَا يَظْهَرُ فِيهَا ٱلْبَزْرُ وَذٰلِكَ لَا يَظْهَرُ فِيهِ ٱلْمَعْرُوفُ ، وَٱلْفَاحِشِ فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ ٱلَّذِي صَنَعْتَ مَعَهُ إِنَّمَا هُوَ مَخَافَةَ فُحْشِهِ ، وَٱلْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي قَدْرَ مَا أَسْدَيْتَ إِلَيْهِ وَلَا يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

مَتَى تُسْدِ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ   رُزِئْتَ وَلَمْ تَظْفَرْ بِحَمْدٍ وَلَا أَجْرِ

وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ خَارِجَةَ : مَا أُحِبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا فِي حَاجَةٍ طَلَبَهَا . لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا فَأَصُونَ لَهُ عِرْضَهُ ، أَوْ لَئِيمًا فَأَصُونَ عِرْضِي عَنْهُ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلشِّبْلِ :

يُفْنِي ٱلْبَخِيلُ بِجَمْعِ ٱلْمَالِ مُدَّتَهُ   وَلِلْحَوَادِثِ وَٱلْأَيَّامِ مَا يَدَعُ

كَدُودَةِ ٱلْقَزِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا   وَغَيْرُهَا بِٱلَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

---

(١) تضييقك

اَلْفَصْلُ اَلْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

فِي بِرِّ[1] اَلْوَالِدِينَ وَذَمِّ اَلْعُقُوقِ[2]

قَالَ بَعْضُ اَلصُّلَحَاءِ: رِضَى اَلرَّبِّ فِي رِضَى اَلْوَالِدِينَ وَسُخْطُهُ[3] فِي سُخْطِهِمْ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اَلْعَزِيزِ : لَا تَصْحَبَنَّ عَاقًّا فَإِنَّهُ لَنْ يَقْبَلَكَ وَقَدْ عَقَّ وَالِدَيْهِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنٍ عَاقٍّ : أَنْتَ كَالْإِصْبَعِ اَلزَّائِدَةِ ، إِنْ تُرِكَتْ شَانَتْ ، وَإِنْ قُطِعَتْ آذَتْ . وَقَالَ آخَرُ : اَلْعُقُوقُ ثُكْلُ[4] مَنْ لَمْ يَثْكَلْ . وَقِيلَ : مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ عَقَّهُ وَلَدُهُ

وَقَالَ اَلْمَأْمُونُ : لَمْ أَرَ أَحَدًا أَبَرَّ مِنَ اَلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بِأَبِيهِ . بَلَغَ مِنْ بِرِّهِ لَهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَغْتَسِلُ إِلَّا بِمَاءٍ سُخْنٍ . فَمَنَعَهُمَا اَلسَّجَّانُ مِنَ اَلْوُقُودِ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ . فَلَمَّا أَخَذَ يَحْيَى مَضْجَعَهُ قَامَ اَلْفَضْلُ إِلَى قُمْقُمٍ مِنْ نُحَاسٍ فَمَلَأَهُ مَاءً وَأَدْنَاهُ مِنَ اَلْمِصْبَاحِ . فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا وَهُوَ فِي يَدِهِ إِلَى اَلصَّبَاحِ حَتَّى اَسْتَيْقَظَ يَحْيَى مِنْ مَنَامِهِ فَاغْتَسَلَ بِهِ

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ اَلْخَطَّابِ : إِنَّ لِي أُمًّا لَا تَقْضِي حَاجَةً إِلَّا وَظَهْرِي لَهَا مَطِيَّةٌ ، فَهَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا . قَالَ : لَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ بِكَ ذَلِكَ بِكُلِّ رَغْبَةٍ وَحُنُوٍّ

---

(١) اطاعة (٢) العصيان (٣) السخط ضد الرضى (٤) الثكل فقدان الولد

اَلْفَصْلُ اَلثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

فِي شَفَقَةِ اَلْوَالِدِينَ وَمَنْزِلَةِ الْبَنِينَ عِنْدَهُمْ

قِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا مَنْفَعَةُ الْوَلَدِ فَقَالَ : يُسْتَعْذَبُ بِهِ الْعَيْشُ وَيَهُونُ بِهِ الْمَوْتُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ : وَمُتْعَةُ الْعَيْشِ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

وَقَالَ الْمُعَلِّي الطَّائِيُّ :

وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ : مَوْتُ الْوَلَدِ صَدْعٌ فِي الْكَبِدِ ، لَا يَنْجَبِرُ آخِرَ الْأَبَدِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا بَنَاتِي إِنَّهُنَّ مِنَ الضِّعَافِ
مَخَافَةَ أَنْ يَذُقْنَ الْيُتْمَ بَعْدِي وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقاً (1) بَعْدَ صَافِ

وَقِيلَ لِرَجُلٍ : أَيُّ وَلَدِ أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : صَغِيرُهُمْ حَتَّى يَكْبَرَ ، وَمَرِيضُهُمْ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَغَائِبُهُمْ حَتَّى يَحْضُرَ

وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بِنْتُهُ عَائِشَةُ فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : هَذِهِ تُفَّاحَةُ الْقَلْبِ . فَقَالَ لَهُ : اُنْبُذْهَا عَنْكَ . فَوَاللهِ إِنَّهُنَّ لَيَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ وَيُقَرِّبْنَ الْأَبْعَدَاءَ

---

(1) [illegible]

وَيُورِثْنَ الضَّغَائِنَ . قَالَ : لَا تَقُلْ ذَاكَ يَا عَمْرُو . فَوَاللهِ مَا مَرَّضَ الْمَرْضَى وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ ، وَرُبَّ ابْنِ أُخْتٍ نَفَعَ خَالَهُ . فَقَالَ عَمْرُو : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ حَبَّبْتَهُنَّ إِلَيَّ

....

غَضِبَ مُعَاوِيَةُ عَلَى ابْنِهِ يَزِيدَ فَهَجَرَهُ . فَجَاءَهُ الْأَحْنَفُ ابْنُ قَيْسٍ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَادُنَا ثِمَارُ قُلُوبِنَا وَعِمَادُ ظُهُورِنَا ، وَنَحْنُ لَهُمْ سَمَاءٌ ظَلِيلَةٌ وَأَرْضٌ ذَلِيلَةٌ ، وَبِهِمْ نَصُولُ عَلَى كُلِّ جَلِيلَةٍ . فَإِنْ غَضِبُوا فَأَرْضِهِمْ ، وَإِنْ سَأَلُوا فَأَعْطِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوا فَابْتَدِئْهُمْ يَمْنَحُوكَ وُدَّهُمْ وَيُحِبُّوكَ جَهْدَهُمْ . وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ ثَقِيلًا ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَيْهِمْ شَزْرًا فَيَمَلُّوا حَيَاتَكَ ، وَيَتَمَنَّوْا وَفَاتَكَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لِلّٰهِ أَنْتَ يَا أَحْنَفُ . لَقَدْ دَخَلْتَ عَلَيَّ وَإِنِّي لَمَمْلُوءٌ غَضَبًا عَلَى يَزِيدَ فَسَلَلْتَهُ مِنْ قَلْبِي . فَلَمَّا خَرَجَ الْأَحْنَفُ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ مُعَاوِيَةُ لِغُلَامِهِ : إِذَا رَأَيْتَ يَزِيدَ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ سَلَامِي وَاحْمِلْ إِلَيْهِ مِئَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِئَتَيْ ثَوْبٍ . فَقَالَ يَزِيدُ : مَنْ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقِيلَ لَهُ الْأَحْنَفُ . فَقَالَ : عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ يَزِيدُ : يَا أَبَا بَحْرٍ كَيْفَ كَانَتِ الْقِصَّةُ . فَحَكَاهَا لَهُ فَشَكَرَ صَنِيعَهُ وَشَاطَرَهُ الصِّلَةَ

....

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ ٱلْعَرَبِ بَأْساً وَأَعْظَمِهِمْ جُرْأَةً . يُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَتْ بَنُو تَمِيمٍ أَخَاهُ سَعْدًا غَضِبَ وَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مَتَى ظَفِرَ بِهِمْ قَتَلَ رِجَالَهُمْ وَسَبَى حَرِيمَهُمْ . فَلَمَّا ظَفِرَ بِهِمْ حَمَى لَهُمُ ٱلصَّفَا [1] وَمَشَّى عَلَيْــهِ مِنْ رِجَالِهِمْ مَنْ بَلَغَ أَجَلَهُ . فَأُتِيَ بِشَابٍّ لِيَمْشِيَ عَلَيْهِ كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُهُ وَأَقْبَلَتْ أُمُّهُ مَعَهُ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلصَّفَا وَشِدَّةَ وَهَجِهِ قَطَعَتْ ثَدْيَيْهَا وَرَمَتْ بِهِمَا عَــلَى ٱلصَّفَا وَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ قِ بِثَدْيَيَّ قَدَمَكَ وَأَقْلِلْ بِوَطْئِهِمَا أَلَمَكَ ثُمَّ أَنْشَدَتْ :

أَبُنَيَّ لَوْ قُبِلَ ٱلْفِدَاءُ لَجُدْتُ بِٱلْـ
ـكَبِدِ ٱلَّتِي أَضْحَتْ عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
يَا لَيْتَ حَرَّ ٱلنَّارِ بَاشَرَ [2] مُهْجَتِي
أَوْ لَيْتَ خَدِّي فَوْقَ خَدِّكَ يَلْذَعُ

فَرَقَّ لَهَا عَمْرُو وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ وَلَدِهَا وَإِطْــلَاقِ مَنْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِهَا

---

(١) جمع صفاة وهي الصخرة (٢) مسّ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي ٱلعَافِيَةِ وَٱلصِّحَّةِ

قَالَ عَلِيٌّ : ٱلنَّعِيمُ هُوَ ٱلأَمْنُ وَٱلْعَافِيَةُ وَٱلصِّحَّةُ . وَقَالَ ٱبْنُ عُيَيْنَةَ : مِنْ تَمَامِ ٱلنِّعْمَةِ طُولُ ٱلْحَيَاةِ فِي الصِّحَّةِ وَٱلأَمْنِ وَٱلسُّرُورِ

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : أَغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ

وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجْرَةِ فِي مَرَضِهِ : يَا أَهْلَ ٱلنِّعَمِ لَا تَسْتَقِلُّوا شَيْئاً مِنَ ٱلنِّعَمِ مَعَ ٱلْعَافِيَةِ . وَيُقَالُ ٱلْعَافِيَةُ لَا ثَمَنَ لَهَا ، وَصِحَّةُ ٱلْجِسْمِ أَوْفَرُ ٱلْقِسَمِ . وَقِيلَ: شَيْئَانِ لَا يُعْرَفَانِ إِلَّا بَعْدَ ذَهَابِهِمَا : ٱلصِّحَّةُ وَٱلشَّبَابُ

وَقَالَ بُزُرْجُمْهُرُ: إِنْ كَانَ شَيْءٌ فَوْقَ ٱلْحَيَاةِ فَٱلصِّحَّةُ ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِثْلَ ٱلْحَيَاةِ فَٱلْغِنَى ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ فَوْقَ ٱلْمَوْتِ فَٱلْمَرَضُ ، وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِثْلَ ٱلْمَوْتِ فَٱلْفَقْرُ

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ ٱلضَّحَّاكِ :

مَا أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَى عَبْدِهِ ... بِنِعْمَةٍ أَوْفَى مِنَ ٱلْعَافِيَهْ

وَكُلُّ مَنْ عُوفِيَ فِي جِسْمِهِ ... فَإِنَّهُ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَهْ

اَلْفَصْلُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْحَنِينِ إِلَى الْوَطَنِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مِنْ عَلَامَاتِ الرُّشْدِ (١) أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ إِلَى بَلَدِهَا تَوَّاقَةً (٢) وَإِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهَا (٣) مُشْتَاقَةً

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ :

ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ
لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

وَقَالَ آخَرُ :

بِلَادٌ أَلِفْنَاهَا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
وَقَدْ يُؤْلَفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنْ
وَتُسْتَعْذَبُ الْأَرْضُ الَّتِي لَا هَوًى بِهَا
وَلَا مَاؤُهَا عَذْبٌ وَلَكِنَّهَا وَطَنْ

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ وَدَوَامَ عَهْدِهِ فَانْظُرْ حَنِينَهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَشَوْقَهُ إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَتَلَهُّفَهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَوْلَا حُبُّ الْوَطَنِ لَخَرِبَتْ بِلَادُ

---

(١) الاهتداء (٢) مشتاقة (٣) مسقط رأس المولد

ٱلسُّوءِ. وَقَالَ جَالِينُوسُ: يَتَرَوَّحُ ٱلْعَلِيلُ بِنَسِيمِ أَرْضِهِ كَمَا تَتَرَوَّحُ ٱلْأَرْضُ ٱلْجَدْبَةُ بِبَلِّ ٱلْمَطَرِ

حُكِيَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ تَزَوَّجَ بِنْتَ مُجْدِلٍ وَنَقَلَهَا مِنَ ٱلْبَدْوِ إِلَى ٱلشَّامِ وَكَانَتْ كَثِيرَةَ ٱلْحَنِينِ إِلَى أُنَاسِهَا وَٱلتَّذَكُّرِ لِمَسْقَطِ رَأْسِهَا فَأَنْصَتَ لَهَا يَوْماً فَسَمِعَهَا تُنْشِدُ:

لَبَيْتٌ تَخْفُقُ ٱلْأَرْيَاحُ فِيهِ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرٍ مُنِيفِ
وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ ٱلشُّفُوفِ
وَأَكْلُ كُسَيْرَةٍ فِي كِسْرِ بَيْتِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ ٱلرَّغِيفِ
وَخِرْقٌ[1] مِنْ بَنِي عَمِّي نَحِيفٌ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجٍ[2] عَنِيفِ
خُشُونَةُ عِيشَتِي فِي ٱلْبَدْوِ أَشْهَى ... إِلَى نَفْسِي مِنَ ٱلْعَيْشِ ٱلطَّرِيفِ
فَمَا أَبْغِي سِوَى وَطَنِي بَدِيلًا ... فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شَرِيفِ

فَلَمَّا سَمِعَ مُعَاوِيَةُ ٱلْأَبْيَاتَ قَالَ: مَا رَضِيَتْ بِي بِنْتُ مُجْدِلٍ حَتَّى جَعَلَتْنِي عِلْجاً عَنِيفاً ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا

لَمَّا شَعَرَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ بِقُرْبِ وَفَاتِهِ أَوْصَى أَنْ تُحْمَلَ رِمَّتُهُ[3] فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ إِلَى بِلَادِ ٱلرُّومِ حُبًّا لِوَطَنِهِ.

---

(١) احمق (٢) عنيف (٣) الرمة ما بلي من العظام

أَلْفَصْلُ ٱلْخَامِسُ وَٱلْعِشْرُونَ

فِي مَدْحِ ٱلسَّفَرِ

قَالَ ٱلْمَأْمُونُ : لَا شَيْءَ أَلَذُّ مِنَ ٱلسَّفَرِ فِي كِفَايَةٍ وَعَافِيَةٍ . لِأَنَّكَ تَحِلُّ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَحَلَّةٍ [١] لَمْ تَحِلَّ فِيهَا وَتُعَاشِرُ قَوْماً لَمْ تَعْرِفْهُمْ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلسَّفَرُ مِيزَانُ ٱلْأَخْلَاقِ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَإِذَا ٱلْبِلَادُ تَغَيَّرَتْ عَنْ حَالِهَا ... فَدَعِ ٱلْمُقَامَ وَبَادِرِ ٱلتَّحْوِيلَا [٢]

لَيْسَ ٱلْمُقَامُ عَلَيْكَ فَرْضاً وَاجِباً ... فِي بَلْدَةٍ تَدَعُ ٱلْعَزِيزَ ذَلِيلَا

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُرِيدُ ٱلسَّفَرَ فَيَمْنَعُهُ وَالِدُهُ إِشْفَاقاً عَلَيْهِ فَقَالَ يَوْماً :

أَلَا خَلِّنِي أَمْضِي لِشَأْنِي وَلَا أَكُنْ ... عَلَى ٱلْأَهْلِ كَلًّا [٣] إِنَّ ذَا لَشَدِيدُ

أَرَى ٱلسَّيْرَ فِي ٱلْبُلْدَانِ يُغْنِي مَعَاشِرًا ... وَلَمْ أَرَ مَنْ يُجْدِي عَلَيْهِ قُعُودُ

فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرِّبَ مَجْلِسِي ... وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ أَنْتَ رَشِيدُ

قِيلَ لِأَعْشَى بَكْرٍ : إِلَى كَمْ هٰذِهِ ٱلنُّجْعَةُ [٤] وَٱلِاغْتِرَابُ . أَمَا تَرْضَى بِٱلْخَفْضِ [٥] وَٱلدَّعَةِ [٦] . فَقَالَ : لَوْ دَامَتِ ٱلشَّمْسُ عَلَيْكُمْ لَمَلَلْتُمُوهَا

---

(١) منزل (٢) الانصراف (٣) ثقيلاً (٤) من نجع البلد اذا اتاه
(٥) السعة والراحة (٦) خفض

ألفصلُ ألسّادِسُ وألعِشرُونَ

في ألصّبرِ وألتأسّي وألجزعِ

قالَ شبيبُ بنُ شبّةَ : إنّ أحقَّ ما تصبِرُ عليهِ ما لمْ تجدْ إلى دفعِهِ سبيلًا

وقالَ ألشّاعِرُ :

إذا ما أتاكَ ألدّهرُ يوماً بنكبةٍ   فأفرِغْ لها صبرًا ووسِّعْ لها صدرا
فإنّ تصاريفَ[1] ألزّمانِ عجيبةٌ   فيوماً ترى يُسرًا ويوماً ترى عُسرًا

وقالَ عمرُ بنُ ألخطّابِ : ألصقُوا بذوي ألغِيَرِ[2] تتّسعْ قلوبُكمْ

قالَ بعضُ ألحكماءِ : منْ علِمَ أنّ كلَّ نائبةٍ إلى انقضاءٍ ، حسُنَ عزاؤُهُ عِندَ نُزُولِ ألبلاءِ

وقالَ ألشّاعِرُ :

إذا تضايقَ أمرٌ فانتظِرْ فرجاً   فأضيقُ ألأمرِ أدناهُ إلى ألفرجِ

وقالَ بعضُ ألحكماءِ : ألصّبرُ صبرانِ : صبرٌ على ما تكرهُ ، وصبرٌ على ما تُحبُّ . وألثّاني أشدُّ على ألنّفسِ . وقالَ ابنُ ألمُقفّعِ ألصّبرُ صبرانِ : فاللّئامُ أصبرُ أجساماً ، وألكِرامُ أصبرُ نفوساً

---

(١) حوادث ونوائب (٢) مصائب

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ زَيْنُ ٱلْعَابِدِينَ :

وَإِذَا بُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَٱصْبِرْ لَهَا صَبْرَ ٱلْكَرِيمِ فَإِنَّ ذَٰلِكَ أَحْزَمُ
لَا تَشْكُوَنَّ إِلَى ٱلْعِبَادِ فَإِنَّمَا تَشْكُو ٱلرَّحِيمَ إِلَى ٱلَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَقِيلَ : ٱلْعُسْرُ يَعْقُبُهُ ٱلْيُسْرُ ، وَٱلشِّدَّةُ يَعْقُبُهَا ٱلرَّخَاءُ ، وَٱلتَّعَبُ تَعْقُبُهُ ٱلرَّاحَةُ ، وَٱلضِّيقُ تَعْقُبُهُ ٱلسَّعَةُ ، وَٱلصَّبْرُ يَعْقُبُهُ ٱلْفَرَجُ . وَعِنْدَ تَنَاهِي ٱلشِّدَّةِ تَنْزِلُ ٱلرَّحْمَةُ . وَٱلْمُوَفَّقُ مَنْ رُزِقَ صَبْرًا وَأَجْرًا ، وَٱلشَّقِيُّ مَنْ سَاقَ ٱلْقَدَرُ إِلَيْهِ جَزَعاً وَوِزْرًا [1]

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَمِمَّا يُؤَدِّينِي إِلَى ٱلصَّبْرِ وَٱلْعَزَا
تَرَدُّدُ فِكْرِي فِي عُمُومِ ٱلْمَصَائِبِ

وَقَالَ آخَرُ :

وَلَوْلَا ٱلْأَسَى [2] مَا عِشْتُ فِي ٱلنَّاسِ سَاعَةً
وَلَٰكِنْ إِذَا نَادَيْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي

---

(١) جمع سرة وهي القدرة

أَلْفَصْلُ ٱلسَّابِعُ وَٱلْعِشْرُونَ
فِي ٱلصَّمْتِ وَحِفْظِ ٱللِّسَانِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاء : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ ٱلْكَلَامِ إِلَّا كَلَاماً تَظْهَرُ ٱلْمَصْلَحَةُ فِيهِ . وَمَتَى ٱسْتَوَى ٱلْكَلَامُ وَتَرْكُهُ فِي ٱلْمَصْلَحَةِ فَٱلسُّنَّةُ ٱلْإِمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجُرُّ ٱلْكَلَامُ ٱلْمُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . بَلْ هٰذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي ٱلْعَادَةِ ، وَٱلسَّلَامَةُ لَا يُعَادِلُهَا شَيْءٌ

وَقَالَ ٱلشَّافِعِيُّ : إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ ٱلْكَلَامَ فَعَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي كَلَامِهِ ، فَإِنْ ظَهَرَتِ ٱلْمَصْلَحَةُ تَكَلَّمَ ، وَإِنْ شَكَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَظْهَرَ . وَقَالَ أَيْضاً : لَا تَتَكَلَّمْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ ، فَإِنَّكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ بِٱلْكَلِمَةِ مَلَكَتْكَ وَلَمْ تَمْلِكْهَا

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

تَحَفَّظْ مِنْ لِسَانِكَ فَهْوَ عُضْوٌ ... أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ وَقْعِ ٱلْيَمَانِي [1]
فَلَا وَٱللّٰهِ مَا فِي ٱلْأَرْضِ شَيْءٌ ... أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانِ

وَقَالَ آخَرُ :

نَزِّهْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تُعَابُ بِهِ
وَٱرْغَبْ [2] بِنَفْسِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالِ

(١) الاصل السيف اليماني وهو المنسوب الى اليمن فقامت الصفة مقام الموصوف (٢) رغب به عنه جعله يعرض عنه ويتركه

لَا تَبْغِ غَيْرَ ٱلَّذِي يَغْنِيكَ وَٱطْرَحِ ٱلْـ
فُضُولَ تَحْيَ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ وَٱلْبَالِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : إِذَا تَمَّ ٱلْعَقْلُ نَقَصَ ٱلْكَلَامُ . وَقَالَ عَمْرُو ٱبْنُ ٱلْعَاصِ : ٱلْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ قَلَلْتَ مِنْهُ نَفَعَ ، وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ قَتَلَ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ عَرَفَ شَأْنَهُ ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ ، وَأَعْرَضَ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ ، وَكَفَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ ، دَامَتْ سَلَامَتُهُ ، وَقَلَّتْ نَدَامَتُهُ

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ ٱللهُ جَارِحَةً[1] فِي حُصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ ٱللِّسَانِ ، ٱلْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَٱلشَّفَتَانِ مِنْ أَمَامِ ذٰلِكَ ، وَٱللَّهَاةُ[2] مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِ ، وَٱلْقَلْبُ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ . فَٱتَّقِ ٱللهَ وَلَا تُطْلِقْ هٰذَا ٱلْمَحْبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ

وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِحْفَظْ لِسَانَكَ وَٱحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ فَٱلْمَرْءُ يَسْلَمُ بِٱللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
وَزِنِ ٱلْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ثَرْثَارَةً[3] فِي كُلِّ نَادٍ[4] تَخْطُبُ

---

(١) ما يكتسب من اعضاء الانسان وما يصيد من السباع والطير (٢) اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم (٣) كثير الكلام (٤) مجلس

ٱلفَصْلُ ٱلثَّامِنُ وَٱلعِشْرُونَ
فِي ٱلضَّحِكِ وَٱلمُزَاحِ

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلعَزِيزِ : ٱتَّقُوا ٱلمُزَاحَ فَإِنَّهُ حَمَاقَةٌ تُورِثُ ٱلضَّغِينَةَ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلحُكَمَاءِ : مَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ زَالَتْ هَيْبَتُهُ

وَيُقَالُ : أَوْكَدُ أَسْبَابِ ٱلقَطِيعَةِ ٱلمُزَاحُ . وَإِنْ كَانَ لَا غِنَى لِلنَّفْسِ عَنْهُ فَلْيَكُنْ بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَاجُ ٱلطَّعَامُ مِنَ ٱلمِلْحِ كَمَا قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ ٱلبُسْتِيُّ :

أَفِدْ طَبْعَكَ ٱلمَكْدُودَ بِٱلهَمِّ رَاحَةً ... يُرَاحُ وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلمَزْحِ
وَلٰكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ٱلمَزْحَ فَلْيَكُنْ ... بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي ٱلطَّعَامَ مِنَ ٱلمِلْحِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلعُلَمَاءِ : ٱلمَزْحُ يَخْرُقُ ٱلهَيْبَةَ ، وَيَذْهَبُ بِمَاءِ ٱلوَجْهِ ، وَيُعْقِبُ ٱلحِقْدَ ، وَيَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ ٱلوُدِّ ، وَيُجَرِّئُ[1] ٱلسَّفِيهَ ، وَيُمِيتُ ٱلقَلْبَ ، وَيُكْسِبُ ٱلغَفْلَةَ وَٱلذِّلَّةَ

بَذَأَ[2] رَجُلٌ عَلَى أَعْرَابِيٍّ فَقَالَ لَهُ : أَمَا لَكَ زَاجِرٌ[3] مِنْ عَقْلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ وَاعِظٌ مِنْ دِينِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا كُنْتُ مَازِحاً . فَقَالَ :

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ ٱلمُزَاحَ فَإِنَّمَا ... يُطَمِّعُ فِيكَ ٱلطِّفْلَ وَٱلرَّجُلَ ٱلنَّذْلَا
وَيَذْهَبُ مَاءَ ٱلوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ ... وَيُورِثُ بَعْدَ ٱلعِزِّ صَاحِبَهُ ذُلَّا

---

(١) يشجع (٢) افحش في الكلام أي قال الفحش وهو القبيح من الكلام

(٣) من زجره اذا منعه ونهاه

ٱلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ وَٱلْعِشْرُونَ
فِي ٱلْعَمَلِ وَعَوَاقِبِ ٱلْفَرَاغِ

قَالَ بَعْضُ ٱلْأُدَبَاءِ : ٱلْعَمَلُ كُلَّ يَوْمٍ سَعَادَةُ ٱلْعُمْرِ . وَأَحْلَى ٱلْحَيَاةِ مَا شُغِلَتْ بِٱلْقِيَامِ بِٱلْوَاجِبَاتِ . وَقَالَ آخَرُ : مَنْ لَمْ يَعْمَلْ لِنَفْسِهِ عَمِلَ لِلنَّاسِ . وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى كَدِّهِ صَبَرَ عَلَى ٱلْإِفْلَاسِ .

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ : أَفْضَلُ ٱلْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحَاءِ ٱلْحَرَكَةُ بَرَكَةٌ ، وَٱلتَّوَانِي هَلَكَةٌ ، وَٱلْكَسَلُ شُؤْمٌ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : يَا مَعْشَرَ ٱلْقُرَّاءِ ٱلْتَمِسُوا ٱلرِّزْقَ وَلَا تَكُونُوا عَالَةً عَلَى ٱلنَّاسِ . وَقِيلَ لِمَلِكٍ زَالَ عَنْهُ مُلْكُهُ : مَا ٱلَّذِي سَلَبَكَ مُلْكَكَ . قَالَ : تَأْخِيرِي عَمَلَ ٱلْيَوْمِ لِغَدٍ .

وَقَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : ثَلَاثَةٌ تُورِثُ ثَلَاثَةً : ٱلنَّشَاطُ يُورِثُ ٱلْغِنَى وَٱلْكَسَلُ يُورِثُ ٱلْفَقْرَ ، وَٱلشَّرَاهَةُ تُورِثُ ٱلْمَرَضَ .

وَقَالَ بَعْضُ ٱلصُّلَحَاءِ : لَا تُفْرِغْ قَلْبَكَ مِنْ ذِكْرٍ ، وَلَا يَدَكَ مِنْ شُغْلٍ . فَٱلْقَلْبُ ٱلْفَارِغُ يَبْحَثُ عَنِ ٱلسُّوءِ ، وَٱلْيَدُ ٱلْفَارِغَةُ تَنْزِعُ إِلَى ٱلْإِثْمِ . وَقَالَ عَلِيٌّ : يَضُرُّ ٱلنَّاسُ أَنْفُسَهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : ٱلْإِفْرَاطِ[1] فِي ٱلْأَكْلِ ٱتِّكَالًا عَلَى ٱلصِّحَّةِ ، وَتَكَلُّفِ حَمْلِ مَا لَا يُطَاقُ ٱتِّكَالًا عَلَى ٱلْقُوَّةِ ، وَٱلتَّفْرِيطِ[2] فِي ٱلْعَمَلِ ٱتِّكَالًا عَلَى ٱلْقَدَرِ

---

(١) مجاوزة الحد (٢) التقصير

الباب الثالث

في الفكاهات

كَيفَ يَعرَقُ ٱلبُخَلَاء

إِستَأذَنَ حَنظَلَةُ عَلَى صَدِيقٍ لَهُ بَخِيلٍ . فَقِيلَ: هُوَ مَحمُومٌ. فَقَالَ : كُلُوا بَينَ يَدَيهِ حَتَّى يَعرَقَ

أَلكَرَمُ ٱلحَاتِمِيُّ

وَكَانَ أَهلُ مَروٍ مَوصُوفِينَ بِٱلبُخلِ . يُقَالُ : إِنَّ مِن عَادَتِهِم إِذَا تَرَافَقُوا فِي سَفَرٍ أَن يَشتَرِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم قِطعَةَ لَحمٍ وَيَشُكَّهَا فِي خَيطٍ . وَيَجمَعُونَ ٱللَّحمَ كُلَّهُ فِي قِدرٍ وَيُمسِكُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم بِطَرَفِ خَيطِهِ . فَإِذَا ٱستَوَى جَرَّ كُلٌّ مِنهُم خَيطَهُ وَأَكَلَ لَحمَهُ وَتَقَاسَمُوا ٱلمَرَقَ

رَأيُ بَخِيلٍ فِي ٱلشَّجَاعَةِ

قِيلَ لِبَخِيلٍ : مَن أَشجَعُ ٱلنَّاسِ . قَالَ : مَن سَمِعَ وَقعَ أَضرَاسِ ٱلنَّاسِ عَلَى طَعَامِهِ وَلَم تَنشَقَّ مَرَارَتُهُ

أَلْقِتَالُ عَلَى رَأْسِ دِيكٍ

حَكَى دِعْبِلُ ٱلْخُزَاعِيُّ قَالَ: أَتَيْتُ سَهْلَ بْنَ هَارُونَ فِي حَاجَةٍ فَأَطَلْتُ ٱلْجُلُوسَ عِنْدَهُ فَأَخَّرَ غَدَاءَهُ لِقِيَامِي فَجَلَسْتُ عَلَى عَمْدٍ(١) حَتَّى كَظَّهُ(٢) ٱلْجُوعُ. فَقَالَ: يَا غُلَامُ غَدِّنَا. فَجَاءَ بِمَائِدَةٍ وَعَلَيْهَا قَصْعَةٌ(٣) فِيهَا دِيكٌ مَطْبُوخٌ تَحْتَهُ ثَرِيدٌ قَلِيلٌ فَتَأَمَّلَ ٱلدِّيكَ فَرَآهُ بِلَا رَأْسٍ فَقَالَ لِلْغُلَامِ: أَيْنَ ٱلرَّأْسُ. قَالَ: رَمَيْتُ بِهِ. قَالَ وَلِمَ رَمَيْتَ بِهِ. قَالَ: ظَنَنْتُكَ لَا تَأْكُلُهُ. قَالَ: فَهَلَّا ظَنَنْتَ أَنَّ ٱلْعِيَالَ يَأْكُلُونَهُ. ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: لَوْ لَمْ أَكْرَهْ مِمَّا صَنَعَ إِلَّا ٱلطِّيَرَةَ(٤) لَكَانَ حَسْبِي فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: ٱلرَّأْسُ لِلرَّئِيسِ وَفِيهِ ٱلْحَوَاسُّ ٱلْأَرْبَعُ، وَمِنْهُ يَصِيحُ ٱلدِّيكُ، وَفِيهِ عُرْفُهُ ٱلَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ، وَعَيْنُهُ ٱلَّتِي يُضْرَبُ بِهَا ٱلْمَثَلُ فِي ٱلصَّفَاءِ، وَدِمَاغُهُ مَوْصُوفٌ لِوَجَعِ ٱلْكُلْيَتَيْنِ. وَلَمْ أَرَ عَظْماً قَطُّ أَهَشَّ(٥) تَحْتَ ضِرْسٍ مِنْ دِمَاغِ دِيكٍ. وَيْلَكَ ٱنْظُرْ أَيْنَ رَمَيْتَهُ. قَالَ: لَا أَدْرِي. قَالَ: لَكِنِّي أَنَا أَدْرِي أَيْنَ رَمَيْتَهُ، رَمَيْتَهُ فِي بَطْنِكَ ٱللهُ حَسْبُكَ

أَبْدَعُ تَخَلُّصٍ مِنَ ٱلْحَرْبِ

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ جَبَانٍ: أَلَا تَغْزُو ٱلْعَدُوَّ. قَال: وَكَيْفَ يَكُونُونَ لِي عَدُوًّا وَمَا أَعْرِفُهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَنِي

---

(١) عن قصد (٢) ملأه همّاً (٣) صفحة (٤) ما يتشاءم به مثل صوت [illegible]

(٥) ألين

اَلنُّخَالَةُ تَجْلُو الصَّدْرَ

إِشْتَكَى رَجُلٌ مَرْوَزِيٌّ صَدْرَهُ مِنْ سُعَالٍ . فَوَصَفُوا لَهُ سَوِيقَ اللَّوْزِ فَاسْتَثْقَلَ النَّفَقَةَ [١] وَرَأَى الصَّبْرَ عَلَى الْوَجَعِ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوَاءِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يُمَاطِلُ [٢] الْأَيَّامَ وَيُدَافِعُ الْآلَامَ إِذْ أَتَاهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ . فَوَصَفَ لَهُ مَاءَ النُّخَالَةِ وَقَالَ : إِنَّهُ يَجْلُو [٣] الصَّدْرَ . فَأَمَرَ بِالنُّخَالَةِ فَطُبِخَتْ لَهُ وَشَرِبَ مِنْ مَائِهَا فَجَلَا صَدْرَهُ وَوَجَدَهُ يَعْصِمُ [٤] فَلَمَّا حَضَرَ غَدَاؤُهُ أَمَرَ بِهِ فَرُفِعَ إِلَى الْعَشَاءِ وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : اُطْبُخِي لِأَهْلِ بَيْتِنَا النُّخَالَةَ ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَاءَهَا يَعْصِمُ وَيَجْلُو الصَّدْرَ . فَقَالَتْ لَقَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ بِهٰذِهِ النُّخَالَةِ بَيْنَ دَوَاءٍ وَغِذَاءٍ . فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى هٰذِهِ النِّعْمَةِ

ظِلُّ الْفُقَرَاءِ ثَقِيلٌ عَلَى الْبُخَلَاءِ

إِشْتَرَى رَجُلٌ مِنَ الْبُخَلَاءِ دَارًا وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا . فَوَقَفَ بِبَابِهِ سَائِلٌ فَقَالَ لَهُ: فَتَحَ اللهُ عَلَيْكَ . ثُمَّ وَقَفَ ثَانٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ . ثُمَّ وَقَفَ ثَالِثٌ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ . ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى ابْنَتِهِ فَقَالَ لَهَا : مَا أَكْثَرَ السُّؤَّالَ [٥] فِي هٰذَا الْمَكَانِ . قَالَتْ : يَا أَبَتِ مَا دُمْتَ مُسْتَمْسِكًا لَهُمْ بِهٰذِهِ الْكَلِمَةِ فَمَا تُبَالِي كَثُرُوا أَوْ قَلُّوا

---

(١) النفقة ما تنفقه اي تصرفه من الدراهم (٢) من ماطله اذا سوّفه اي قال له مرة بعد مرة سوف افعل (٣) يروّق (٤) يمنع من الجوع (٥) المستعطين

بَطْنُ ٱلْبَخِيلِ كَٱلْمَقْبَرَةِ لَا تَرْفُضُ مَيْتًا

أَكَلَ أَعْرَابِيٌّ مَعَ أَبِي ٱلْأَسْوَدِ رُطَبًا[1] فَأَكْثَرَ. وَمَدَّ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ يَدَهُ إِلَى رُطَبَةٍ لِيَأْخُذَهَا. فَسَبَقَهُ ٱلْأَعْرَابِيُّ إِلَيْهَا فَسَقَطَتْ مِنْهُ فِي ٱلتُّرَابِ. فَأَخَذَهَا أَبُو ٱلْأَسْوَدِ. وَقَالَ: لَا أَدَعُهَا لِلشَّيْطَانِ يَأْكُلُهَا. فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ: وَٱللهِ لَوْ نَزَلَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَا تَرَكْتُهَا لَهُمَا

جَوَابٌ أَحَدُّ مِنَ ٱلسَّهْمِ

حَضَرَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَائِدَةِ بَعْضِ ٱلْخُلَفَاءِ. فَقُدِّمَ جَدْيٌ مَشْوِيٌّ. فَجَعَلَ ٱلْأَعْرَابِيُّ يُسْرِعُ فِي أَكْلِهِ مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْخَلِيفَةُ: أَرَاكَ تَأْكُلُ بِحَرَدٍ[2] كَأَنَّ أُمَّهُ نَطَحَتْكَ. فَقَالَ: أَرَاكَ تُشْفِقُ[3] عَلَيْهِ كَأَنَّ أُمَّهُ أَرْضَعَتْكَ

بَطْنٌ يَسَعُ حِمَارًا

مَرَّ مَيْسَرَةُ يَوْمًا بِقَوْمٍ وَهُوَ رَاكِبٌ حِمَارًا. فَدَعَوْهُ لِلضِّيَافَةِ فَذَبَحُوا لَهُ حِمَارَهُ وَقَدَّمُوهُ لَهُ فَأَكَلَهُ كُلَّهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلَبَ حِمَارَهُ لِيَرْكَبَهُ فَقِيلَ لَهُ فِي بَطْنِكَ

ٱلْفَرَجُ بَعْدَ ٱلشِّدَّةِ

قِيلَ لِبَعْضِ ٱلْبُخَلَاءِ: مَا ٱلْفَرَجُ بَعْدَ ٱلشِّدَّةِ. قَالَ: أَنْ يَعْتَذِرَ ٱلضَّيْفُ بِٱلصَّوْمِ

---

(١) الرطب نضيج البسر وهو التمر قبل إرطابه (٢) بغضب (٣) تحنو وتعطف

إِسْرَافُ ٱلْبُخَلَاءِ

قَالَ خَاقَانُ بْنُ صُبْحٍ : دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ لَيْلًا . فَأَتَانَا بِمَسْرَجَةٍ فِيهَا فَتِيلَةٌ فِي غَايَةِ الرِّقَّةِ . وَقَدْ عَلَّقَ فِيهَا عُودًا بِخَيْطٍ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا بَالُ هٰذَا ٱلْعُودِ مَرْبُوطًا . قَالَ : قَدْ شَرِبَ ٱلدُّهْنَ ، وَإِذَا ضَاعَ وَلَمْ نَحْفَظْهُ ٱحْتَجْنَا إِلَى غَيْرِهِ فَلَا نَجِدُ إِلَّا عُودًا عَطْشَانَ ، وَنَخْشَى أَنْ يَشْرَبَ ٱلدُّهْنَ . قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا أَتَعَجَّبُ وَأَسْأَلُ ٱللهَ ٱلْعَافِيَةَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مَرْوٍ . فَنَظَرَ إِلَى ٱلْعُودِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ : يَا فُلَانُ لَقَدْ فَرَرْتَ مِنْ شَيْءٍ وَوَقَعْتَ فِيمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلرِّيحَ وَٱلشَّمْسَ يَأْخُذَانِ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَشْيَاءِ وَيُنَشِّفَانِ هٰذَا ٱلْعُودَ . لِمَ مَا ٱتَّخَذْتَ مَكَانَ هٰذَا ٱلْعُودِ إِبْرَةً مِنْ حَدِيدٍ . فَإِنَّ ٱلْحَدِيدَ أَمْلَسُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ غَيْرُ نَشَّافٍ . وَٱلْعُودُ أَيْضًا رُبَّمَا تَعَلَّقَ بِهِ شَعْرَةٌ مِنْ قُطْنِ ٱلْفَتِيلَةِ فَيَنْقُصُهَا . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ ٱلْخُرَاسَانِيُّ : أَرْشَدَكَ ٱللهُ وَنَفَعَ بِكَ . وَلَقَدْ كُنْتَ فِي ذٰلِكَ مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (١)

ٱلنَّاسُ يَكْرَهُونَ ٱلْمَوْتَ حَتَّى عَلَى ٱلْفِرَاشِ

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَلَا تَغْزُو ٱلْعَدُوَّ . قَالَ : وَٱللهِ إِنِّي لَأُبْغِضُ ٱلْمَوْتَ عَلَى فِرَاشِي ، فَكَيْفَ إِنْ أَخُبَّ (٢) إِلَيْهِ رَكْضًا

---

(١) المبذرين (٢) من خبَّ الفرس اذا مشى الخبب وهو نوع من العدو اي الجري

تَفَنُّنُ ٱلْبُخَلَاء

قَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْبُخَلَاءِ لِأَوْلَادِهِ: ٱشْتَرُوا لِي لَحْماً فَٱشْتَرُوهُ فَأَمَرَ بِطَبْخِهِ. فَلَمَّا ٱسْتَوَى أَكَلَهُ جَمِيعَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي يَدِهِ إِلَّا عَظْمَةٌ، وَعُيُونُ أَوْلَادِهِ تَرْمُقُهُ[1]. فَقَالَ: مَا أُعْطِي أَحَدًا مِنْكُمْ هٰذِهِ ٱلْعَظْمَةَ حَتَّى يُحْسِنَ وَصْفَ أَكْلِهَا. فَقَالَ وَلَدُهُ ٱلْأَكْبَرُ: أَمُشُّهَا[2] يَا أَبَتِ وَأَمُصُّهَا حَتَّى لَا أَدَعَ لِلذَّرِّ[3] فِيهَا مَقِيلًا[4]. قَالَ: لَسْتَ بِصَاحِبِهَا. فَقَالَ ٱلْأَوْسَطُ: أَلُوكُهَا[5] يَا أَبَتِ وَأَلْحَسُهَا حَتَّى لَا يَدْرِي أَحَدٌ لِعَامٍ هِيَ أَمْ لِعَامَيْنِ. قَالَ: لَسْتَ بِصَاحِبِهَا. فَقَالَ ٱلْأَصْغَرُ: يَا أَبَتِ أَمُصُّهَا ثُمَّ أَدُقُّهَا[6] وَأَسُفُّهَا[7] سَفًّا. قَالَ: أَنْتَ صَاحِبُهَا وَهِيَ لَكَ، زَادَكَ ٱللهُ مَعْرِفَةً وَحَزْماً

أَلْوَلَدُ ٱلْأَبْلَهُ مُصِيبَةٌ عَلَى أَهْلِهِ

أَرْسَلَ رَجُلٌ وَلَدَهُ يَشْتَرِي لَهُ رِشَاءً[8] لِلْبِئْرِ طُولُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعاً. فَوَصَلَ إِلَى نِصْفِ ٱلطَّرِيقِ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا أَبَتِ عِشْرُونَ فِي عَرْضِ كَمْ. قَالَ: فِي عَرْضِ مُصِيبَتِي فِيكَ يَا بُنَيَّ

---

(١) تطيل النظر اليه (٢) من مشّ العظم اذا مصّ اطرافه (٣) اصغار النمل (٤) المقيل موضع القيلولة وهي النوم في نصف النهار والمراد به هنا المكان من باب اطلاق الخاص على العام (٥) من لاك الشيء اذا مضغه اهون المضغ واداره في فمه (٦) اكسرها (٧) سف الشيء اخذه غير ملتوت اي عن [illegible] (٨) الرشاء حبل الدلو

ألعَسَلُ يَحرِقُ ٱلقلبَ

حُكِيَ عَنْ بَعضِ ٱلبُخَلاءِ أَنَّهُ ٱستَأْذَنَ عَلَيْهِ ضَيفٌ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبزٌ وَصَحْفَةٌ فِيهَا عَسَلُ نَحلٍ . فَرَفَعَ ٱلخُبزَ وَأَرَادَ أَنْ يَرْفَعَ ٱلعَسَلَ . فَدَخَلَ ٱلضَّيفُ مِنْ قَبلِ أَنْ يَرفَعَهُ . فَظَنَّ ٱلبَخِيلُ أَنَّ ضَيفَهُ لَا يَأْكُلُ ٱلعَسَلَ بِلَا خُبزٍ فَقَالَ لَهُ : تُرَى أَنْ تَأْكُلَ عَسَلًا بِلَا خُبزٍ . قَالَ: نَعَمْ ، وَجَعَلَ يَلعَقُ ٱلعَسَلَ لَعقَةً بَعدَ لَعقَةٍ . فَقَالَ لَهُ ٱلبَخِيلُ : مَهْلًا يَا أَخِي وَٱللهِ إِنَّهُ يَحرِقُ ٱلقَلبَ . قَالَ : نَعَمْ صَدَقْتَ وَلٰكِنَّهُ قَلبُكَ

أَلطَّبِيبُ وَٱلحَفَّارُ حَولَ مَرِيضٍ

كَانَ لِرَجُلٍ غُلَامٌ مِنْ أَكسَلِ ٱلنَّاسِ . فَأَرسَلَهُ يَوماً يَشتَرِي لَهُ عِنَباً وَتِيناً . فَأَبطَأَ عَلَيْهِ حَتَّى عِيلَ[1] صَبرُهُ . ثُمَّ جَاءَ بِأَحَدِهِمَا فَضَرَبَهُ وَقَالَ: يَنْبَغِي لَكَ إِذَا ٱستَقْضَيْتُكَ حَاجَةً أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَيْنِ . فَمَرِضَ ٱلرَّجُلُ فَأَمَرَ ٱلغُلَامَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِطَبِيبٍ . فَغَابَ ثُمَّ جَاءَ بِٱلطَّبِيبِ وَمَعَهُ رَجُلٌ آخَرُ . فَسَأَلَهُ عَنْهُ . فَقَالَ : أَمَا ضَرَبْتَنِي وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَقضِيَ حَاجَتَيْنِ فِي حَاجَةٍ . فَجِئْتُكَ بِٱلطَّبِيبِ ، فَإِنْ شَفَاكَ ٱللهُ تَعَالَى . وَإِلَّا حَفَرَ لَكَ هٰذَا قَبرَكَ . فَهٰذَا طَبِيبٌ وَهٰذَا حَفَّارٌ

---

(١) غابَ

مَا أَقْبَحَ الْجَبَانَةَ فِي الرِّجَالِ

حَدَّثَ جَارٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ النُّمَيْرِيِّ قَالَ : كَانَ لِأَبِي حَنِيفَةَ سَيْفٌ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَصَا فَرْقٌ . وَكَانَ يُسَمِّيهِ لُعَابَ[1] الْمَنِيَّةِ . فَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدِ انْتَضَاهُ[2] وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ . وَقَدْ سَمِعَ حِسًّا[3] فِي دَارِهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا الْمُغْتَرُّ بِنَا الْمُجْتَرِئُ[4] عَلَيْنَا بِئْسَ وَاللهِ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ ، خَيْرٌ قَلِيلٌ وَسَيْفٌ صَقِيلٌ ، اخْرُجْ بِالْعَفْوِ عَنْكَ قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ بِالْعُقُوبَةِ عَلَيْكَ . ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ عَلَى وَجَلٍ[5] فَإِذَا كَلْبٌ قَدْ خَرَجَ . فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَسَخَكَ[6] كَلْبًا وَكَفَانَا حَرْبًا

***

وَقَعَ فِي بَعْضِ الْعَسَاكِرِ ضَجَّةٌ فَوَثَبَ خُرَاسَانِيٌّ إِلَى دَابَّتِهِ لِيُلْجِمَهَا . فَصَيَّرَ اللِّجَامَ فِي الذَّنَبِ مِنَ الدَّهَشِ[8] وَقَالَ يُخَاطِبُ الْفَرَسَ هَبْ جَبْهَتَكَ عَرُضَتْ فَنَاصِيَتُكَ[9] كَيْفَ طَالَتْ

---

(١) اللعاب ما سال من الفم . ولعاب الحية سمها (٢) استله (٣) حركة (٤) من اجترأ عليه اذا تشجع (٥) خوف (٦) مسخه حوّل صورته التي كان عليها الى اخرى اقبح (٧) اي غنانا عن الحرب (٨) الحيرة (٩) الناصية قصاص الشعر اي حيث تنتهي نبتته من مقدمه الى مؤخره

أبو دُلامةَ يهجو نفسَهُ

دخلَ أبو دُلامةَ على المهديِّ وعندهُ إسماعيلُ بنُ عليٍّ وعيسى ابنُ موسى والعبّاسُ بنُ محمّدٍ وجماعةٌ من بني هاشمٍ. فقالَ لهُ المهديُّ: واللهِ لئنْ لمْ تهجُ واحدًا ممّنْ في هذا البيتِ لأقطعنَّ لسانَكَ. فنظرَ إلى القومِ وتحيّرَ في أمرِهِ، وجعلَ ينظرُ إلى كلِّ واحدٍ فيغمزُهُ بأنَّ عليهِ رضاهُ. قالَ أبو دُلامةَ: فازددتُ حيرةً فما رأيتُ أسلمَ لي منْ أنْ أهجوَ[1] نفسي فقلتُ:

ألا أبلغْ لديكَ أبا دُلامهْ ... فلستَ منَ الكرامِ ولا كرامهْ

جمعتَ دمامةً[2] وجمعتَ لؤمًا ... كذاكَ اللؤمُ تتبعُهُ الدمامهْ

إذا لبسَ العمامةَ قلتُ قردًا ... وخنزيرًا إذا نزعَ العمامهْ

فضحكَ القومُ ولمْ يبقَ منهمْ أحدٌ إلّا أجازهْ

كلبٌ يمنعُ منْ دخولِ الجنّةِ

قيلَ لعثمانَ بنِ دارجٍ الطُّفيليِّ يومًا: أتعرفُ بستانَ فلانٍ قالَ: إيْ واللهِ إنّهُ الجنّةُ الحاضرةُ في الدنيا. قيلَ: لِمَ لا تدخلُهُ وتأكلُ منْ ثمارِهِ وتستظلُّ بأشجارِهِ وتسبحُ في أنهارِهِ. قالَ: لأنَّ فيهِ كلبًا لا يتمضمضُ إلّا بدماءِ عراقيبِ[3] الرّجالِ

---

(١) اعيب (٢) قبحاً (٣) جمع عرقوب وهو عصب غليظ فوق عقب الانسان

قاضٍ مُنصِفٌ

تحاكَمَ ٱلرَّشيدُ وزُبَيْدَةُ إلى أبي يوسفَ ٱلقاضي في ٱلفالُوذَجِ [1] وٱللَّوزِينَجِ [2] أيُّهما أطيبُ. فقالَ أبو يوسفَ: يا أميرَ ٱلمؤمنينَ لا يُقضَى على غائبٍ. فأمرَ ٱلرَّشيدُ بإحضارِهما وقدَّما بينَ يدَيْ أبي يوسفَ. فجعلَ يأكلُ من هذا مرَّةً ومن هذا مرَّةً حتَّى نصَفَ [3] ٱلجامَيْنِ [4]. فقالَ لهُ ٱلرَّشيدُ: ٱحكُمْ. فقالَ: يا أميرَ ٱلمؤمنينَ ما رأيتُ أعدلَ منهما. كلَّما أردتُ أنْ أحكُمَ لأحدِهما أتى ٱلآخرُ بحُجَّتِهِ

مُعجِزَةٌ نادِرَةٌ

تنبَّأَ إنسانٌ فطالبوهُ بحضرةِ ٱلمأمونِ بمُعجِزةٍ. فقالَ: أطرحُ لكُمْ حصاةً في ٱلماءِ فتذوبُ. قالوا: رضينا. فأخرجَ حصاةً معهُ وطرحَها في ٱلماءِ فذابَتْ. فقالوا: هذهِ حيلةٌ ولكنْ نُعطيكَ حصاةً من عندِنا ودَعْها تذوبُ. فقالَ: لستُمْ أجلَّ من فرعونَ ولا أنا أعظمَ حكمةً من موسى، ولمْ يقُلْ فرعونُ لموسى: لمْ أرضَ بما تفعلُهُ بعصاكَ حتَّى أُعطيَكَ عصاً من عندي تجعلُها ثُعبانًا. فضحِكَ ٱلمأمونُ وأجازَهُ

---

(١) حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وهي اطيب الحلاوات عند العرب (٢) اللوزينج من الحلويات شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز (٣) نصف الشيء اخذ نصفه (٤) مثنى الجام وهو اناء من فضة، من كأس ومشربة ونحوهما

أَبُو دُلَامَةَ وَٱلْمَهْدِيُّ

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ ٱلشَّاعِرُ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ فَأَنْشَدَهُ أَبْيَاتًا أُعْجِبَ بِهَا . فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي أَبَا دُلَامَةَ وَٱحْتَكِمْ وَأَفْرِطْ مَا شِئْتَ . فَقَالَ : كَلْبَ صَيْدٍ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَصْطَادُ بِهِ . قَالَ : قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِكَلْبٍ ، وَهٰهُنَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُكَ [١] . قَالَ : لَا تُعَجِّلْ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ بَقِيَ عَلَيَّ . قَالَ : وَمَا بَقِيَ عَلَيْكَ . قَالَ : غُلَامٌ يَقُودُ ٱلْكَلْبَ . قَالَ: وَغُلَامٌ يَقُودُ ٱلْكَلْبَ . قَالَ : وَخَادِمٌ يَطْبُخُ ٱلصَّيْدَ . قَالَ : وَخَادِمٌ يَطْبُخُ ٱلصَّيْدَ . قَالَ: هٰؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِيَالٌ . وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ دَارٍ يَسْكُنُونَهَا . قَالَ : أَعْطُوهُ دَارًا تَجْمَعُهُمْ قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَيْعَةٌ فَمِنْ أَيْنَ يَعِيشُونَ . قَالَ: أَقْطَعْتُكَ [٢] عَشْرَ ضِيَاعٍ عَامِرَةٍ وَعَشْرَ ضِيَاعٍ غَامِرَةٍ . قَالَ : وَمَا ٱلْغَامِرَةُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَا نَبَاتَ فِيهَا . قَالَ : أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِئَةَ ضَيْعَةٍ غَامِرَةٍ مِنْ فَيَافِي [٣] بَنِي أَسَدٍ . فَضَحِكَ وَقَالَ : قَدْ جَعَلْتُهَا كُلَّهَا لَكَ عَامِرَةً . قَالَ : فَيَأْذَنُ لِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي تَقْبِيلِ يَدِهِ . قَالَ : أَمَّا هٰذِهِ فَدَعْهَا . قَالَ : مَا مَنَعْتَ عِيَالِي شَيْئًا أَيْسَرَ فَقْدًا عَلَيْهِمْ مِنْ هٰذِهِ .

---

(١) رغبتك (٢) اقطعه الضيعة جعل له غلتها رزقاً (٣) جمع فيفاء وهي المفازة لا ماء فيها

بَيْتُ الفُقَرَاءِ كَالقَبْرِ

مَرَّتْ جِنَازَةٌ يَوْماً بِعُثْمَانَ الطُّفَيْلِيِّ وَمَعَهُ ٱبْنُهُ وَمَعَ الجِنَازَةِ ٱمْرَأَةٌ تَبْكِي وَتَقُولُ: الآنَ يَذْهَبُونَ بِكَ إِلَى بَيْتٍ لَا فِرَاشَ فِيهِ وَلَا غِطَاءَ وَلَا وِطَاءَ[1] وَلَا خُبْزَ وَلَا مَاءَ. فَقَالَ لَهُ ٱبْنُهُ: يَا أَبَتِ أَإِلَى بَيْتِنَا يَذْهَبُونَ

أَبُو دُلَامَةَ يَهْجُو بِنْتَهُ عِنْدَ المَهْدِيِّ

وُلِدَ لِأَبِي دُلَامَةَ ٱبْنَةٌ لَيْلًا. فَأَوْقَدَ السِّرَاجَ وَجَعَلَ يَخِيطُ خَرِيطَةً[2]. فَلَمَّا أَصْبَحَ طَوَاهَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَغَدَا بِهَا إِلَى المَهْدِيِّ فَٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ. وَكَانَ لَا يُحْجَبُ عَلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ:

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ لَقِيلَ ٱقْعُدُوا يَا آلَ عَبَّاسِ
ثُمَّ ٱرْتَقُوا مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ فِي دَرَجٍ
إِلَى السَّمَاءِ فَأَنْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ

قَالَ لَهُ المَهْدِيُّ: أَحْسَنْتَ وَٱللهِ يَا أَبَا دُلَامَةَ. فَمَا الَّذِي غَدَا بِكَ إِلَيْنَا. قَالَ: وُلِدَتْ لِي جَارِيَةٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَهَلْ قُلْتَ فِيهَا شِعْرًا. قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ:

فَمَا وَلَدَتْكِ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى وَلَمْ يَكْفُلْكِ[3] لُقْمَانُ الحَكِيمُ

---

(١) الوطاء خلاف الغطاء (٢) وعاء (٣) من كفله اذ عاله وانفق عليه وقام به

وَلٰكِنْ قَدْ تَضُمُّكِ أُمُّ سُوءٍ ... إِلَى لَبَّاتِهَا[1] وَأَبٌ لَئِيمُ

فَضَحِكَ ٱلْمَهْدِيُّ وَقَالَ لَهُ : فَمَا تُرِيدُ أَنْ أُعِينَكَ بِهِ فِي تَرْبِيَتِهَا أَبَا دُلَامَةَ . قَالَ : تَمْلَأُ هٰذِهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِٱلْخَرِيطَةِ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ . فَقَالَ ٱلْمَهْدِيُّ . وَمَا عَسَى أَنْ تَحْمِلَ هٰذِهِ . قَالَ مَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِٱلْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ بِٱلْكَثِيرِ . فَأَمَرَ أَنْ تُمْلَأَ مَالًا . فَلَمَّا نُشِرَتْ أَخَذَتْ عَلَيْهِمْ صَحْنَ ٱلدَّارِ . فَدَخَلَ فِيهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ .

أَلْطَفُ عُذْرٍ مِنَ ٱلْإِحْجَامِ عَنِ ٱلْأَهْوَالِ

قِيلَ لِرَجُلٍ جَبَانٍ فِي بَعْضِ ٱلْوَقَائِعِ[2] : تَقَدَّمْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَقَالُوا تَقَدَّمْ قُلْتُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ ... أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي[3] أَنْ تُحَطَّمَا[4]

فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتْلَفْتُ وَاحِدًا ... وَلٰكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا رَاحَ أَعْقَمَا[5]

وَلَوْ كَانَ مُبْتَاعًا لَدَى ٱلسُّوقِ مِثْلُهُ ... فَعَلْتُ وَلَمْ أَحْفِلْ[6] بِأَنْ أَتَقَدَّمَا

فَأُوتِمُ أَوْلَادًا وَأُرْمِلُ نِسْوَةً ... فَكَيْفَ عَلَى هٰذَا تَرَوْنَ ٱلتَّقَدُّمَا

---

(١) اللبات جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر (٢) جمع وقيعة وهي صدمة الحرب والقتال (٣) المراد بها هنا الرأس (٤) تكسر (٥) اي لم يعد ينبت (٦) أهتم

أَبُو دُلَامَةَ فِي بَيْتِ ٱلدَّجَاجِ

كَانَ ٱلْمَهْدِيُّ قَدْ كَسَا أَبَا دُلَامَةَ سَاجاً[١] فَأُخِذَ بِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ. فَأُتِيَ بِهِ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ ٱلسَّاجِ عَلَيْهِ وَأَنْ يُحْبَسَ فِي بَيْتِ ٱلدَّجَاجِ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ ٱللَّيْلِ صَحَا أَبُو دُلَامَةَ مِنْ سُكْرِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ بَيْنَ ٱلدَّجَاجِ فَصَاحَ: يَا صَاحِبَ ٱلْبَيْتِ. فَٱسْتَجَابَ لَهُ ٱلسَّجَّانُ وَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَدُوَّ ٱللهِ. قَالَ: وَيْلَكَ مَنْ أَدْخَلَنِي مَعَ ٱلدَّجَاجِ. قَالَ: أَعْمَالُكَ ٱلْخَبِيثَةُ. أُتِيَ بِكَ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ سَكْرَانُ، فَأَمَرَ بِتَمْزِيقِ سَاجِكَ وَحَبْسِكَ مَعَ ٱلدَّجَاجِ. فَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ أَوْقِدْ لِي سِرَاجاً وَجِئْنِي بِدَوَاةٍ وَوَرَقٍ. فَكَتَبَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ:

أَمِنْ صَهْبَاءَ[٢] صَافِيَةِ ٱلْمِزَاجِ ... كَأَنَّ شُعَاعَهَا لَهَبُ ٱلسِّرَاجِ
تَهَشُّ لَهَا ٱلنُّفُوسُ وَتَشْتَهِيهَا ... إِذَا بَرَزَتْ تَرَقْرَقُ[٣] فِي ٱلزُّجَاجِ
أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَدَتْكَ نَفْسِي ... عَلَامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أُقَادُ إِلَى ٱلسُّجُونِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... كَأَنِّي بَعْضُ عُمَّالِ ٱلْخَرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَهَانَ ذَاكُمْ[٤] ... وَلٰكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ ٱلدَّجَاجِ
دَجَاجَاتٌ يُطِيفُ بِهِنَّ دِيكٌ ... يُنَادِي بِٱلصِّيَاحِ إِذَا يُنَاجِي

---

(١) الساج كساء مدور اخضر لا اسفل له (٢) الصهباء الخمرة المعصورة من عنب ابيض (٣) اي تترقرق بمعنى تتلألأ (٤) اي ذلك والميم للتنبيه على حالة المخاطب.

وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي ... بِأَنِّي مِنْ عَذَابِكَ غَيْرُ نَاجِي

عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا ... لِخَيْرِكَ بَعْدَ ذَاكَ الشَّرِّ رَاجِي

ثُمَّ قَالَ أَوْصِلْهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ السَّجَّانُ . فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ بِتَّ اللَّيْلَةَ أَبَا دُلَامَةَ . قَالَ: مَعَ الدَّجَاجِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ . قَالَ كُنْتُ أُقَوْقِي [1] مَعَهُنَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ . فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ جَزِيلَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ كُسْوَةً شَرِيفَةً

أَنْتَ ثَقِيلٌ عَلَيَّ وَأَنْتَ فِي بَيْتِكَ

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِلْأَعْمَشِ وَأَتَاهُ عَائِدًا فِي مَرَضِهِ : لَوْلَا أَنْ أُثَقِّلَ عَلَيْكَ أَبَا مُحَمَّدٍ لَعُدْتُكَ [2] وَاللهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَشُ : وَاللهِ يَا ابْنَ أَخِي أَنْتَ ثَقِيلٌ عَلَيَّ وَأَنْتَ فِي بَيْتِكَ ، فَكَيْفَ لَوْ جِئْتَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ

عِظَةٌ لِطُلَّابِ الْوَجَاهَةِ

لَمَّا وَلِيَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْوِزَارَةَ رَأَى النَّاسَ يَمْشُونَ حَوْلَهُ كَمَا كَانُوا يَمْشُونَ حَوْلَ الْوُزَرَاءِ قَبْلَهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: إِنَّا لَا نَرْضَى لِعَبِيدِنَا أَنْ يَفْعَلُوا هٰذَا مَعَنَا فَكَيْفَ نُكَلِّفُهُ قَوْمًا أَحْرَارًا لَا إِحْسَانَ لَنَا عَلَيْهِمْ . وَمَنَعَهُمْ مِنَ الْمَشْيِ فِي رِكَابِهِ

---

(١) اصيح (٢) من عاد المريض اذا زاره

أَلطَفُ سُؤَالٍ مِنْ أَبرَعِ سَائِلٍ

نَظَرَ زِيَادٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ ضَبَّةَ يَأْكُلُ أَكْلًا قَبِيحاً وَهُوَ أَقْبَحُ ٱلنَّاسِ وَجْهاً . فَقَالَ : يَا أَخَا ضَبَّةَ كَمْ عِيَالُكَ . قَالَ : سَبْعُ بَنَاتٍ أَنَا أَجْمَلُ مِنْهُنَّ وَهُنَّ آكَلُ مِنِّي . فَضَحِكَ زِيَادٌ وَقَالَ : لِلّهِ دَرُّكَ مَا أَلطَفَ سُؤَالَكَ ، اَفْرِضُوا[1] لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ مِئَةً وَخَادِماً وَعَجِّلُوا لَهُنَّ بِأَرْزَاقِهِنَّ . فَخَرَجَ ٱلضَّبِّيُّ وَهُوَ يَقُولُ :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ[2] ٱلسَّمَاحَةِ وَٱلنَّدَى
فَنَادِ زِيَادًا أَوْ أَخاً لِزِيَادِ
يُجِبْكَ ٱمْرُؤٌ يُعْطِي عَلَى ٱلحَمْدِ مَالَهُ
إِذَا ضَنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ كُلُّ جَوَادِ
وَمَالِيَ لَا أُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنَّمَا
طَرِيفِي[3] مِنْ مَعْرُوفِكُمْ وَتِلَادِي

---

(١) من فرض لفلان كذا اذا اداه وجعله له فريضة (٢) من ارتاد الشيء اذا طلبه (٣) الطريف الحديث المكتسب من المال ويقابله التلاد اي ... المال القديم الاصلي

الباب الرابع

في اللطائف

قِيلَ لِرَجُلٍ: بِمَ سَادَكُمُ ٱلْأَحْنَفُ، فَوَٱللهِ مَا كَانَ بِأَكْبَرِكُمْ سِنًّا وَلَا بِأَكْثَرِكُمْ مَالًا. فَقَالَ: بِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ عَلَى لِسَانِهِ

وَقَالَ كِسْرَى لِشِيرِينَ: مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْمُلْكَ لَوْ دَامَ. فَقَالَتْ. لَوْ دَامَ لِأَحَدٍ مَا ٱنْتَقَلَ إِلَيْنَا

أَحْكَمُ ٱلنَّاسِ

قِيلَ لِلْعَتَابِيِّ: لِمَ لَا تَصْحَبُ ٱلسُّلْطَانَ عَلَى[1] مَا فِيكَ مِنَ ٱلْأَدَبِ. قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُهُ يُعْطِي عَشَرَةَ آلَافٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ. وَيَرْمِي مِنَ ٱلسُّورِ فِي غَيْرِ شَيْءٍ. وَلَا أَدْرِي أَيَّ ٱلرَّجُلَيْنِ أَكُونُ

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ ٱلظُّلْمِ لَا يَظْلِمْ

رُوِيَ أَنَّ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ ٱلتَّأْدِيبِ يُعَلِّمُهُ حَتَّى فَاقَ[2] فِي ٱلْعُلُومِ. فَضَرَبَهُ ٱلْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ

---

(١) مع (٢) رجح وغلب وعلا

فَأَوْجَعَهُ . فَحَقَدَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا وَلِيَ ٱلْمُلْكَ قَالَ لِلْمُعَلِّمِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ظُلْماً . فَقَالَ لَهُ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْغَبُ فِي ٱلْعِلْمِ رَجَوْتُ لَكَ ٱلْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُذِيقَكَ طَعْمَ ٱلظُّلْمِ لِئَلَّا تَظْلِمَ

أَلْعُقَلَاءُ يَنْتَفِعُونَ مِنَ ٱلْمَوَاعِظِ

رُوِيَ أَنَّ ٱلْمَأْمُونَ أَرِقَ[1] ذَاتَ لَيْلَةٍ فَٱسْتَدْعَى سَمِيرًا[2] يُحَدِّثُهُ . فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَانَ بِٱلْمَوْصِلِ بُومَةٌ وَبِٱلْبَصْرَةِ بُومَةٌ . فَخَطَبَتْ بُومَةُ ٱلْمَوْصِلِ بِنْتَ بُومَةِ ٱلْبَصْرَةِ لِٱبْنِهَا . فَقَالَتْ بُومَةُ ٱلْبَصْرَةِ: لَا أُجِيبُ خِطْبَةَ ٱبْنِكِ حَتَّى تَجْعَلِي لِي فِي صِدَاقِ[3] ٱبْنَتِي مِئَةَ ضَيْعَةٍ خَرِبَةٍ . فَقَالَتْ بُومَةُ ٱلْمَوْصِلِ : لَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا وَلٰكِنْ إِنْ دَامَ وَالِينَا سَلَّمَهُ ٱللهُ عَلَيْنَا سَنَةً وَاحِدَةً فَعَلْتُ ذٰلِكَ . فَٱسْتَيْقَظَ[4] لَهَا ٱلْمَأْمُونُ وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ وَأَنْصَفَ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَتَفَقَّدَ ٱلْوُلَاةَ وَٱلْعُمَّالَ وَٱلرَّعِيَّةَ

---

(١) سهر في الليل (٢) السمير الذي يشاركك في الحديث ليلًا
(٣) الصداق مهر المرأة وهو ما يدفع لها وقت التزويج من المال او النفقة
(٤) فتنبّه

أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنسَى ٱلجَائِعَ

حُكِيَ أَنَّ يُوسُفَ لَمَّا مَلَكَ خَزَائِنَ ٱلْأَرْضِ كَانَ يَجُوعُ وَيَأْكُلُ مِنْ خُبْزِ ٱلشَّعِيرِ . فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ ٱلْأَرْضِ . فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنسَى ٱلْجَائِعَ

نِعْمَ ٱلخَلَفُ

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ لِأَبِيهِ : يَاأَبَتِ إِنِّي لَأَسْتَحِيي أَنْ أَطْعَمَ طَعَاماً وَجِيرَانِي لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِهِ . فَكَانَ أَبُوهُ يَقُولُ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيكَ خَلَفٌ مِنْ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ

كَيْفَ تُصَانُ ٱلوُجُوهُ

كَانَ ٱلْأُسْتَاذُ أَبُو سَهْلٍ ٱلصُّعْلُوكِيُّ مِنَ ٱلْأَجْوَادِ . لَمْ يُنَاوِلْ أَحَدًا شَيْئاً وَإِنَّمَا كَانَ يَطْرَحُهُ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَتَنَاوَلُهُ ٱلْآخِذُ مِنَ ٱلْأَرْضِ . وَكَانَ يَقُولُ : ٱلدُّنْيَا أَقَلُّ خَطَرًا [1] مِنْ أَنْ تُرَى مِنْ أَجْلِهَا يَدٌ فَوْقَ يَدٍ أُخْرَى

---

(١) قدرًا وشرفاً

وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ

رُوِيَ أَنَّ ٱلْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ أَرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ يَسْتَعِيرُ مِنْهُ قُدُورًا كَانَتْ لِأَبِيهِ حَاتِمٍ . فَمَلَأَهَا مَالًا وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّا لَا نُعِيرُهَا فَارِغَةً

أَلْكَرَمُ فِطْرَةٌ

قَدِمَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ مَرَّةً فَأَهْدَى إِلَيْهِ مِنْ هَدَايَا ٱلنَّيْرُوزِ حُلَلًا كَثِيرَةً وَمِسْكًا وَآنِيَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَوَجَّهَهَا إِلَيْهِ مَعَ حَاجِبِهِ . فَلَمَّا وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَى ٱلْحَاجِبِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهُ : هَلْ فِي نَفْسِكَ مِنْهَا شَيْءٌ . قَالَ: نَعَمْ وَٱللهِ إِنَّ فِي نَفْسِي مِنْهَا مَا كَانَ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ مِنْ يُوسُفَ . فَضَحِكَ عَبْدُ ٱللهِ وَقَالَ خُذْهَا فَهِيَ لَكَ . قَالَ جُعِلْتُ فِدَاكَ . أَخَافُ أَنْ يَبْلُغَ ذٰلِكَ مُعَاوِيَةَ فَيَجِدَ[1] عَلَيَّ . قَالَ : فَٱخْتِمْهَا بِخَاتَمِكَ وَٱدْفَعْهَا إِلَى ٱلْخَازِنِ فَإِذَا كَانَ وَقْتُ خُرُوجِنَا حَمَلْنَاهَا إِلَيْكَ لَيْلًا . فَقَالَ ٱلْحَاجِبُ : وَٱللهِ لَهٰذِهِ ٱلْحِيلَةُ فِي ٱلْكَرَمِ أَكْثَرُ مِنَ ٱلْكَرَمِ

---

(١) فيحقد

كَرِيمٌ يَجُودُ بِمَا يَجُودُونَ عَلَيهِ

سَمِعَ ٱلْمَأْمُونُ قَوْلَ عُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ :

أَأَتْرُكُ إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمَ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذًا لَلَئِيمُ

فَقَالَ: أَوَ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ. ٱحْمِلُوا إِلَيْهِ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَعَثَهَا خَالِدُ بْنُ يَحْيَى إِلَى عُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ وَقَالَ : هٰذِهِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِكَ

كَيفَ تَصُونُ ٱلكُرَمَاءُ مَاءَ ٱلوُجُوهِ

تَعَشَّى ٱلنَّاسُ لَيْلَةً عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ . فَلَمَّا خَرَجُوا بَقِيَ فَتًى مِنَ ٱلشَّامِ قَاعِدًا . فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ. أَلَكَ حَاجَةٌ، وَأَطْفَأَ ٱلشَّمْعَةَ كَرَاهَةَ أَنْ يَخْجَلَ ٱلْفَتَى . فَذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ مَاتَ وَخَلَّفَ دَيْنًا وَعِيَالًا . وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ دِمَشْقَ لِيَقُومُوا بِبَعْضِ إِصْلَاحِ حَالِهِ. فَدَفَعَ لَهُ عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ: لَا أَدَعُكَ تُقَاسِي ٱلذُّلَّ عَلَى أَبْوَابِهِمْ

لَا غَيظَ مَعَ ٱلتَّقْوَى

قَالَ ٱبْنُ ٱلسَّمَّاكِ: أَذْنَبَ غُلَامٌ لِٱمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ. فَأَخَذَتِ ٱلسَّوْطَ وَمَضَتْ خَلْفَهُ حَتَّى إِذَا قَارَبَتْهُ رَمَتْ بِٱلسَّوْطِ وَقَالَتْ: مَا تَرَكَتِ ٱلتَّقْوَى أَحَدًا يَشْفِي غَيْظَهُ

حَاتِمٌ يَجُودُ بِرُمْحِهِ عَلَى عَدُوِّهِ

أَغَارَ[١] قَوْمٌ عَلَى طَيِّئٍ فَرَكِبَ حَاتِمٌ فَرَسَهُ وَأَخَذَ رُمْحَهُ وَنَادَى فِي جَيْشِهِ وَأَهْلِ عَشِيرَتِهِ . وَلَقِيَ ٱلْقَوْمَ فَهَزَمَهُمْ[٢] وَتَبِعَهُمْ فَقَالَ لَهُ كَبِيرُهُمْ : يَا حَاتِمُ هَبْ لِي رُمْحَكَ . فَرَمَى بِهِ إِلَيْهِ . فَقِيلَ لِحَاتِمٍ : عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْهَلَاكِ . وَلَوْ عَطَفَ[٣] عَلَيْكَ لَقَتَلَكَ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ ذٰلِكَ . وَلٰكِنْ مَا جَوَابُ مَنْ يَقُولُ : هَبْ لِي

تَمْدَحُنِي فِي ٱلْبِلَادِ وَتَهْجُونِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ

حُكِيَ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْرَابِ ضَيْفٌ فَدَخَلَ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ وَقَدَّمَ لَهُ ٱلطَّعَامَ . فَقَالَ ٱلضَّيْفُ لَسْتُ بِجَائِعٍ . وَإِنَّمَا أَحْتَاجُ إِلَى مَكَانٍ أَبِيتُ فِيهِ . فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ : إِذَا كَانَ هٰذَا عَزْمَكَ فَكُنْ ضَيْفَ غَيْرِي . فَإِنِّي لَا أَرَى أَنْ تَمْدَحَنِي فِي ٱلْبِلَادِ وَتَهْجُوَنِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ

أَلْإِثْمُ يُرَافِقُ ٱلْأَثِيمَ إِلَى ٱلْقَبْرِ

قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ : لَأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يَدْخُلُ مَعَكَ قَبْرَكَ . فَقَالَ مَعَكَ وَٱللّٰهِ يَدْخُلُ لَا مَعِي

---

(١) غار على القوم دفع عليهم الخيل واخرجهم من جنابهم بهجومه عليهم واوقع بهم (٢) كسرهم (٣) حمل وكرّ

عَفْوٌ مَعَ صِلَةٍ

تَغَيَّظَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى رَجُلٍ . فَقَالَ : وَٱللهِ لَئِنْ أَمْكَنَنِي ٱللهُ مِنْهُ لَأَفْعَلَنَّ بِهِ كَذَا وَكَذَا . فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةٍ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ صَنَعَ ٱللهُ مَا أَحْبَبْتَ فَٱصْنَعْ مَا أَحَبَّ ٱللهُ فَعَفَا عَنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ

لَا نُحِبُّ ٱلِٱنْتِصَارَ لِأَنْفُسِنَا

قِيلَ : إِنَّ ٱلْأَحْنَفَ سَبَّهُ رَجُلٌ وَهُوَ يُمَاشِيهِ فِي ٱلطَّرِيقِ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ ٱلْمَنْزِلِ وَقَفَ ٱلْأَحْنَفُ وَقَالَ لَهُ : يَا هٰذَا إِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ مَعَكَ شَيْءٌ فَهَاتِ وَقُلْهُ هٰهُنَا . فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَسْمَعَكَ فِتْيَانُ ٱلْحَيِّ فَيُؤْذُوكَ . وَنَحْنُ لَا نُحِبُّ ٱلِٱنْتِصَارَ لِأَنْفُسِنَا

حِيلَةٌ لَطِيفَةٌ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى إِمَامٍ حَكِيمٍ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ لِي جِيرَانًا يَسْرِقُونَ إِوَزِّي[1] فَلَا أَعْرِفُ ٱلسَّارِقَ . فَنَادَى : ٱلصَّلَاةُ جَامِعَةٌ . ثُمَّ خَطَبَ فِيهِمْ وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: وَإِنَّ أَحَدَكُمْ يَسْرِقُ إِوَزَّ جَارِهِ ثُمَّ يَدْخُلُ ٱلْمَسْجِدَ وَٱلرِّيشُ عَلَى رَأْسِهِ . فَمَسَحَ ٱلرَّجُلُ رَأْسَهُ . فَقَالَ ٱلْإِمَامُ خُذُوهُ فَهُوَ صَاحِبُكُمْ

---

(١) الاوز البط

مَا أَجْمَلَ ٱلْوَفَاء

سَأَلَ ٱلْمَنْصُورُ بَعْضَ بَطَانَةِ هِشَامٍ عَنْ تَدْبِيرِهِ فِي ٱلْحُرُوبِ فَقَالَ: كَانَ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ: عَلَيْكَ لَعْنَةُ ٱللّٰهِ، تَطَأُ بِسَاطِي وَتَتَرَحَّمُ عَلَى عَدُوِّي. فَقَالَ: إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لَقِلَادَةٌ [١] فِي عُنُقِي لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلِي. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ: ٱرْجِعْ يَا شَيْخُ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ وَفِيٌّ حَافِظٌ لِلْخَيْرِ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَالٍ فَأَخَذَهُ ثُمَّ قَالَ: وَٱللّٰهِ لَوْلَا جَلَالَةُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِمْضَاءُ [٢] طَاعَتِهِ مَا لَبِسْتُ لِأَحَدٍ بَعْدَ هِشَامٍ نِعْمَةً. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ: لِلّٰهِ دَرُّكَ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِكَ غَيْرُكَ لَكُنْتَ قَدْ أَبْقَيْتَ لَهُمْ مَجْدًا مُخَلَّدًا [٣]

أَخَذَ ثَأْرَهُ بِدَهَاء

أَتَى رَجُلٌ إِلَى ٱلْأَحْنَفِ فَلَطَمَهُ. فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا. قَالَ: جُعِلَ لِي جُعْلٌ [٤] عَلَى أَنْ أَلْطِمَ سَيِّدَ بَنِي تَمِيمٍ. فَقَالَ: لَسْتُ بِسَيِّدِهِمْ. عَلَيْكَ بِحَارِثَةَ بْنِ قُدَامَةَ فَإِنَّهُ سَيِّدُهُمْ. فَمَضَى إِلَيْهِ فَلَطَمَهُ فَقُطِعَتْ يَدُهُ

---

(١) القلادة ما جعل في العنق من الحلي (٢) انفاذ او اجراء (٣) من خلّده اذا جعله خالداً اي دائماً (٤) الجُعل ما يجعل للعامل على عمله اي اجره

ألصِّدْقُ يُنْجِي صَاحِبَهُ مِنَ ٱلمَهَالِكِ

خَطَبَ ٱلْحَجَّاجُ فَأَطَالَ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : ٱلصَّلَاةَ . فَإِنَّ ٱلْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ وَإِنَّ ٱلرَّبَّ لَا يَعْذِرُكَ . فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ . فَأَتَاهُ أَهْلُهُ وَقَالُوا إِنَّهُ مَجْنُونٌ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُ . فَقَالَ ٱلْحَجَّاجُ : إِنْ أَقَرَّ بِٱلْجُنُونِ خَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . فَجَاءَ إِلَى ٱلرَّجُلِ أَهْلُهُ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُقِرَّ لَهُ بِٱلْجُنُونِ فَقَالَ : مَعَاذَ ٱللهِ ، لَا أَزْعَمُ أَنَّ ٱللهَ ٱبْتَلَانِي وَقَدْ عَافَانِي . فَبَلَغَ ٱلْحَجَّاجَ كَلَامُهُ فَعَظُمَ فِي نَفْسِهِ وَأَطْلَقَهُ

إِنَّ ٱلعَبَاءَةَ لَا تُكَلِّمُكَ إِنَّمَا يُكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا

نَظَرَ مُعَاوِيَةُ إِلَى ٱبْنِ أَوْسٍ ٱلْعَدَوِيِّ ٱلْخَطِيبِ ٱلنَّسَّابَةِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ مَجْلِسِهِ وَعَلَيْهِ عَبَاءَةٌ ، فَأَنْكَرَ مَكَانَهُ وَٱزْدَرَاهُ . فَتَبَيَّنَ لِٱبْنِ أَوْسٍ ذٰلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ ٱلْعَبَاءَةَ لَا تُكَلِّمُكَ إِنَّمَا يُكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا ، وَكَمَالُ ٱلرَّجُلِ آدَابُهُ لَا ثِيَابُهُ . وَأَنْشَدَ :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَثْوَابِي مُلَفَّقَةٌ … لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ

فَإِنَّ فِي ٱلْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي … فَصَاحَةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ

إنَّ ٱللهَ لمْ يَخلقْ شيئاً سُدَى

حَكَى ٱلْقَزْوِينِيُّ أَنَّ رَجُلاً رَأَى خُنْفَسَاءَ فَقَالَ: مَاذَا يُرِيدُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْ خَلْقِ هٰذِهِ. أَحُسْنَ شَكْلِهَا أَمْ طِيبَ رِيحِهَا. فَٱبْتَلَاهُ ٱللهُ تَعَالَى بِقَرْحَةٍ عَجِزَ عَنْهَا ٱلْأَطِبَّاءُ حَتَّى تَرَكَ عِلَاجَهَا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَإِذَا بِطَبِيبٍ مِنَ ٱلطُّرُقِيِّينَ[1] يُنَادِي: مَنْ بِهِ وَجَعٌ مَنْ بِهِ قَرْحَةٌ. فَقَالَ: هَاتُوهُ حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِي. فَقَالُوا: وَمَا تَصْنَعُ بِطُرُقِيٍّ وَقَدْ عَجِزَ عَنْكَ حُذَّاقُ ٱلْأَطِبَّاءِ. فَقَالَ: لَا بُدَّ لِي مِنْهُ. فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ وَرَأَى ٱلْقَرْحَةَ ٱسْتَدْعَى بِخُنْفَسَاءَ. فَضَحِكَ مِنْهُ ٱلْحَاضِرُونَ. فَتَذَكَّرَ ٱلْعَلِيلُ ٱلْقَوْلَ ٱلَّذِي سَبَقَ مِنْهُ. فَقَالَ ٱئْتُوهُ بِٱلَّذِي يَطْلُبُ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ. فَأَتَوْهُ بِهَا فَأَخَذَهَا فَأَحْرَقَهَا وَذَرَّ[2] رَمَادَهَا عَلَى تِلْكَ ٱلْقَرْحَةِ فَبَرِئَتْ. فَعَلِمَ ذٰلِكَ ٱلْمَقْرُوحُ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى مَا خَلَقَ شَيْئاً سُدًى[3] وَأَنَّ فِي أَخَسِّ[4] ٱلْمَخْلُوقَاتِ أَهَمَّ ٱلْأَدْوِيَةِ. فَسُبْحَانَ ٱلْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

---

(١) نسبة الى الطرق ويراد بهم الاطباء الذين يجولون في البلاد مداوين ارضى (٢) طرح ورمى (٣) مسيّباً مهملاً (٤) دنى واحقر

أَلذُّبَابُ يُذِلُّ ٱلجَبَابِرَةَ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ كَانَ جَالِساً . فَأَلَحَّ (١) عَلَيْهِ ٱلذُّبَابُ حَتَّى أَضْجَرَهُ . فَقَالَ: ٱنْظُرُوا مَنْ بِٱلْبَابِ مِنَ ٱلْعُلَمَاء . فَقَالُوا: مُقَاتِلُ ٱبْنُ سُلَيْمَانَ . فَدَعَا بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ لِأَيِّ حِكْمَةٍ خَلَقَ ٱللهُ ٱلذُّبَابَ . قَالَ : لِيُذِلَّ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ ثُمَّ أَجَازَهُ

لَا خَيْرَ إِلَّا مِنَ ٱللهِ

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : إِنَّكَ تَمُوتُ . قَالَ : وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ . قَالُوا إِلَى ٱللهِ تَعَالَى . فَقَالَ لَا أَكْرَهُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَنْ لَا أَرَى ٱلْخَيْرَ إِلَّا مِنْهُ

لَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْ مُصِيبَةٍ

كَتَبَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ إِلَى أُمِّهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِقَلِيلٍ : إِذَا وَصَلَ إِلَيْكِ كِتَابِي هٰذَا فَٱجْمَعِي أَهْلَ بَلَدِكِ وَأَعِدِّي لَهُمْ طَعَاماً . وَوَكِّلِي بِٱلْأَبْوَابِ مَنْ يَرُدُّ عَنِ ٱلطَّعَامِ كُلَّ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فِي أُمٍّ أَوْ أَبٍ أَوْ أَخٍ أَوْ أُخْتٍ أَوْ وَلَدٍ . فَفَعَلَتْ فَلَمْ يَدْخُلْ إِلَيهَا أَحَدٌ . فَعَلِمَتْ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ عَزَّاهَا فِي نَفْسِهِ

---

(١) اي اقبل عليه مواظباً لا يفارقه

وَلَدٌ أَعجَبَ ٱلمَلِكُ بِذَكَائِهِ

ذَكَرَ بَعضُ ٱلرُّوَاةِ أَنَّهُ لَمَّا ٱستُخلِفَ[١] عُمَرُ بنُ عَبدِ ٱلعَزِيزِ قَدِمَ عَلَيهِ وُفُودُ[٢] أَهلِ كُلِّ بَلَدٍ. فَتَقَدَّمَ إِلَيهِ وَفدُ أَهلِ ٱلحِجَازِ فَٱشرَأَبَّ[٣] مِنهُم غُلَامٌ لِلكَلَامِ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا غُلَامُ لِيَتَكَلَّمْ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنكَ. فَقَالَ ٱلغُلَامُ: يَا أَمِيرَ ٱلمُؤمِنِينَ إِنَّمَا ٱلمَرءُ بِأَصغَرَيهِ قَلبِهِ وَلِسَانِهِ وَلَو أَنَّ ٱلأُمُورَ بِٱلسِّنِّ لَكَانَ هٰهُنَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجلِسِكَ مِنكَ. فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقتَ، تَكَلَّمْ فَهٰذَا ٱلسِّحرُ ٱلحَلَالُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلمُؤمِنِينَ. نَحنُ وَفدُ ٱلتَّهنِئَةِ لَا وَفدُ ٱلتَّرزِئَةِ. وَلَمْ يُقدِمْنَا إِلَيكَ رَغبَةٌ وَلَا رَهبَةٌ لِأَنَّنَا قَد أَمِنَّا فِي أَيَّامِكَ مَا خِفنَا وَأَدرَكنَا مَا طَلَبنَا. فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ سِنِّ ٱلغُلَامِ فَقِيلَ: عَشرُ سِنِينَ

شُربُ ٱلنَّبِيذِ يُضعِفُ ٱلدِّينَ وَٱلعَقلَ

قَالَ ضَحَّاكُ بنُ مُزَاحِمٍ لِرَجُلٍ: مَا تَصنَعُ بِشُربِ ٱلنَّبِيذِ. قَالَ: يَهضِمُ طَعَامِي. قَالَ أَمَا أَنَّهُ يَهضِمُ مِنْ دِينِكَ وَعَقلِكَ أَكثَرَ

---

(١) جعل خليفة اي سلطاناً اعظم (٢) وفود جمع وفد وهو قوم يفدون على الملك في امر فتح او تهنئة او نحو ذلك (٣) اشرأب الى الشيء مدّ عنقه اليه

القاضي معرض للأخطار

طُلِبَ أبو قِلابةَ لِلقضاء فهرب إلى الشام ، فأقام حيناً ثم رجع . فقال له أيوبُ السختياني : ولو وُليت القضاء وعدلت كان لك أجران . فقال يا أيوبُ إذا وقع السابحُ في البحر كم عسى أن يسبح

من طلب المنصب كان غير أهل له

أراد عمرُ بن الخطّاب أن يستعمل[1] رجلاً ، فبادر[2] الرجلُ يطلب منه العمل . فقال عمرُ : والله لقد كنتُ أردتُك لذلك . ولكن من طلب هذا الأمر لم يُعَن عليه

أجِعْ كلبك يتبعك

قال المنصورُ لبعض قوّاده : صدق الذي قال : أَجِعْ كلبك يتبعك وسمّنه يأكلك . فقال له عبّاسٌ الطوسي : يا أمير المؤمنين إن أجعته يُلوّح[3] له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك

---

(١) من استعمله اذا جعله عاملاً اي رئيساً او والياً (٢) فاسرع (٣) من لوّح اذا اشار من بعيد مطلقاً باي شيء كان

حَصِّنْ مَدِينَتَكَ بِالْعَدْلِ لَا بِالْأَسْوَارِ

كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْضُ عُمَّالِهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي تَحْصِينِ مَدِينَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : حَصِّنْهَا بِالْعَدْلِ وَنَقِّ طَرِيقَهَا مِنَ الظُّلْمِ

خَيْرُ جَزَاءٍ عَلَى مَعْرُوفٍ قَلِيلٍ

أَتَى رَجُلٌ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ بِفِنَاءِ دَارِهِ . فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنَّ لِي عِنْدَكَ يَدًا[1] وَقَدِ احْتَجْتُ إِلَيْهَا فَصَعَّدَ بِهِ بَصَرَهُ وَصَوَّبَهُ[2] فَلَمْ يَعْرِفْهُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا يَدُكَ عِنْدَنَا . قَالَ : رَأَيْتُكَ وَاقِفاً بِزَمْزَمَ[3] وَغُلَامُكَ يَمْتَحُ[4] لَكَ مِنْ مَائِهَا . وَالشَّمْسُ قَدْ صَهَرَتْكَ[5] . فَظَلَّلْتُكَ بِطَرَفِ كِسَائِي حَتَّى شَرِبْتَ . قَالَ : لَأَذْكُرُ ذٰلِكَ . وَإِنَّهُ لَيَتَرَدَّدُ بَيْنَ خَاطِرِي وَفِكْرِي . ثُمَّ قَالَ لِقَيِّمِهِ[6] مَا عِنْدَكَ . قَالَ : مِئَتَا دِينَارٍ وَعَشَرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ . قَالَ : ادْفَعْهَا إِلَيْهِ . وَمَا أَرَاهَا تَفِي بِحَقِّ يَدِهِ عِنْدَنَا . فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ أَلْفاً . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَاللهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِسْمَاعِيلَ وَلَدٌ غَيْرُكَ لَكَانَ فِيهِ مَا كَفَاهُ

---

(١) احساناً ونعمة (٢) خفض صعده اي خفضه (٣) زمزم بئر عند الكعبة (٤) من متح الماء اذا نزعه واستخرجه (٥) آلمت دماغك (٦) القيم على الامر متوليه

عَزِيزُ ٱلنَّفْسِ لَا يُدَاهِنُ

شَاوَرَ مُعَاوِيَةُ ٱلْأَحْنَفَ فِي ٱسْتِخْلَافِهِ يَزِيدَ فَسَكَتَ عَنْهُ . فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَقُولُ . فَقَالَ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَسْخَطْنَاكَ . وَإِنْ كَذَبْنَاكَ أَسْخَطْنَا ٱللهَ . فَسُخْطُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ سُخْطِ ٱللهِ . فَقَالَ لَهُ صَدَقْتَ

أَحْسَنُ تَخَلُّصٍ

أَمَرَ مُصْعَبُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ بِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْمُخْتَارِ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُهُ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ مَا أَقْبَحَ بِكَ أَنْ أَقُومَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِلَى صُورَتِكَ هٰذِهِ ٱلْحَسَنَةِ وَوَجْهِكَ هٰذَا ٱلَّذِي يُسْتَضَاءُ بِهِ فَأَتَعَلَّقَ بِأَطْرَافِكَ وَأَقُولَ إِيْ رَبِّي سَلْ هٰذَا فِيمَ قَتَلَنِي . قَالَ : أَطْلِقُوهُ فَإِنِّي جَاعِلٌ مَا وَهَبْتُ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ فِي خَفْضٍ . أَعْطُوهُ مِئَةَ أَلْفٍ . قَالَ ٱلْأَسِيرُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَشْهَدُ أَنَّ لِٱبْنِ قَيْسٍ ٱلرُّقَيَّاتِ مِنْهَا خَمْسِينَ أَلْفًا . قَالَ : وَلِمَ . قَالَ : لِقَوْلِهِ :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ ٱللّٰـــهِ تَجَلَّتْ[1] عَنْ وَجْهِهِ ٱلظَّلْمَاءُ

---

(١) انكشفت

طَاعَةُ ٱلْمَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنْ طَاعَةِ ٱلْخَوْفِ

دَخَلَ بْنُ خَرِيمٍ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ وَقَدْ عَتَبَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَأَرَادَ أَنْ يَغْزُوَهُمْ جَيْشاً فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلذَّنْبِ وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْمُسِيءِ . فَلَأَنْ تُطِيعَكَ ٱلْعَرَبُ طَاعَةَ مَحَبَّةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُطِيعَكَ طَاعَةَ خَوْفٍ

ٱلْهُمَامُ لَا يَتَّكِلُ عَلَى ٱلْوَصِيَّةِ بِهِ

قَالَ زِيَادُ بْنُ ظَبْيَانَ لِٱبْنِهِ عُبَيْدِ ٱللهِ : أَلَا أُوصِي بِكَ ٱلْأَمِيرَ زِيَادًا . قَالَ : يَا أَبَتِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيِّ إِلَّا وَصِيَّةُ ٱلْمَيْتِ فَٱلْحَيُّ هُوَ ٱلْمَيْتُ

ٱلْحِرْصُ عَلَى حُسْنِ ٱلسُّمْعَةِ

قِيلَ لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : أَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ يَشْرَبُ ٱلطِّلَاءَ [١] . فَقَالَ : لَوْ عَلِمَ مُصْعَبٌ أَنَّ ٱلْمَاءَ يُفْسِدُ مُرُوءَتَهُ مَا شَرِبَهُ

---

[١] الخمر

أهربوا من جار السوء

عُرِضَ عَلَى أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ الدَّعوةِ فَرَسٌ جوادٌ . فقالَ لِقُوّادِهِ : لِمَاذَا يَصْلُحُ مِثْلُ هذَا الفَرَسِ . قالُوا : إنّا نغزو عليهِ العَدُوَّ . قالَ : لا ولكن يَرْكَبُهُ الرَّجلُ فيهربُ عليهِ مِنْ جارِ السّوءِ[1]

لا عبادةَ مع البطالةِ

لَقِيَ بعضُ الفُضَلاءِ رَجُلاً فقالَ لَهُ : ما تَصْنَعُ . قالَ: أتعبَّدُ . قالَ : فمَنْ يَعُودُ[2] عليكَ . قالَ : أخي . قالَ : هو أعبدُ منكَ

الله يعطي على قدر الألم والمصيبة

أَصابتِ الرَّبيعَ بنَ زيادٍ نشّابةٌ عَلى جبينِهِ . فكانتْ تَنْتَقِضُ[3] عليهِ كُلَّ عامٍ . فأتاهُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عائدًا فقالَ لهُ : كيفَ تجدُكَ يا أبا عبدِ الرّحمنِ . قالَ : أجدُني لو كانَ لا يذهبُ ما بي إلّا بذهابِ بصري لتمنّيتُ ذهابَهُ . قالَ: وما قيمةُ بصرِكَ عندكَ . قالَ : لو كانتْ لِيَ الدُّنيا فدَيْتُهُ بها. قالَ: لا جرمَ يُعطيكَ اللهُ على قدرِ الدُّنيا لو كانتْ لكَ فأنفقتَها في سبيلِ اللهِ . إنَّ اللهَ يُعطي على قدرِ الألمِ والمصيبةِ وعندَهُ بعدُ تضعيفٌ كثيرٌ

---

(١) الفساد (٢) يقال عاد عليه بمعروفه اذا افضل عليه (٣) انتقض الجرح بعد برئه اي نكس وفسد

لَيسَ مِنَ ٱلمُرُوءةِ ٱستِخدَامُ ٱلضَّيفِ

قَالَ عَبدُ ٱلعَزِيزِ بنُ عُمَرَ : قَالَ لِي رَجاءُ بنُ حَيوةَ : مَا رَأَيتُ أَكمَلَ أَدَبًا وَلَا أَكرَمَ عِشرَةً مِن أَبِيكَ . سَمَرتُ[1] عِندَهُ لَيلَةً . فَبَينَا نَحنُ كَذٰلِكَ إِذ غَشِيَ[2] ٱلمِصبَاحُ وَنَامَ ٱلغُلَامُ . فَقُلتُ : يَا أَمِيرَ ٱلمُؤمِنِينَ قَد غَشِيَ ٱلمِصبَاحُ وَنَامَ ٱلغُلَامُ فَلَو أَذِنتَ لِي أَصلَحتُهُ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَيسَ مِن مُرُوءةِ ٱلرَّجُلِ أَن يَستَخدِمَ ضَيفَهُ . ثُمَّ حَطَّ رِدَاءهُ عَن مِنكَبَيهِ وَقَامَ إِلَى ٱلدَّبَّةِ[3] فَصَبَّ مِنَ ٱلزَّيتِ فِي ٱلمِصبَاحِ وَشَخَصَ[4] ٱلفَتِيلَةَ . ثُمَّ رَجَعَ فَلَم يَقُم أَحَدٌ

مُرَاعَاةُ ٱلأَدَبِ فِي ٱلمُحَادَثَةِ

حَدَّثَ عُثمَانُ ٱلشَّحَّامُ قَالَ : قُلتُ لِلحَسَنِ : يَا أَبَا سَعِيدٍ . قَالَ : لَبَّيكَ . فَقُلتُ : أَتَقُولُ لِي لَبَّيكَ . قَالَ إِنِّي أَقُولُهَا لِخَادِمِي

لَا تَشكُو ٱللهَ إِلَى عِبَادِهِ

سَمِعَ ٱلفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ رَجُلًا يَشكُو بَلَاءً نَزَلَ بِهِ فَقَالَ : يَا هٰذَا أَتَشكُو مَن يَرحَمُكَ إِلَى مَن لَا يَرحَمُكَ

---

(١) من سمر اذا لم ينم وتحدث قليلًا (٢) اظلم (٣) الدبة ظرف للزيت (٤) رفع

لَا تَصْرِفْ ذَكَاءَكَ فِي ٱلْفُضُولِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا ٱسْتَأْذَنَ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ فَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا تَعْجِزُ ٱلْخَلَائِقُ عَنْهُ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : هَاتِ . فَأَخْرَجَ أُنْبُوبَةً قَصَبٍ مِنْهَا إِبَرًا عِدَّةً ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي ٱلْأَرْضِ وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ . فَتَقَعُ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ ٱلْإِبْرَةِ ٱلْمَوْضُوعَةِ حَتَّى فَرَغَ دَسْتُهُ . فَأَمَرَ ٱلرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ مِئَةَ سَوْطٍ[1] ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ دِينَارٍ . فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْهَوَانِ: فَقَالَ : وَصَلْتُهُ[2] لِجُودَةِ ذَكَائِهِ وَأَدَّبْتُهُ لِكَيْ لَا يَصْرِفَ فَرْطَ ذَكَائِهِ فِي ٱلْفُضُولِ[3]

صَلَاةٌ بِلَا رِئَاء

صَلَّى أَشْعَثُ فَخَفَّفَ ٱلصَّلَاةَ . فَقِيلَ لَهُ : مَا أَخَفَّ صَلَاتَكَ . قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهَا رِئَاءٌ

إِفْعَلُوا حَتَّى أَمْدَحَكُمْ

قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ : مَجِّدْنَا بِشِعْرِكَ . قَالَ: اُفْعَلُوا حَتَّى أَقُولَ

---

(١) السوط ما يضرب به من جلد مضفور او نحوه كقضيب الفيل
(٢) اعطيته وانعمت عليه (٣) اي في ما لا خير فيه

مُذنِبٌ نجّاهُ دهاؤُهُ مِنَ الموتِ

أمرَ عمرُ بنُ الخطّابِ بقتلِ الهُرمُزانِ فاستسقى ماءً فأتوهُ بإناءٍ فيهِ ماءٌ فلمّا تناولَهُ أظهرَ رعشةً في يدِهِ يُوهِمُ أنّها مِن خوفٍ فقالَ لهُ عمرُ: لا بأسَ عليكَ[1] حتّى تشربَهُ. فرمى الإناءَ مِن يدِهِ فكسرَهُ فأمرَ عمرُ بأن يُقتلَ فقالَ: أوَلَمْ تؤمِنّي. قالَ: أمّنتُكَ. قالَ: ألستَ قلتَ لا بأسَ عليكَ حتّى تشربَهُ ولم أشربْهُ. فقالَ عمرُ: قاتلَكَ اللهُ أخذتَ منّا الأمانَ ولم نشعرْ

صبيٌّ شاعرٌ

قالَ أبو عبادةَ البحتريُّ: دخلتُ يوماً دارَ الفتحِ بنِ خاقانَ. فوجدتُ الشعراءَ في دهليزِ دارِهِ وبينَهم صبيٌّ صغيرُ السنِّ قصيرُ القامةِ فقلتُ: ما أنتَ يا غلامُ. فقالَ: شاعرٌ. فتبسّمتُ عجباً منهُ ثمّ قلتُ: أجزْ «ليتَ ما بينَ مَنْ أحبُّ وبيني» قالَ: مِنَ البعدِ أمْ مِنَ القربِ. قلتُ: مِنَ القربِ. فقالَ: «مثلُ ما بينَ حاجبيَّ وعيني» فقلتُ: فإنْ أردتَهُ مِنَ البعدِ. فقالَ: «مثلُ ما بينَ منتهى الخافقينَ» فأخذتُ بيدِهِ وأوصلتُهُ إلى الفتحِ وأخبرتُهُ بما دارَ بيني وبينَهُ فعجبَ منهُ وأجازَهُ

---

(١) لا خوف

الباب الخامس

في الحكايات

وَفَاءُ ٱلسَّمَوْءَلِ

حُكِيَ أَنَّ ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ ٱلْكِنْدِيَّ لَمَّا أَرَادَ ٱلْمُضِيَّ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ ٱلرُّومِ أَوْدَعَ[١] عِنْدَ ٱلسَّمَوْءَلِ دُرُوعاً وَسِلَاحاً وَأَمْتِعَةً تُسَاوِي مِنَ ٱلْمَالِ جُمْلَةً كَثِيرَةً . فَلَمَّا مَاتَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ أَرْسَلَ مَلِكُ كِنْدَةَ يَطْلُبُ ٱلدُّرُوعَ وَٱلْأَسْلِحَةَ ٱلْمُودَعَةَ عِنْدَ ٱلسَّمَوْءَلِ فَقَالَ ٱلسَّمَوْءَلُ: لَا أَدْفَعُهَا إِلَّا لِمُسْتَحِقِّهَا وَأَبَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئاً . فَعَاوَدَهُ فَأَبَى وَقَالَ : لَا أَغْدُرُ بِذِمَّتِي وَلَا أَخُونُ أَمَانَتِي وَلَا أَتْرُكُ ٱلْوَفَاءَ ٱلْوَاجِبَ عَلَيَّ . فَقَصَدَهُ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ مِنْ كِنْدَةَ بِعَسْكَرِهِ . فَدَخَلَ ٱلسَّمَوْءَلُ فِي حِصْنِهِ وَٱمْتَنَعَ[٢] بِهِ : فَحَاصَرَهُ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ وَكَانَ وَلَدُ ٱلسَّمَوْءَلِ خَارِجَ ٱلْحِصْنِ . فَظَفِرَ بِهِ ذٰلِكَ ٱلْمَلِكُ فَأَخَذَهُ أَسِيرًا . ثُمَّ طَافَ حَوْلَ ٱلْحِصْنِ وَصَاحَ بِٱلسَّمَوْءَلِ . فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلَى ٱلْحِصْنِ . فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : إِنَّ وَلَدَكَ قَدْ

(١) اودع عنده الشيء دفعه اليه ليكون عنده وديعة (٢) احتمى

أَسَرْتُهُ وَهَا هُوَ مَعِي . فَإِنْ سَلَّمْتَ إِلَيَّ ٱلدُّرُوعَ وَٱلسِّلَاحَ ٱلَّتِي لِٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ عِنْدَكَ رَحَلْتُ عَنْكَ وَسَلَّمْتُ إِلَيْكَ وَلَدَكَ . وَإِنِ ٱمْتَنَعْتَ مِنْ ذَٰلِكَ ذَبَحْتُ وَلَدَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ . فَٱخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ . فَقَالَ لَهُ ٱلسَّمَوْءَلُ : مَا كُنْتُ لِأُخْفِرَ[1] ذِمَامِي[2] وَأُبْطِلَ وَفَائِي فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ . فَذَبَحَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ . ثُمَّ لَمَّا عَجَزَ عَنِ ٱلْحِصْنِ رَجَعَ خَائِباً . وَٱحْتَسَبَ[3] ٱلسَّمَوْءَلُ ذَبْحَ وَلَدِهِ وَصَبَرَ مُحَافَظَةً عَلَى وَفَائِهِ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلْمَوْسِمُ وَحَضَرَ وَرَثَةُ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ سَلَّمَ إِلَيْهِمِ ٱلدُّرُوعَ وَٱلسِّلَاحَ . وَرَأَى حِفْظَ ذِمَامِهِ وَرِعَايَةَ وَفَائِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ حَيَاةِ وَلَدِهِ وَبَقَائِهِ . فَصَارَتِ ٱلْأَمْثَالُ فِي ٱلْوَفَاءِ تُضْرَبُ بِٱلسَّمَوْءَلِ ، وَإِذَا مَدَحُوا أَهْلَ ٱلْوَفَاءِ فِي ٱلْأَنَامِ ذَكَرُوا ٱلسَّمَوْءَلَ فِي ٱلْأَوَّلِ . وَكَمْ أَعْلَى ٱلْوَفَاءُ رُتْبَةَ مَنِ ٱعْتَلَقَهُ[4] بِيَدَيْهِ ، وَأَعْلَى قِيمَةَ مَنْ جَعَلَهُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، وَأَنْطَقَ ٱلْأَفْوَاهَ لِفَاعِلِهِ بِٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَأَطَاقَ ٱلْأَيْدِيَ ٱلْمَقْبُوضَةَ عَنْهُ بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ

---

(١) من خفر اذا نقض العهد وغدر . (٢) الذمام الحق والحرمة لان نقضه موجب الذم (٣) يقال احتسب فلان ولداً اذا مات ولده كبيراً (٤) تعلق به

لَيْسَ ٱلْمُخَاطِرُ مَحْمُودًا وَلَوْ سَلِمَ

حَدَّثَ بْنُ ٱلْـكَلْبِيِّ قَالَ : لَمَّا فَتَحَ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ قِيسَارِيَّةَ سَارَ حَتَّى نَزَلَ غَزَّةَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ عِلْجُهَا [1] : أَنِ ٱبْعَثْ إِلَيَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ أُكَلِّمُهُ . فَفَكَّرَ عَمْرُو وَقَالَ: مَا لِهٰذَا أَحَدٌ غَيْرِي . قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ٱلْعِلْجِ فَكَلَّمَهُ فَسَمِعَ كَلَامًا لَمْ يَسْمَعْ قَطُّ مِثْلَهُ . فَقَالَ ٱلْعِلْجُ: حَدِّثْنِي هَلْ فِي أَصْحَابِكَ أَحَدٌ مِثْلُكَ . قَالَ: لَا تَسْأَلْ عَنْ هٰذَا . إِنِّي هَيِّنٌ عَلَيْهِمْ إِذْ بَعَثُوا بِي إِلَيْكَ وَعَرَّضُونِي لِمَا عَرَّضُونِي لَهُ وَلَا يَدْرُونَ مَا تَصْنَعُ بِي . قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَكُسْوَةٍ وَبَعَثَ إِلَى ٱلْبَوَّابِ : إِذَا مَرَّ بِكَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَخُذْ مَا مَعَهُ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ نَصَارَى غَسَّانَ فَعَرَفَهُ فَقَالَ : يَا عَمْرُو قَدْ أَحْسَنْتَ ٱلدُّخُولَ فَأَحْسِنِ ٱلْخُرُوجَ . فَفَطِنَ عَمْرُو لِمَا أَرَادَهُ فَرَجَعَ فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: مَا رَدَّكَ إِلَيْنَا . قَالَ : نَظَرْتُ فِيمَا أَعْطَيْتَنِي فَلَمْ أَجِدْ ذٰلِكَ يَسَعُ بَنِي عَمِّي ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِعَشَرَةٍ مِنْهُمْ تُعْطِيهِمْ هٰذِهِ ٱلْعَطِيَّةَ فَيَكُونُ مَعْرُوفُكَ عِنْدَ عَشَرَةٍ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ وَاحِدٍ . فَقَالَ : صَدَقْتَ أَعْجِلْ بِهِمْ .

(١) العلج الرجل الضخم من كفار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً

وَبَعَثَ إِلَى ٱلْبَوَّابِ أَنْ خَلِّ سَبِيلَهُ . فَخَرَجَ عَمْرٌو وَهُوَ يَلْتَفِتُ حَتَّى إِذَا أَمِنَ قَالَ : لَا عُدْتُ لِمِثْلِهَا أَبَدًا

نَجَاةُ غَرِيقٍ

يُرْوَى أَنَّ سُلْطَانَ صِقِلِّيَةَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ ٱلنَّوْمَ . فَأَرْسَلَ إِلَى قَائِدِ ٱلْبَحْرِ وَقَالَ لَهُ: أَنْفِذِ ٱلْآنَ مَرْكَبًا إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ يَأْتُونِي بِأَخْبَارِهَا . فَعَمَدَ[1] ٱلْقَائِدُ إِلَى مُقَدَّمِ مَرْكَبٍ وَأَرْسَلَهُ لِحِينِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِٱلْمَرْكَبِ فِي مَوْضِعِهِ كَأَنَّهُ لَمْ يَبْرَحْ[2] . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِقَائِدِ ٱلْبَحْرِ: أَلَيْسَ قَدْ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ . قَالَ: نَعَمْ قَدِ ٱمْتَثَلْتُ أَمْرَكَ وَأَنْفَذْتُ مَرْكَبًا فَرَجَعَ بَعْدَ سَاعَةٍ وَسَيُحَدِّثُكَ مُقَدَّمُ ٱلْمَرْكَبِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَجَاءَ وَمَعَهُ رَجُلٌ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أُمِرْتَ . قَالَ ذَهَبْتُ بِٱلْمَرْكَبِ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ وَٱلْبَحَّارُونَ يُجَدِّفُونَ[3] إِذَا بِرَجُلٍ يَقُولُ : يَا أَللهُ يَا أَللهُ يَا غِيَاثُ[4] ٱلْمُسْتَغِيثِينَ يُكَرِّرُهَا مِرَارًا . فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ[5] صَوْتُهُ فِي أَسْمَاعِنَا نَادَيْنَاهُ مِرَارًا : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَللهُ يَا أَللهُ يَا غِيَاثَ ٱلْمُسْتَغِيثِينَ . فَجَذَفْنَا[6]

---

(١) عمد اليه قصده (٢) برح الرجل من مكانه زال عنه (٣) جدّف الملاح ساق السفينة بالمجداف وهي آلة تسير بها القوارب (٤) الغياث الاعانة (٥) ثبت وتمكن (٦) جدف المركب بالمجذاف دفعه

ٱلْمَرْكَبَ وَتَوَجَّهْنَا نَحْوَ ٱلصَّوْتِ فَلَقِينَا هٰذَا ٱلرَّجُلَ [illegible]يتاً فِي آخِرِ رَمَقٍ [1] مِنَ ٱلْحَيَاةِ . فَطَلَعْنَا بِهِ ٱلْمَرْكَبَ وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ: كُنَّا مُقْلِعِينَ [2] مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ فَغَرِقَتْ سَفِينَتُنَا مُنْذُ أَيَّامٍ وَأَشْرَفْتُ عَلَى ٱلْمَوْتِ . وَمَا زِلْتُ أَصِيحُ حَتَّى أَتَانِي ٱلْغَوْثُ مِنْ نَاحِيَتِكُمْ . فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا وَأَرَّقَهُ فِي قَصْرِهِ لِغَرِيقٍ فِي ٱلْبَحْرِ حَتَّى ٱسْتَخْرَجَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلظُّلُمَاتِ ٱلثَّلَاثِ . ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ ، وَظُلْمَةِ ٱلْبَحْرِ ، وَظُلْمَةِ ٱلْوَحْشَةِ . فَسُبْحَانَهُ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ

جُرْأَةٌ نَادِرَةٌ

رَوَى سَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ ٱلتَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : حَجَّ مُعَاوِيَةُ . فَسَأَلَ عَنِ ٱمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ كَانَتْ تَنْزِلُ بِٱلْحَجُونِيَّةِ وَكَانَتْ سَوْدَاءَ كَثِيرَةَ ٱللَّحْمِ . فَأُخْبِرَ بِسَلَامَتِهَا فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَجِيءَ بِهَا . فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكِ يَا ٱبْنَةَ حَامٍ . فَقَالَتْ : لَسْتُ لِحَامٍ إِنْ عِبْتَنِي ، أَنَا ٱمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ . قَالَ : صَدَقْتِ ، أَتَدْرِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكِ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللهُ . قَالَ: بَعَثْتُ إِلَيْكِ لِأَسْأَلَكِ : عَلَامَ أَحْبَبْتِ عَلِيًّا وَأَبْغَضْتِنِي وَوَالَيْتِهِ [3]

---

(١) الرمق بقية الحياة (٢) من اقلع السفينة اذا رفع قلعها اي شراعها

(٣) من والاه اذا صادقه

وَعَادَيْتِنِي . قَالَتْ : أَوَ تَعْفِينِي . قَالَ : لَا أُعْفِيكِ . قَالَتْ : أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَإِنِّي أَحْبَبْتُ عَلِيًّا عَلَى عَدْلِهِ فِي ٱلرَّعِيَّةِ وَقَسْمِهِ بِٱلسَّوِيَّةِ . وَأَبْغَضْتُكَ عَلَى قِتَالِ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ بِٱلْأَمْرِ ، وَطَلَبْتَكَ مَا لَيْسَ لَكَ بِحَقٍّ . وَوَالَيْتُ عَلِيًّا عَلَى حُبِّهِ ٱلْمَسَاكِينَ وَإِعْظَامِهِ لِأَهْلِ ٱلدِّينِ . وَعَادَيْتُكَ عَلَى سَفْكِ ٱلدِّمَاءِ وَجَوْرِكَ فِي ٱلْقَضَاءِ وَحُكْمِكَ بِٱلْهَوَى . قَالَ لَهَا يَا هٰذِهِ هَلْ رَأَيْتِ عَلِيًّا . قَالَتْ : إِي[1] وَٱللّٰهِ . قَالَ : فَكَيْفَ رَأَيْتِهِ . قَالَتْ : رَأَيْتُهُ وَٱللّٰهِ لَمْ يَفْتِنْهُ[2] ٱلْمُلْكُ ٱلَّذِي أَفْتَنَكَ ، وَلَمْ تَشْغَلْهُ ٱلنِّعْمَةُ ٱلَّتِي شَغَلَتْكَ . قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتِ كَلَامَهُ . قَالَتْ : نَعَمْ وَٱللّٰهِ ، فَكَانَ يَجْلُو ٱلْقُلُوبَ مِنَ ٱلْعَمَى كَمَا يَجْلُو ٱلزَّيْتُ صَدَأَ ٱلطَّسْتِ . قَالَ : صَدَقْتِ فَهَلْ لَكِ مِنْ حَاجَةٍ . قَالَتْ : أَوَ تَفْعَلُ إِذَا سَأَلْتُكَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ : تُعْطِينِي مِئَةَ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ فِيهَا فَحْلُهَا وَرَاعِيهَا . قَالَ مَاذَا تَصْنَعِينَ بِهَا . قَالَتْ : أَغْذُو بِأَلْبَانِهَا ٱلصِّغَارَ . وَأَسْتَحْيِي[3] بِهَا ٱلْكِبَارَ . وَأَكْتَسِبُ بِهَا ٱلْمَكَارِمَ . وَأُصْلِحُ بِهَا بَيْنَ ٱلْعَشَائِرِ . قَالَ : فَإِنْ أَعْطَيْتُكِ ذٰلِكِ فَهَلْ أَحُلُّ عِنْدَكِ مَحَلَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . قَالَتْ : سُبْحَانَ ٱللّٰهِ أَوْ دُونَهُ . فَأَنْشَأَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ :

---

(١) نعم (٢) من فتنه اذا اوقعه في الفتنة وهي الضلال والاثم والفضيحة

(٣) من استحياه اذا ابقاه وتركه حياً

إِذَا لَمْ أَعُدْ بِالْحِلْمِ مِنِّي عَلَيْكُمُ   فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يُؤَمَّلُ لِلْحِلْمِ
خُذِيهَا هَنِيئاً وَاذْكُرِي فِعْلَ مَاجِدٍ   جَزَاكِ عَلَى حَرْبِ الْعَدَاوَةِ بِالسِّلْمِ

ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْ كَانَ عَلِيٌّ حَيّاً مَا أَعْطَاكِ مِنْهَا شَيْئاً. فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ وَلَا وَبَرَةً وَاحِدَةً مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ

كِلَابٌ مَزَّقَتْ أَسَداً

بَعَثَ مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى هٰرُونَ الرَّشِيدِ بِسُيُوفٍ قَلْعِيَّةٍ (١) وَكِلَابٍ سُيُورِيَّةٍ وَثِيَابٍ مِنْ ثِيَابِ الْهِنْدِ. فَلَمَّا أَتَتْهُ الرُّسُلُ بِالْهَدِيَّةِ أَمَرَ الْأَتْرَاكَ فَصَفُّوا صَفَّيْنِ وَلَبِسُوا الْحَدِيدَ حَتَّى لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ (٢) وَأَذِنَ لِلرُّسُلِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا جِئْتُمْ بِهِ. قَالُوا: هٰذِهِ أَشْرَفُ كُسْوَةِ بَلَدِنَا. فَأَمَرَ هٰرُونُ الْقَطَّاعَ بِأَنْ يَقْطَعَ مِنْهَا جِلَالًا وَبَرَاقِعَ (٣) كَثِيرَةً لِخَيْلِهِ. فَشَقَّ الْأَمْرُ عَلَى الرُّسُلِ وَتَذَمَّمُوا (٤) وَنَكَسُوا رُؤُوسَهُمْ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَا عِنْدَكُمْ غَيْرُ هٰذَا. قَالُوا لَهُ: هٰذِهِ سُيُوفٌ قَلْعِيَّةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا. فَدَعَا هٰرُونُ بِالصَّمْصَامَةِ سَيْفِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ فَقَطَعَتِ

---

(١) قلعية نسبة الى قلعة وهي بلد ببلاد الهند اليها تنسب السيوف (٢) جمع حدقة وهي سواد العين الاعظم (٣) جمع برقع وهو خريقة تثقب للعينين تلبسها الدواب فتستر الوجه (٤) استنكفوا

ٱلسُّيُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفاً سَيْفاً كَمَا يُقْطَعُ ٱلْفُجْلُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْثَنِيَ لَهُ شَفْرَةٌ . ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ فَإِذَا لَا فَلَّ[1] فِيهِ . فَخَجِلَ ٱلْقَوْمُ وَٱنْقَبَضَتْ نُفُوسُهُمْ : ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : مَا عِنْدَكُمْ غَيْرُ هٰذَا . قَالُوا هٰذِهِ كِلَابٌ سُهُورِيَّةٌ لَا يَلْقَاهَا سَبُعٌ إِلَّا عَقَرَتْهُ . فَقَالَ لَهُمْ هٰرُونُ إِنَّ عِنْدِي سَبُعاً فَإِنْ عَقَرَتْهُ فَهِيَ كَمَا ذَكَرْتُمْ . ثُمَّ أَمَرَ بِٱلْأَسَدِ فَأُخْرِجَ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ هَالَهُمْ[2] وَقَالُوا : لَيْسَ عِنْدَنَا مِثْلُ هٰذَا ٱلسَّبُعِ فِي بَلَدِنَا . قَالَ لَهُمْ هٰرُونُ : هٰذِهِ سِبَاعُ بَلَدِنَا . قَالُوا : فَنُرْسِلُهَا عَلَيْهِ . وَكَانَتِ ٱلْأَكْلُبُ ثَلَاثَةً . فَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِ فَمَزَّقَتْهُ . فَأُعْجِبَ بِهِمْ هٰرُونُ وَقَالَ لَهُمْ : تَمَنَّوْا فِي هٰذِهِ ٱلْكِلَابِ مَا شِئْتُمْ مِنْ طَرَائِفِ بَلَدِنَا . قَالُوا : مَا نَتَمَنَّى إِلَّا ٱلسَّيْفَ ٱلَّذِي قَطَعْتَ بِهِ سُيُوفَنَا . قَالَ هٰذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ فِي دِينِنَا أَنْ نُهَادِيَكُمْ بِالسِّلَاحِ . وَلَوْلَا ذٰلِكَ مَا بَخِلْنَا بِهِ عَلَيْكُمْ وَلٰكِنْ تَمَنَّوْا غَيْرَ ذٰلِكَ مَا شِئْتُمْ . فَقَالُوا : مَا نَتَمَنَّى غَيْرَهُ . قَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ لَهُمْ بِتُحَفٍ كَبِيرَةٍ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُمْ

---

(١) من فل [illegible] (٢) أفزعهم

صَاحِبُ الحَقِّ لَا يُهَابُ

رَوَى هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلزَّيَّاتِ قَالَ: جَلَسَ أَبِي لِلْمَظَالِمِ يَوْماً. فَلَمَّا ٱنْقَضَى ٱلْمَجْلِسُ رَأَى رَجُلاً جَالِساً فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ. قَالَ: نَعَمْ أَدْنِنِي إِلَيْكَ فَإِنِّي مَظْلُومٌ وَقَدْ أَعْوَزَنِي ٱلْعَدْلُ وَٱلْإِنْصَافُ. قَالَ: وَمَنْ ظَلَمَكَ. قَالَ: أَنْتَ وَلَسْتُ أَصِلُ إِلَيْكَ فَأَذْكُرَ حَاجَتِي. قَالَ: وَمَا يَحْجُبُكَ وَقَدْ تَرَى مَجْلِسِي مَبْذُولاً[1]. قَالَ: يَحْجُبُنِي عَنْكَ هَيْبَتُكَ وَطُولُ لِسَانِكَ وَفَصَاحَتُكَ. قَالَ: فَفِيمَ ظَلَمْتُكَ. قَالَ فِي ضَيْعَتِي ٱلْفُلَانِيَّةِ أَخَذَهَا وَكِيلُكَ غَصْباً مِنِّي بِغَيْرِ ثَمَنٍ. فَإِذَا وَجَبَ عَلَيْهَا خَرَاجٌ أَدَّيْتُهُ بِٱسْمِي لِئَلَّا يَثْبُتَ لَكَ ٱسْمٌ فِي مُلْكِهَا فَيَبْطُلُ مُلْكِي. فَوَكِيلُكَ يَأْخُذُ غَلَّتَهَا وَأَنَا أُؤَدِّي خَرَاجَهَا. وَهٰذَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي ٱلْمَظَالِمِ. فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: هٰذَا قَوْلٌ تَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى بَيِّنَةٍ[2] وَشُهُودٍ وَأَشْيَاءَ. فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ: أَيُؤَمِّنُنِي ٱلْوَزِيرُ مِنْ غَضَبِهِ حَتَّى أُجِيبَ. قَالَ: نَعَمْ قَدْ أَمَّنْتُكَ. قَالَ: ٱلْبَيِّنَةُ هِيَ ٱلشُّهُودُ. وَإِذَا شَهِدُوا فَلَيْسَ يُحْتَاجُ مَعَهُمْ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ. فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ بَيِّنَةٌ وَشُهُودٌ وَأَشْيَاءُ وَأَيُّ شَيْءٍ هٰذِهِ ٱلْأَشْيَاءُ، إِنْ هِيَ إِلَّا ٱلْجَوْرُ وَعُدُولُكَ عَنِ

---

(١) من بذل الشيء اذا اعطاه وجاد به (٢) البينة الدليل والحجة

ٱلعَدْلِ . فَضَحِكَ مُحَمَّدٌ وَقَالَ : صَدَقْتَ . وَٱلْبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِٱلْمَنْطِقِ . وَإِنِّي لَأَرَى فِيكَ مُصْطَنَعاً[1] ثُمَّ وَقَّعَ لَهُ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ وَأَنْ يُطْلَقَ لَهُ مِئَةُ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى عِمَارَةِ ضَيْعَتِهِ وَصَيَّرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ

مَا أَجْمَلَ ٱلْمُرُوءَةَ

قَالَ حُذَيْفَةُ ٱلْعَدَوِيُّ : ٱنْطَلَقْتُ يَوْمَ ٱلْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ٱبْنَ عَمٍّ لِي فِي ٱلْقَتْلَى وَمَعِي شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَاءِ وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ . فَإِذَا أَنَا بِهِ بَيْنَ ٱلْقَتْلَى . فَقُلْتُ لَهُ : أَسْقِيكَ . فَأَشَارَ إِلَيَّ : نَعَمْ . فَإِذَا بِرَجُلٍ يَقُولُ : آهِ . فَأَشَارَ إِلَيَّ ٱبْنُ عَمِّي : أَنِ ٱنْطَلِقْ إِلَيْهِ وَٱسْقِهِ . فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ ٱلْعَاصِ فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ . فَأَشَارَ إِلَيَّ : أَنْ نَعَمْ . فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آهِ فَأَشَارَ إِلَيَّ : أَنِ ٱنْطَلِقْ إِلَيْهِ . فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ . فَرَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ . فَرَجَعْتُ إِلَى ٱبْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ

حِلْمٌ نَادِرٌ

قِيلَ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ حُسْنَ ٱلْخُلُقِ . فَقَالَ : مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ . بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي دَارِهِ إِذْ ...

---

(١) اي مكاناً للاحسان

جَاءَتْهُ جَارِيَةٌ لَهُ بِسَفُّودٍ[1] عَلَيْهِ شِوَاءٌ حَارٌّ. فَنَزَعَتِ ٱلسَّفُّودَ مِنَ ٱللَّحْمِ وَأَلْقَتْهُ خَلْفَ ظَهْرِهَا . فَوَقَعَ عَلَى ٱبْنٍ لَهُ فَقَتَلَهُ لِوَقْتِهِ . فَدَهِشَتِ ٱلْجَارِيَةُ . فَقَالَ : لَا رَوْعَ[2] عَلَيْكِ أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ ٱللهِ

إِيثَارٌ غَرِيبٌ

مِنْ عَجَائِبِ مَا ذُكِرَ فِي ٱلْإِيثَارِ مَا حَكَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْأَزْدِيُّ قَالَ: لَمَّا ٱحْتَرَقَ ٱلْمَسْجِدُ بِمَرْوَ ظَنَّ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّ ٱلنَّصَارَى أَحْرَقُوهُ فَأَحْرَقُوا لَهُمْ خَانًا كَانُوا يَبِيعُونَ فِيهِ ٱلزَّيْتَ . فَقَبَضَ ٱلسُّلْطَانُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلَّذِينَ أَحْرَقُوا ٱلْخَانَ . وَكَتَبَ رِقَاعًا[3] فِيهَا ٱلنَّطْعُ وَٱلْجَلْدُ وَٱلْقَتْلُ . وَنَثَرَهَا عَلَيْهِمْ . فَمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ رُقْعَةٌ فَعَلَ بِهِ مَا فِيهَا . فَوَقَعَتْ رُقْعَةٌ فِي حِجْرِ رَجُلٍ فِيهَا ٱلْقَتْلُ فَلَمَّا قَرَأَهَا بَكَى وَقَالَ : وَٱللهِ مَا كُنْتُ أُبَالِي لَوْلَا أُمٌّ لِي . فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ شَابٌّ كَانَ إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ لَهُ : فِي رُقْعَتِي ٱلْجَلْدُ وَلَا أُمَّ لِي ، فَخُذْ أَنْتَ رُقْعَتِي وَٱدْفَعْ إِلَيَّ رُقْعَتَكَ . فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَأَقْسَمَ أَنْ لَا بُدَّ . فَفَعَلَا فَقُتِلَ ذٰلِكَ ٱلْفَتَى وَتَخَلَّصَ ٱلرَّجُلُ

---

(١) السفود حديدة يشوى عليها اللحم (٢) خوف (٣) جمع رقعة وهي القطعة من الورق التي تُكتب

أَرْيَحِيَّةٌ أَعْرَابِيَّةٌ

قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ : هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَسْخَى مِنْكَ . قَالَ : نَعَمْ نَزَلْتُ بِالْبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ فَجَاءَ زَوْجُهَا فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ نَزَلَ بِنَا ضِيفَانٌ فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا [١] وَقَالَ : شَأْنَكُمْ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ بِأُخْرَى فَنَحَرَهَا وَقَالَ شَأْنَكُمْ . فَقُلْنَا مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِي نُحِرَتِ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْقَلِيلَ . فَقَالَ : إِنِّي لَا أُطْعِمُ ضِيفَانِي الْغَابَّ . [٢] فَبَقِينَا عِنْدَهُ أَيَّاماً وَالسَّمَاءُ تَمْطُرُ وَهُوَ يَفْعَلُ كَذَلِكَ . فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّحِيلَ وَضَعْنَا مِئَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ : اعْتَذِرِي لَنَا إِلَيْهِ وَمَضَيْنَا . فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ إِذَا بِرَجُلٍ يَصِيحُ خَلْفَنَا : أَيُّهَا الرَّكْبُ اللِّئَامُ ، أَعْطَيْتُمُونَا ثَمَنَ قِرَانَا [٣] . ثُمَّ إِنَّهُ لَحِقَنَا وَقَالَ : خُذُوهَا وَإِلَّا طَعَنْتُكُمْ بِرُمْحِي هٰذَا فَأَخَذْنَاهَا وَانْصَرَفْنَا

إِذَا ذَكَرْتَ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مُصِيبَةً مِنْكَ خَفَّتْ مُصَابُكَ

قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ وَفْدٌ مِنْ عَبْسٍ فِيهِ شَيْخٌ ضَرِيرٌ [٤] فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَسَبَبِ ذَهَابِ بَصَرِهِ . فَقَالَ : خَرَجْتُ مَعَ رُفْقَةٍ مُسَافِرِينَ وَمَعِي مَالِي وَعِيَالِي . وَلَا أَعْلَمُ عَبْسِيّاً يَزِيدُ مَالُهُ عَلَى

---

(١) نحر الناقة طعنها حيث يبدو الحلقوم (٢) الغاب اللحم الذي بات
(٣) قرى ما قري به الضيف (٤) الضرير الذاهب البصر

مَالِي . فعرّسنا[١] في بطنِ وادٍ فطرَقنا[٢] سيلٌ فذهبَ ما كانَ لي مِنْ أهلٍ ومالٍ وولدٍ غيرَ صبيٍّ صغيرٍ وبعيرٍ . فشردَ البعيرُ فوضعتُ الصغيرَ على الأرضِ ومضيتُ لآخذَ البعيرَ . فسمعتُ صيحةَ الصغيرِ . فرجعتُ إليهِ . فإذا رأسُ الذئبِ في بطنِهِ وهوَ يأكلُ فيهِ فرجعتُ إلى البعيرِ فحطَمَ[٣] وجهي برجلِهِ فذهبتْ عيناي فأصبحتُ بلا عينينِ ولا ولدٍ ولا مالٍ ولا أهلٍ . فقالَ الوليدُ : اذهبُوا بهِ إلى عروةَ ليعلمَ أنَّ في الدُّنيا مَنْ هوَ أعظمُ مصيبةً مِنهُ

ما أبدعُ الوفاءَ

قالَ أبو الفتحِ المنطقيُّ : كُنّا جلوساً عندَ كافورَ الأخشيديِّ وهوَ يومئذٍ صاحبُ مصرَ والشامِ . ولهُ مِنَ البسطةِ[٤] والمُكنةِ[٥] ونفوذِ الأمرِ وعلوِّ القدرِ وشهرةِ الذكرِ ما يتجاوزُ الوصفَ والحصرَ . فحضرَتِ المائدةُ والطعامُ فلمّا أكلْنا نامَ وانصرفْنا . فلمّا انتبهَ مِنْ نومِهِ طلبَ جماعةً منّا وقالَ : امضُوا الساعةَ إلى عتبةِ النجّارينَ وسلُوا عنْ شيخٍ منجّمٍ أعورَ كانَ يقعُدُ هناكَ .

---

(١) عرّس القوم اذا نزلوا في السفر في آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون (٢) طرقه اتاه ليلا (٣) كسر (٤) البسطة السعة (٥) القوة والشدة

فَإِنْ كانَ حيًّا فَأَحضِرُوهُ وَإِنْ كانَ قَدْ تُوُفِّيَ فَسَلُوا عَنْ أَوْلادِهِ وَٱكْشِفُوا أَمْرَهُمْ. قالَ: فَمَضَيْنا إِلَى هُناكَ وَسَأَلْنا عَنْهُ فَوَجَدْناهُ قَدْ ماتَ وَتَرَكَ بِنْتَيْنِ إِحْداهُما مُتَزَوِّجَةٌ وَٱلْأُخْرَى عاتِقٌ[١]. فَرَجَعْنا إِلَى كافُورٍ وَأَخْبَرْناهُ بِذٰلِكَ. فَسُرَّ فِي ٱلْحالِ وَٱشْتَرَى لِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُما دارًا وَأَعْطاهُما مالًا جَزِيلًا وَكُسْوَةً فاخِرَةً. وَزَوَّجَ ٱلْعاتِقَ وَأَجْرَى عَلَى كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُما رِزْقًا وَأَظْهَرَ أَنَّهُما مِنَ ٱلْمُتَعَلِّقِينَ بِهِ لِرِعايَةِ أُمُورِهِما. فَلَمّا فَعَلَ ذٰلِكَ قالَ: أَتَعْلَمُونَ سَبَبَ هٰذا. قُلْنا: لا. فَقالَ: ٱعْلَمُوا أَنِّي مَرَرْتُ يَوْمًا بِوالِدِهِما ٱلْمُنَجِّمِ وَأَنا فِي مِلْكِ ٱبْنِ عَبّاسٍ ٱلْكاتِبِ، وَأَنا بِحالَةٍ رَثَّةٍ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقالَ: أَنْتَ تَصِيرُ إِلَى رَجُلٍ جَلِيلِ ٱلْقَدْرِ وَتَبْلُغُ مِنْهُ مَبْلَغًا كَبِيرًا وَتَنالُ خَيْرًا كَثِيرًا. ثُمَّ طَلَبَ مِنِّي شَيْئًا فَأَعْطَيْتُهُ دِرْهَمَيْنِ كانا مَعِي وَلَمْ يَكُنْ مَعِي غَيْرُهُما. فَرَمَى بِهِما إِلَيَّ وَقالَ: أُبَشِّرُكَ بِهٰذِهِ ٱلْبِشارَةِ وَتُعْطِينِي دِرْهَمَيْنِ. ثُمَّ قالَ: وَأَزِيدُكَ: أَنْتَ وَٱللهِ تَمْلِكُ هٰذا ٱلْبَلَدَ وَأَكْثَرَ مِنْهُ، فَٱذْكُرْنِي إِذا صِرْتَ إِلَى ٱلَّذِي وَعَدْتُكَ بِهِ وَلَا تَنْسَ. فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ. فَقالَ: عاهِدْنِي أَنَّكَ تَفِي لِي وَلَا يَشْغَلُكَ ذٰلِكَ عَنِ ٱفْتِقادِي. فَعاهَدْتُهُ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنِّي ٱلدِّرْهَمَيْنِ. ثُمَّ إِنِّي شُغِلْتُ عَنْهُ بِما تَجَدَّدَ

---

(١) العاتق الجارية التي لم تتزوج

لِي مِنَ ٱلْأُمورِ وَٱلْأَحوَالِ وَصِرتُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةِ وَنَسِيتُ ذٰلِكَ
فَلَمَّا أَكَلْنَا ٱلْيَوْمَ وَنِمتُ رَأَيْتُهُ فِي ٱلْمَنَامِ قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي :
أَيْنَ ٱلْوَفَاءُ بِٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَإِتْمَامُ وَعْدِكَ . لَا تَغْدُرْ
فَيُغْدَرُ بِكَ . فَٱسْتَيْقَظْتُ وَفَعَلْتُ مَا رَأَيْتُمْ . ثُمَّ زَادَ فِي إِحسَانِهِ إِلَى
بَنَاتِ ٱلْمُنَجِّمِ وَفَاءً لِوَالِدِهِمَا بِمَا وَعَدَهُ

لَا يَضِيعُ ٱلْمَعْرُوفُ عِندَ أَهْلِهِ

حَكَى ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: كُنْتُ يَوْماً عِندَ يَحيَى بْنِ خَالِدٍ
ٱلْبَرْمَكِيِّ وَقَدْ خَلَا فِي مَجْلِسِهِ لِإِحْكَامِ أَمْرٍ مِنْ أُمورِ ٱلرَّشِيدِ .
فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصحَابِ ٱلْحَوَائِجِ
فَقَضَاهَا لَهُمْ . ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِشَأْنِهِمْ فَكَانَ آخِرُهُمْ قِيَاماً أَحمَدَ ٱبْنَ
أَبِي خَالِدٍ ٱلْأَحْوَلِ . فَنَظَرَ يَحيَى إِلَيْهِ وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلْفَضْلِ ٱبْنِهِ وَقَالَ:
يَا بُنَيَّ إِنَّ لِأَبِيكَ مَعَ أَبِ هٰذَا ٱلْفَتَى حَدِيثاً فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْ شُغْلِي
هٰذَا فَذَكِّرْنِي أُحَدِّثْكَ بِهِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شُغْلِهِ وَطَعِمَ قَالَ لَهُ ٱبْنُهُ
ٱلْفَضْلُ . أَعَزَّكَ ٱللهُ يَا أَبِي أَمَرْتَنِي أَنْ أُذَكِّرَكَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدٍ
ٱلْأَحْوَلِ . قَالَ : نَعَمْ يَا بُنَيَّ . لَمَّا قَدِمَ أَبُوكَ مِنَ ٱلْعِرَاقِ أَيَّامَ
ٱلْمَهْدِيِّ كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئاً . فَٱشْتَدَّ بِي ٱلْأَمْرُ إِلَى أَنْ قَالَ
لِي مَنْ فِي مَنْزِلِي : إِنَّا قَدْ كَتَمْنَا حَالَنَا وَزَادَ ضَرَرُنَا . وَلَنَا ٱلْيَوْمَ

ثَلاثَةُ أَيّامٍ مَا عِندَنَا شيءٌ نقتاتُ بِهِ . قَالَ: فَبكَيتُ يا بُنَيَّ لِذٰلِكَ بُكَاءً شَدِيدًا وَبَقِيتُ وَلْهَانَ حيرانَ مُطرِقاً مُفكِّرًا . ثُمَّ تذكَّرتُ مِنديلًا كَانَ عِندِي فقُلتُ لَهُمْ : مَا حَالُ ٱلْمِنديلِ . فقَالُوا: هُوَ بَاقٍ عِندَنَا . فقُلتُ : ادفعوهُ إلَيَّ فأَخذتُهُ وَدَفَعتُهُ إلى بعضِ أَصحابِي وَقُلتُ لَهُ : بِعْهُ بِمَا تَيَسَّرَ . فَبَاعَهُ بِسَبْعَةَ عَشَرَ دِرهَمًا فَدَفَعتُهَا إلى أَهلِي وَقُلتُ : أَنفِقُوهَا إلَى أَنْ يَرْزُقَ ٱللهُ غَيرَهَا . ثُمَّ بَكَّرتُ مِنَ ٱلْغَدِ إلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَزِيرُ ٱلْمَهدِيِّ . فَإِذَا ٱلنَّاسُ وُقُوفٌ عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ . فَخَرَجَ عَلَيهِمْ رَاكِباً . فَلَمَّا رَآنِي سَلَّمَ عَلَيَّ وَقَالَ : كَيفَ حَالُكَ . فقُلتُ : يَا أَبَا خَالِدٍ مَا حَالُ رَجُلٍ يَبِيعُ مِنْ مَنزِلِهِ بِٱلْأَمسِ مِندِيلًا بِسَبْعَةَ عَشَرَ دِرهَمًا . فَنَظَرَ إلَيَّ نَظَرًا شَدِيدًا وَمَا أَجَابَنِي جَوَابًا . فَرَجَعتُ إلى أَهلِي كَسِيرَ ٱلْقَلبِ وَأَخبَرتُهُمْ بِمَا ٱتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ . فقَالُوا : بِئْسَ وَٱللهِ مَا فَعَلتَ . تَوَجَّهتَ إلَى رَجُلٍ كَانَ يَرتَضِيكَ[1] لِأَمرٍ جَلِيلٍ . فَكَشَفتَ لَهُ سِرَّكَ وَأَطلَعتَهُ عَلى مَكنُونِ[2] أَمرِكَ فَأَزرَيتَ[3] عِندَهُ بِنَفسِكَ وَصَغَّرتَ عِندَهُ مَنزِلَتَكَ بَعدَ أَنْ كُنتَ عِندَهُ جَلِيلًا . فَمَا يَرَاكَ بَعدَ ٱلْيَومِ إلَّا بِهٰذِهِ ٱلْعَينِ . فقُلتُ : قَدْ

---

(١) يختارك ويراك هلًا (٢) مستور (٣) من ازرى به اذا وضع منه وحط من قدره

قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلْآنَ بِمَا لَا يُمْكِنُ ٱسْتِدْرَاكُهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ بَكَّرْتُ إِلَى بَابِ ٱلْخَلِيفَةِ فَلَمَّا بَلَغْتُ ٱلْبَابَ ٱسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي : قَدْ ذُكِرْتَ ٱلسَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَلَمْ أَلْتَفِتْ لِقَوْلِهِ . فَٱسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَمَقَالَةِ ٱلْأَوَّلِ . ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ فَقَالَ لِي : أَيْنَ تَكُونُ . قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ فَلَمَّا رَآنِي دَعَانِي وَأَمَرَ لِي بِمَرْكُوبٍ ، فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : عَلَيَّ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ ٱلْحَنَّاطَيْنِ فَأُحْضِرَا . فَقَالَ لَهُمَا : أَلَمْ تَشْتَرِيَا مِنِّي غَلَّاتِ ٱلسَّوَادِ[1] بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَةَ رَجُلٍ مَعَكُمَا . قَالَا : بَلَى . قَالَ : هُوَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي ٱشْتَرَطْتُ شِرْكَتَهُ لَكُمَا . ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ مَعَهُمَا . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي : ٱدْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ ٱلْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ ٱلرِّبْحُ ٱلْهَنِيءُ . فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَا لِي : إِنَّكَ تَحْتَاجُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ إِلَى وُكَلَاءَ وَأُمَنَاءَ وَكَيَّالِينَ وَأَعْوَانٍ وَمُؤَنٍ لَا تَقْدِرُ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شِرْكَتَكَ بِمَالٍ نُعَجِّلُهُ لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَيَسْقُطَ عَنْكَ ٱلتَّعَبُ وَٱلْكُلَفُ . فَقُلْتُ لَهُمَا : وَكَمْ

---

(١) سواد البلدة ما حولها من القرى والريف

تَبْذُلَانِ لِي. فَقَالَا : مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ: لَا أَفْعَلُ . فَمَا زَالَا يَزِيدَانِ وَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَى أَنْ قَالَا لِي : ثَلَثَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَلَا زِيَادَةَ عِنْدَنَا عَلَى هٰذَا . فَقُلْتُ حَتَّى أُشَاوِرَ أَبَا خَالِدٍ. قَالَا : ذٰلِكَ لَكَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ . فَدَعَا بِهِمَا وَقَالَ لَهُمَا: هَلْ وَافَقْتُمَا عَلَى مَا ذُكِرَ . قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : اذْهَبَا فَاقْبِضَاهُ ٱلْمَالَ ٱلسَّاعَةَ ثُمَّ قَالَ لِي : أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ قَلَّدْتُكَ ٱلْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَلَّدَنِي مَا وَعَدَنِي بِهِ . فَمَا زِلْتُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ قَالَ لِوَلَدِهِ ٱلْفَضْلِ : يَا بُنَيَّ فَمَا تَقُولُ فِي ٱبْنِ مَنْ فَعَلَ بِأَبِيكَ هٰذَا ٱلْفِعْلَ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ : حَقٌّ لَعَمْرِي وَجَبَ عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ : وَٱللهِ يَا وَلَدِي مَا أَجِدُ لَهُ مُكَافَأَةً . غَيْرَ أَنِّي أَعْزِلُ نَفْسِي وَأُوَلِّيهِ . فَفَعَلَ ذٰلِكَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ . وَهٰكَذَا تَكُونُ ٱلْمُكَافَأَةُ

عَدَالَةُ أَنُوشِرْوَانَ فِي بِنَايَةِ ٱلْإِيوَانِ

حُكِيَ أَنَّ قَيْصَرَ مَلِكَ ٱلرُّومِ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى مَلِكِ فَارِسَ أَنُوشِرْوَانَ صَاحِبِ ٱلْإِيوَانِ . فَلَمَّا وَصَلَ وَرَأَى عَظَمَةَ ٱلْإِيوَانِ وَطَلَاقَتَهُ وَعَظَمَةَ مَجْلِسِ كِسْرَى عَلَى كُرْسِيِّهِ وَٱلْمُلُوكَ فِي خِدْمَتِهِ مَيَّزَ ٱلْإِيوَانَ فَرَأَى فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ ٱعْوِجَاجًا . فَسَأَلَ ٱلتُّرْجُمَانَ

عَنْ ذَٰلِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هُنَاكَ بَيْتاً لِعَجُوزٍ كَرِهَتْ بَيْعَهُ عِنْدَ عِمَارَةِ ٱلْإِيوَانِ . وَلَمْ يَرَ ٱلْمَلِكُ إِكْرَاهَهَا عَلَى ٱلْبَيْعِ . فَأَبْقَى بَيْتَهَا فِي جَانِبِ ٱلْإِيوَانِ . فَذَٰلِكَ مَا رَأَيْتَ وَسَأَلْتَ . فَقَالَ ٱلرُّومِيُّ وَحَقِّ رَأْسِهِ إِنَّ هٰذَا ٱلِٱعْوِجَاجَ أَحْسَنُ مِنَ ٱلِٱسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ مَلِكُ ٱلزَّمَانِ لَمْ يُؤَرَّخْ فِيمَا مَضَى لِمَلِكٍ وَلَا يُؤَرَّخْ فِيمَا بَقِيَ لِمَلِكٍ . فَأَعْجَبَ كِسْرَى كَلَامُهُ وَرَدَّهُ مَسْرُورًا مَحْبُورًا

بَرَاعَةُ ٱلِٱسْتِمْنَاحِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُ : بِٱلَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْكَ هٰذِهِ ٱلنِّعَمَ مِنْ غَيْرِ شَفِيعٍ كَانَ لَكَ إِلَّا أَنْصَفْتَنِي مِنْ خَصْمِي وَأَخَذْتَ لِي ٱلْحَقَّ مِنْهُ فَإِنَّهُ ظَلُومٌ غَشُومٌ لَا يَسْتَحِي مِنْ كَبِيرٍ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى صَغِيرٍ . فَقَالَ : أَعْلِمْنِي مَنْ هُوَ . قَالَ : هُوَ ٱلْفَقْرُ . فَأَطْرَقَ إِلَى ٱلْأَرْضِ مَلِيًّا يَنْكُتُ ٱلْأَرْضَ بِإِصْبَعِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَأَخَذَهَا وَمَضَى . فَلَمَّا سَارَ خَارِجاً مِنْهُ قَالَ : رُدُّوهُ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : يَا ذَا ٱلرَّجُلُ سَأَلْتُكَ بِٱللهِ مَتَى أَتَاكَ خَصْمُكَ مُتَعَسِّفاً إِلَّا أَتَيْتَ إِلَيْنَا فِيهِ مُتَظَلِّماً

الباب السادس

في الشعر

الشعر القديم

« لعنترة العبسي »

لَا يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ ٱلرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ ٱلْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ ٱلْغَضَبُ

وَمَنْ يَكُنْ عَبْدَ قَوْمٍ لَا يُخَالِفُهُمْ ... إِذَا جَفَوْهُ[1] وَيَسْتَرْضِي إِذَا عَتَبُوا

قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ ... وَٱلْيَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمْ كُلَّمَا نُكِبُوا

لِلّٰهِ دَرُّ بَنِي عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا[2] ... مِنَ ٱلْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَنْسُلُ ٱلْعَرَبُ

لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَبٌ ... يَوْمَ ٱلنِّزَالِ[3] إِذَا مَا فَاتَنِي ٱلنَّسَبُ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَنَّ يَدِي ... قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَٱلْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ

إِنَّ ٱلْأَفَاعِي وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا ... عِنْدَ ٱلتَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا ٱلْعَطَبُ

أَلْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَيُّ فَتًى ... يَلْقَى أَخَاكَ ٱلَّذِي قَدْ غَرَّهُ ٱلْعُصَبُ

فَتًى يَخُوضُ[4] غُبَارَ ٱلْحَرْبِ مُبْتَسِمًا ... وَيَنْثَنِي وَسِنَانُ ٱلرُّمْحِ مُخْتَضِبُ[5]

إِنْ سَلَّ صَارِمَهُ[6] سَالَتْ مَضَارِبُهُ ... وَأَشْرَقَ ٱلْجَوُّ وَٱنْشَقَّتْ لَهُ ٱلْحُجُبُ

---

(١) جفاه ضد آنسه ووصاه (٢) ولدوا (٣) القتال (٤) يقتحم (٥) اي متلون بالدم (٦) سيفه

فَٱلْخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أُكَفْكِفُهَا   وَٱلطَّعْنُ مِثْلُ شِرَارِ ٱلنَّارِ يَلْتَهِبُ

إِذَا ٱلْتَقَيْتُ ٱلْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ   تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ ٱلْمَغْرُورَ يَنْتَهِبُ

لِيَ ٱلنُّفُوسُ وَلِلطَّيْرِ ٱللُّحُومُ وَلِلْـوَحْشِ ٱلْعِظَامُ وَلِلْخَيَّالَةِ ٱلسَّلَبُ

لَا أَبْعَدَ ٱللهُ عَنْ عَيْنِي غَطَارِفَةً[1]   إِنْساً إِذَا نَزَلُوا جِنّاً إِذَا رَكِبُوا

أُسُودُ غَابٍ وَلٰكِنْ لَا نُيُوبَ لَهُمْ   إِلَّا ٱلْأَسِنَّةَ وَٱلْهِنْدِيَّةَ ٱلْقُضُبُ[2]

تَعْدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ[3] مُضَمَّرَةٌ   مِثْلَ ٱلسَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا ٱلْقَبَبُ

مَا زِلْتُ أَلْقَى صُدُورَ ٱلْخَيْلِ مُنْدَفِقاً   بِٱلطَّعْنِ حَتَّى يَضِجَّ ٱلسَّرْجُ وَٱللَّبَبُ[4]

فَٱلْعُمْيُ لَوْ كَانَ فِي أَجْفَانِهِمْ نَظَرُوا   وَٱلْخُرْسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطَبُوا

وَٱلنَّقْعُ يَوْمَ طِرَادِ ٱلْخَيْلِ يَشْهَدُ لِي   وَٱلضَّرْبُ وَٱلطَّعْنُ وَٱلْأَقْلَامُ وَٱلْكُتُبُ

« له ايضاً »

سَكَتُّ فَغَرَّ أَعْدَائِي ٱلسُّكُوتُ   وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ

وَكَيْفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمٍ   أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رُبِيتُ

وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ ٱلْأَعَادِي   وَنَادُونِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيتُ

بِسَيْفٍ حَدُّهُ مَوْجُ ٱلْمَنَايَا   وَرُمْحٍ صَدْرُهُ ٱلْحَتْفُ[5] ٱلْمُمِيتُ

---

(١) جمع غطريف وهو السيد (٢) جمع القضيب وهو السيف القطاع (٣) نسبة الى اعوج وهو فرس لبني هلال ليس في العرب فحل اشهر ولا اكثر نسلاً منه (٤) ما يشد من سيور السرج في اللبة من صدر الدابة (٥) الموت

خُلِقتُ مِنَ الحَديدِ أشَدَّ قَلباً وَقَدْ بَلِيَ الحَديدُ وَمَا بَلِيتُ
وَإنّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الأعَادِي بِأقحَافِ(١) الرُّؤوسِ وَمَا رَوِيتُ
وَفي الحَرْبِ العَوَانِ(٢) وُلِدْتُ طِفلاً وَمِنْ لَبَنِ المَعَامِعِ قَدْ سُقِيتُ
فَمَا لِلرُّمحِ في جِسْمي نَصِيبٌ وَلا لِلسَّيفِ في أعضَايَ قُوتُ
وَلي بَيْتٌ عَلا فَلَكَ الثُّرَيّا تَخِرُّ لِعُظْمِ هَيْبَتِهِ البُيُوتُ

« وقال ابو فراس الحمداني من قصيدة »

إلَى اللهِ أشكُو مَا أرَى مِنْ عَشيرَةٍ إذَا مَا تَأوَّنَا زَادَ حَالُهُمْ بُعْدَا
وَإنّا لَتَثْنِينَا عَوَاطِفُ حِلمِنَا عَلَيْهِمْ وَإنْ سَاءَتْ طَرَائِقُهُمْ صَدّا
وَيَمْنَعُنَا ظُلْمَ العَشيرَةِ أنّنَا إلَى ضَرّهَا لَوْ نَبْتَغي ضَرّهَا أهْدَى
وَلَوْ عَرَفَتْ هَذِي العَشَائِرُ رُشْدَهَا إذاً جَعَلَتْنَا دُونَ أعدَائِهَا سَدّا
وَلَكِنْ أرَاهَا أصْلَحَ اللهُ أمْرَهَا وَأخلَفَهَا بِالرُّشْدِ قَدْ عَدِمَتْ رُشْدَا
إلَى كَمْ نَرُدُّ البِيضَ عَنهَا صَوَادِيَا وَنَثْنِي صُدُورَ الخَيْلِ قَدْ مُلِئَتْ حِقْدَا
وَنَغْلِبُ بِالحِلْمِ الحَمِيّةَ فِيهِمُ وَنَرْعَى رِجَالاً لَيْسَ تَرْعَى لَنَا عَهْدَا
أخَافُ عَلَى نَفْسِي وَلِلحَرْبِ سَوْرَةٌ بَوَادِرَ أمْرٍ لا نُطِيقُ لَهَا رَدّا
وَجَوْلَةَ حَرْبٍ يَهْلِكُ الحِلْمُ عِنْدَهَا وَصَوْلَةَ بَأسٍ تَجْمَعُ الحُرَّ وَالعَبْدَا
وَإنّا لَنَرْمي الجَهْلَ بِالجَهْلِ قُوّةً إذَا لَمْ نَجِدْ مِنْهُ عَلَى حَالَةٍ بُدّا

(١) جمع قحف وهو ما انفلق من الجمجمة فبان (٢) العوان من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى

الشعر العصري

اللغة العربية على منبر الخطابة

« بقلم الخوري بطرس البستاني »

كَتَبَ ٱللهُ لِي ٱلْبَقَاءَ مَدِيدَا وَٱللُّغَاتُ ٱلْحِسَانُ تَهْوَى ٱلْخُلُودَا
مَا جَفَانِي مِنْ نَشْأَتِي قَطُّ وُلْدِي بَلْ كَسَوْنِي مِنَ ٱلْعَلَاءِ بُرُودَا
أَيُّ نَحْرٍ بَيْنَ ٱللُّغَاتِ كَنَحْرِي قَلَّدَتْهُ يَدُ ٱلْقَرِيضِ عُقُودَا
أَيُّ صَدْرٍ يَحْوِي ٱلْكُنُوزَ كَصَدْرِي وَيُرِيكَ ٱلْجُمَانَ فِيهِ نَضِيدَا
فِي ٱلْقَيَافِي نَشَأْتُ لٰكِنَّ بُرْدِي رَاقَ وَشْياً وَلَا يَزَالُ جَدِيدَا
شُعَرَائِي قَدْ أَخْرَسُوا بِٱلْقَوَافِي كُلَّ شَادٍ يُسَكِّتُ ٱلْغِرِّيدَا
حَلَّقُوا فِي ٱلْعُلَى نُسُورًا وَصَادُوا مَا رَأَوْهُ مِنَ ٱلْمَعَانِي فَرِيدَا
وَلَكَمْ رَنَّحَ ٱلْمَنَابِرَ فَخْرًا خُطَبَائِي وَأَرْقَصُوا ٱلْجُلْمُودَا
فَتَصَفَّحْ أَسْفَارَهُمْ إِنَّ فِيهَا حِكَماً تَجْعَلُ ٱلضَّلُولَ رَشِيدَا
كُلُّ نَدْبٍ يَخُوضُ بَحْرَ بَيَانِي لَا يُحَلِّي بِغَيْرِ دُرِّي ٱلْجِيدَا
وَإِذَا مَا تَلَا تَرَاجِمَ قَوْمِي أَبْصَرَ ٱلْأُسْدَ وَٱلْأُبَاةَ ٱلصِّيدَا
وَرَأَى ٱلذَّوْقَ فِي ٱلْفَلَا حَضَرِيًّا وَرَأَى ٱللُّطْفَ كَيْفَ يَأْوِي ٱلْبِيدَا

* * *

قَدْ طَوَيْتُ ٱلزَّمَانَ عَصْرًا فَعَصْرًا وَمَلَأْتُ ٱلزَّمَانَ عِزًّا وَجُودَا

وَتَفَرَّدْتُ بِٱلْبَلَاغَةِ حَتَّى ... رَفَعَ ٱلْعُجْمُ فِي ٱلرُّبَى لِي بُنُودَا
عَجَزَ ٱلنَّاسُ عَنْ لَحَاقِ غُبَارِي ... إِذَا تَخَطَّيْتُ فِي ٱلسِّبَاقِ ٱلْحُدُودَا
إِنَّ حِفظَ ٱلذِّمَامِ قَدْ بَاتَ عِنْدِي ... سُنَّةً لَا أُطِيقُ عَنْهَا مَحِيدَا
أَيُّ عَهْدٍ قَطَعْتُهُ كَانَ مِنْهُ ... حَوْلَ عُنْقِي ٱلْقُيُودُ تَعْلُو ٱلْقُيُودَا
وَإِذَا مَا وَعَدْتُ أَنْجَزْتُ وَعْدِي ... وَكَثِيرُونَ يَنْكُثُونَ ٱلْعُهُودَا
إِنَّ نَفْسِي تَطِيبُ إِنْ يَقْضِ يَوْماً ... فِي سَبِيلِ ٱلْوَفَا وَحِيدِي شَهِيدَا
وَٱلْمَعَالِي وَقَدْ مَلَكْتُ مَدَاهَا ... هِيَ كَانَتْ عَلَى كَمَالِي شُهُودَا
نَخْوَةٌ فِي حَمَاسَةٍ فِي إِبَاءٍ ... لَا تَرَى فِي ٱلْحِلَى لَهُنَّ نَدِيدَا
وَجِوَارِي لِلْخَائِفِينَ مَلَاذٌ ... يَجْعَلُ ٱلْمُحْتَمِي بِهِ صِنْدِيدَا

* * *

كَيْفَ أَخْشَى ٱلْعِدَى وَحَوْلِي سُورٌ ... مِنْ قُلُوبٍ بِهَا أَفُلُّ ٱلْحَدِيدَا
كَيْفَ أَخْشَى غَارَاتِ رَيْبِ ٱللَّيَالِي ... وَأَمَامِي لُبْنَانُ يُدْمِي ٱلْأُسُودَا
كَيْفَ أَخْشَى ذُبُولَ رَوْضِي وَجَنْبِي ... مَنْهَلٌ طَابَ مَصْدَرًا وَوُرُودَا
مَعْهَدٌ قَدْ لَقِيتُ فِي جَانِبَيْهِ ... عَطْفَ أُمٍّ عَلَى ٱلْوَلِيدِ وَحِبًّا
يَرْضَعُ ٱلنَّشْءُ مِنْ ثَدْيٍ حَلِيباً ... فَيَشِبُّ ٱلْفَتَى حُسَاماً حَدِيدَا

* * *

يَا بَنِي ٱلْعُرْبِ عَزِّزُونِي فَحَيُّوا ... وَأَذِيعُوا فِي ٱلْأَرْضِ ذِكْرِي ٱلْمَجِيدَا
وَٱنْشُرُوا فِي ٱلْأَنَامِ مَآثِرَ قَوْمِي ... وَتَحَدَّوْا بِٱلْمَكْرُمَاتِ ٱلْجَدِيدَا

كانَتِ ٱلعُرْبُ فِي ٱلخِيامِ مُلوكاً أَتَكُونُونَ فِي ٱلقُصُورِ عَبِيدَا
كانَتِ ٱلعُرْبُ أَرْحبَ ٱلنَّاسِ صَدْرًا وَلَدَى ٱلضَّيْمِ أَصْلَبَ ٱلنَّاسِ عُودَا
لَا يَرَوْنَ ٱلوِفَاقَ إِلَّا نَعِيماً وَيَرَوْنَ ٱلشِّقَاقَ خَطْباً شَدِيدَا
فَٱنْبِذُوا مِنْكُمُ ٱلتَّنافُرَ حَتَّى تَسْتَعِيدُوا عِزَّ ٱلجُدُودِ وَطِيدَا
وَتَبَارَوْا فِيمَا يُفِيدُ فَلَاحاً وَٱبْذُلُوا ٱلجُهْدَ فِي ٱلعُلُومِ جَهِيدَا
إِنَّمَا ٱلشَّرْقُ بِٱلجَهَالَةِ عَبْدٌ فَٱرْفَعُوهُ بِٱلعِلْمِ حَتَّى يَسُودَا

التربية والامهات

« من قصيدة للرصافي »

هِيَ ٱلأَخْلَاقُ تَنْبُتُ كَٱلنَّبَاتِ إِذَا سُقِيَتْ بِمَاءِ ٱلمَكْرُمَاتِ
تَقُومُ إِذَا تَعَهَّدَهَا[1] ٱلمُرَبِّي عَلَى سَاقِ ٱلفَضِيلَةِ مُثْمِرَاتِ
وَتَسْمُو لِلْمَكَارِمِ بِٱتِّسَاقٍ[2] كَمَا ٱتَّسَقَتْ أَنَابِيبُ[3] ٱلقَنَاةِ
وَتُنْعِشُ مِنْ صَمِيمِ ٱلمَجْدِ رُوحاً بِأَزْهَارٍ لَهَا مُتَضَوِّعَاتِ[4]
وَلَمْ أَرَ لِلْخَلَائِقِ مِنْ مَحَلٍّ يُهَذِّبُهَا كَحِضْنِ ٱلأُمَّهَاتِ
فَحِضْنُ ٱلأُمِّ مَدْرَسَةٌ تَسَامَتْ بِتَرْبِيَةِ ٱلبَنِينَ أَوِ ٱلبَنَاتِ
وَأَخْلَاقُ ٱلوَلِيدِ تُقَاسُ حُسْناً بِأَخْلَاقِ ٱلنِّسَاءِ ٱلوَالِدَاتِ

---

(١) تفقدها (٢) بانتظام (٣) جمع انبوب وهو من الرمح ما بين الكعبين (٤) منتشرات

وَلَيسَ رَبِيبٌ[١] عَالِيَةِ ٱلْمَزَايَا ... كَمِثْلِ رَبِيبِ سَافِلَةِ ٱلصِّفَاتِ

وَلَيسَ ٱلنَّبْتُ يَنْبُتُ فِي جِنَانٍ ... كَمِثْلِ ٱلنَّبْتِ يَنْبُتُ فِي ٱلْفَلَاةِ

فَيَا صَدْرَ ٱلْفَتَاةِ رَحِبْتَ صَدْرًا ... فَأَنْتَ مَقَرُّ أَسْنَى ٱلْعَاطِفَاتِ

نَرَاكَ إِذَا ضَمَمْتَ ٱلطِّفْلَ لَوْحًا ... يَفُوقُ جَمِيعَ أَلْوَاحِ ٱلْحَيَاةِ

إِذَا ٱسْتَنَدَ ٱلْوَلِيدُ عَلَيْكَ لَاحَتْ ... تَصَاوِيرُ ٱلْحَنَانِ مُصَوَّرَاتِ

لِأَخْلَاقِ ٱلصَّبِيِّ بِكَ ٱنْعِكَاسٌ ... كَمَا ٱنْعَكَسَ ٱلْخَيَالُ عَلَى ٱلْمِرَاةِ

وَمَا ضَرَبَانُ[٢] قَلْبِكَ غَيْرُ دَرْسٍ ... لِتَلْقِينِ ٱلْخِصَالِ ٱلْفَاضِلَاتِ

فَأَوَّلُ دَرْسِ تَهْذِيبِ ٱلسَّجَايَا ... يَكُونُ عَلَيْكَ يَا صَدْرَ ٱلْفَتَاةِ

فَكَيْفَ نَظُنُّ بِٱلْأَبْنَاءِ خَيْرًا ... إِذَا نَشَأُوا بِحِضْنِ ٱلْجَاهِلَاتِ

وَهَلْ يُرْجَى لِأَطْفَالٍ كَمَالٌ ... إِذَا ٱرْتَضَعُوا ثُدِيَّ ٱلنَّاقِصَاتِ

فَمَا لِلْأُمَّهَاتِ جَهِلْنَ حَتَّى ... أَتَيْنَ بِكُلِّ طَيَّاشِ[٣] ٱلْحَصَاةِ[٤]

حَنَوْنَ عَلَى ٱلرَّضِيعِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... فَضَاعَ حُنُوُّ تِلْكَ ٱلْمُرْضِعَاتِ

أَلَمْ نَرَ فِي ٱلْحِسَانِ ٱلْغِيدِ[٥] قَبْلًا ... أَوَانِسَ كَاتِبَاتٍ شَاعِرَاتِ

وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ ٱلْقَوْمِ قِدْمًا ... يَرُحْنَ إِلَى ٱلْحُرُوبِ مَعَ ٱلْغُزَاةِ

يَكُنَّ لَهُمْ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ عَوْنًا ... وَيَضْمِدْنَ[٦] ٱلْجُرُوحَ ٱلدَّامِيَاتِ

---

(١) الربيب المربى (٢) اضطراب وهيجان وتحرك (٣) الطياش الذي لا يقصد وجهاً واحداً خفة عقله (٤) الحصاة العقل والرأي (٥) جمع غيداء وهي المرأة المتثنية ليناً والتي بشرتها لطيفة والطويلة العنق (٦) ضمد الجرح شده بالضمادة وهي خرقة يشد بها العضو المأوف اي الذي اصابته آفة

وَكَمْ مِنْهُنَّ مَنْ أُسِرَتْ وَذَاقَتْ ... عَذَابَ ٱلْهُونِ فِي أَسْرِ ٱلْعُدَاةِ
فَمَاذَا ٱلْيَوْمَ ضَرَّ لَوِ ٱلْتَفَتْنَا ... إِلَى أَسْلاَفِنَا بَعْضَ ٱلْتِفَاتِ
فَهُمْ سَارُوا بِنَهْجِ هُدًى وَسِرْنَا ... بِمِنْهَاجِ ٱلتَّفَرُّقِ وَٱلشَّتَاتِ

« ذم القمار للشيخ نجيب الحداد »

لِكُلِّ نَقِيصَةٍ فِي ٱلنَّاسِ عَارٌ ... وَشَرُّ مَعَايِبِ ٱلْمَرْءِ ٱلْقِمَارُ
هُوَ ٱلدَّاءُ ٱلَّذِي لَا بُرْءَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ لِذَنْبِ صَاحِبِهِ ٱغْتِفَارُ
تُشَادُ لَهُ ٱلْمَنَازِلُ شَاهِقَاتٍ ... وَفِي تَشْيِيدِ سَاحَتِهَا ٱلدَّمَارُ[1]
تُصِيبُ ٱلنَّازِلِينَ بِهَا سُهَادٌ[2] ... فَإِفْلَاسٌ فَيَأْسٌ فَٱنْتِحَارُ[3]
قَدِ ٱخْتَصَرُوا ٱلتِّجَارَةَ مِنْ قَرِيبٍ ... فَمُدَّمٌ فِي ٱلدَّقِيقَةِ أَوْ يَسَارُ
وَبِئْسَ ٱلْعَيْشُ فَقْرٌ مُسْتَدِيمٌ ... يُعَارِضُهُ يَسَارٌ مُسْتَعَارُ
وَبِئْسَ ٱلْمَالُ لَا تَحْظَى يَمِينٌ ... بِهِ حَتَّى تُسَلِّمُهُ ٱلْيَسَارُ
يَفِرُّ مِنَ ٱلْبَنَانِ[4] فَلَيْسَ يَبْقَى ... لَهُمْ مِنْ إِثْرِهِ إِلَّا ٱصْفِرَارُ
كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ نَدَماً وَحُزْناً ... كَسَاهَا لَوْنَ صُفْرَتِهِ ٱلنُّضَارُ[5]
فَبَيْنَا تُبْصِرُ ٱلْوَجَنَاتِ وَرْداً ... إِذَا هِيَ فِي خَسَارَتِهِمْ بَهَارُ
كَأَنَّ ٱلْمَالَ بَيْنَهُمُ نُجُومٌ ... وَرُقْعَةُ[6] لِعْبِهِمْ فَلَكٌ مُدَارُ

---

(١) الاهلاك (٢) ارق اي سهر بالليل (٣) من انتحر الرجل اذا قتل نفسه (٤) الاصابع (٥) الذهب (٦) لوح

فَبَعْضُ نُجُومِهِ فِيهَا سُعُودٌ ... وَبَعْضُ نُجُومِهِ فِيهَا ٱلْبَوَارُ[١]

عَصَائِبُ[٢] لَا يَوَدُّ ٱلْمَرْءُ فِيهَا ... أَخَاهُ وَلَا يُرَاعِي ٱلْجَارَ جَارُ

يُلَاحِظُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِعَيْنٍ ... يَكَادُ يُضِيءُ أَسْوَدَهَا ٱلشَّرَارُ

فَتَحْسَبُ أَنَّ بَيْنَ ٱلْقَوْمِ ثَأْراً ... وَلَا ثَأْرٌ هُنَالِكَ وَلَا نِفَارُ

كَأَنَّ عُيُونَهُمْ لَمَّا أُدِيرَتْ ... فَرَاشٌ[٣] حُوَّمٌ[٤] وَٱلْمَالُ نَارُ

فَهُمْ لَا يَعْطِفُونَ عَلَى خَلِيلٍ ... وَلَيْسَ يَشُوقُ أَنْفُسَهُمْ مَزَارُ

وَهُمْ لَا يَذْكُرُونَ قَدِيمَ عَهْدٍ ... وَلَيْسَ لَهُمْ سِوَى ٱلْأَمْسِ ٱدِّكَارُ

يُذَكِّرُهُمْ بِمَا خَسِرُوهُ فِيهِ ... وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ وَكَيْفَ صَارُوا

تَرَى أَلْحَاظَهُمْ فَتَخَالُ فِيهِمْ ... خُمَاراً[٥] طِلَاءً[٦] وَلَيْسَ بِهَا خُمَارُ

وَلٰكِنْ دَارَتِ ٱلْحَسَرَاتُ فِيهِمْ ... كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا ٱلْعُقَارُ[٧]

فَكَمْ غَضِبُوا عَلَى ٱلْأَيَّامِ ظُلْماً ... وَكَمْ حَنِقُوا عَلَى ٱلدُّنْيَا وَثَارُوا

وَكَمْ تَرَكُوا ٱلنِّسَاءَ تَبِيتُ تَشْكُو ... وَتُسْعِدُهَا ٱلْأُصَيْبِيَةُ[٨] ٱلصِّغَارُ

تَبِيتُ عَلَى ٱلطَّوَى تَرْجُو وَتَخْشَى ... يُؤَرِّقُهَا ٱلسُّهَادُ[٩] وَٱلِٱنْتِظَارُ

فَبِئْسَتْ عِيشَةُ ٱلزَّوْجَاتِ حُزْنٌ ... وَتَسْهِيدٌ وَهَجْرٌ وَٱفْتِقَارُ

وَبِئْسَتْ خَلَّةُ ٱلْفِتْيَانِ هَمٌّ ... وَإِتْعَابٌ وَخُسْرَانٌ وَعَارُ

---

(١) الهلاك (٢) جمع عصابة وهي الجماعة من الرجال (٣) جمع فراشة (٤) جمع حائمة (٥) الخمار صداع الخمر واذاها وبقية السكر (٦) الطلاء الخمر وهي ممدودة في الاصل (٧) العقار الخمر (٨) تصغير اصبية جمع صبي (٩) مصدر سهّده اذا ارّقه اي اسهره بالليل

ولولي الدين يكن قصيدة انشدتها فتاة عمياء في حفلة مدرسة الحياة الجديدة للبنات الكفيفات في مصر

سَادَتِي إنّ فِي ٱلْوُجُودِ نُفُوساً   ظَلَمَتْهَا ٱلْأَقْدَارُ ظُلْماً شَدِيدَا
هِيَ تَشْقَى مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَتْهُ   وَلَكَمْ مُذْنِبٍ يَعِيشُ سَعِيدَا
رَحِمَ ٱللهُ أَعْيُناً لَمْ تُشَاهِدْ   مُنْذُ كَانَتْ إِلَّا لَيَالِيَ سُودَا
تَتَمَنَّى لَوْ فُتِّحَتْ فَتَمَلَّتْ   مِنْ جَمَالِ ٱلْوُجُودِ هٰذَا ٱلشُّهُودَا
تَتَنَاجَى حَمَائِمُ ٱلرَّوْضِ صُبْحاً   لَا نَرَاهَا وَنَسْمَعُ ٱلتَّغْرِيدَا
وَيَكُونُ ٱلرَّبِيعُ مِنَّا قَرِيباً   فَنَظُنُّ ٱلرَّبِيعَ مِنَّا بَعِيدَا
حِينَ تَرْنُو إِلَى ٱلْوُرُودِ عُيُونٌ   لَيْتَ شِعْرِي كَمْ تَسْتَطِيبُ ٱلْوُرُودَا
أَبَوَيَّ ٱللَّذَيْنِ أَوْجَدْتُمَانِي   أَتُرِيدَانِ شِقْوَتِي لَنْ تُرِيدَا
عِشْتُمَا فِي ظِلَالِ شَمْلٍ جَمِيعٍ   أَنَا وَحْدِي وَجَدْتُ شَمْلِي بَدِيدَا
وَإِذَا كُنْتُ قَدْ وُلِدْتُ فَقِيدًا   لَيْتَنِي كُنْتُ قَدْ فُقِدْتُ وَلِيدَا
سَادَتِي إِنَّنَا صَبَرْنَا ٱمْتِثَالًا   مَا ضَجِرْنَا وَلَا شَكَوْنَا ٱلْجُدُودَا
فَٱنْظُرُوا نَظْرَةَ ٱلْكِرَامِ إِلَيْنَا   وَٱرْحَمُوا أَدْمُعاً تَخُدُّ ٱلْخُدُودَا

« ومن قصيدة لحافظ ابراهيم يرثي بها عليًّا ابا الفتوح »

جَلَّ ٱلْأَسَى فَتَجَمَّلِ   وَإِذَا أَبَيْتَ فَأَجْمِلِ
يَا مِصْرُ قَدْ أَوْدَى فَتَا   كِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِي

قَدْ مَاتَ نَابِغَةُ ٱلْقَضَا　　ءِ وَغَابَ بَدْرُ ٱلْمَحْفِلِ
وَعَدَا ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱلْقَضَا　　ءِ فَصَابَهُ فِي ٱلْمَقْتَلِ
حَلَّالُ عِقْدِ ٱلْمُعْضِلَا　　تِ قَضَى بِدَاءٍ مُعْضِلِ
وَيْحَ ٱلْكِنَانَةِ مَا لَهَا　　فِي غَمْرَةٍ لَا تَنْجَلِي
بَاتَتْ وَكَارِثَةٌ تَمُـ　　رُّ بِهَا وَكَارِثَةٌ تَلِي
يَا زَهْرَةَ ٱلْمَاضِي وَيَا　　رَيْحَانَةَ ٱلْمُسْتَقْبَلِ
كُنَّا نُعِدُّكَ لِلشَّدَا　　ئِدِ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْمُقْبِلِ
يَا لَابِسَ ٱلْخُلُقِ ٱلْكَرِيـ　　مِ ٱلْمُطْمَئِنِّ ٱلْأَمْثَلِ
فَارَقْتَنَا فِي حِينِ حَا　　جَتِنَا وَلَمْ تَتَمَهَّلِ
يَا رَامِياً صَدْرَ ٱلصِّعَا　　بِ رَمَاكَ رَامِي ٱلْأَجْدَلِ
يَا حَافِظاً غَيْبَ ٱلصَّدِيـ　　قِ وَيَا كَرِيمَ ٱلْمِقْوَلِ
أَيُّ ٱلْمَحَامِدِ غَضَّةٌ　　بِحِلَاكَ لَمْ تَتَجَمَّلِ
تَلْهُو لِدَاتُكَ بِٱلصِّبَا　　لَهْواً وَأَنْتَ بِمَعْزِلِ
تَسْعَى وَرَاءَ ٱلْبَاقِيَا　　تِ ٱلصَّالِحَاتِ وَتَعْتَلِي
بَيْنَ ٱلْمَحَابِرِ وَٱلدَّفَا　　تِرِ دَائِباً لَا تَأْتَلِي
أَدْرَكْتَ عِلْمَ ٱلْآخِرِ　　ينَ وَحُزْتَ فَضْلَ ٱلْأَوَّلِ
دَرَجَ ٱلْأَحِبَّةُ بَعْدَ مَا　　تَرَكُوا ٱلْأَسَى وَٱلْحُزْنَ لِي
لَمْ يَحْلُ لِي مِنْ بَعْدِهِمْ　　عَيْشٌ وَلَمْ أَتَمَلِ

لِي كُلَّ عَامٍ وَقْفَةٌ   حَرَّى عَلَى مُتَرَحَّلِ

أَبْكِي بُكَاءَ الثَّاكِلَا   تِ وَأَصْطَلِي مَا أَصْطَلِي

لَمْ يُبْقِ لِي يَوْمُ الْفَقِيـ   ـدِ عَزِيمَةً لَمْ تُفْلَلِ

يَوْمٌ عَبُوسٌ قَدْ مَضَى   بِفَتًى أَغَرَّ مُحَجَّلِ

مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَهُ   عِنْدَ الْقَضَاءِ الْمُنْزَلِ

لَمْ يَدْرِ مَا قَصْمُ الظُّهُو   رِ وَلَا انْخِزَالُ الْمَفْصَلِ

يَا قَبْرُ وَيْحَكَ مَا صَنَعْـ   ـتَ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ

عَبِثَتْ بِهِ مِنْهُ نَضَارَةٌ   كَانَتْ رِيَاضَ الْمُجْتَلِي

يَا قَبْرُ قَدْ لَعِبَ الْبِلَى   بِلِطَافِ تِلْكَ الْأَنْمُلِ

يَا قَبْرُ ضَيْفُكَ بَيْنَنَا   قَدْ كَانَ خَيْرَ مُؤَمَّلِ

لَمْ يَنْقَبِضْ كِبْرًا بِنَا   دِيهِ وَلَمْ يَتَبَذَّلِ

إِنِّي حَلَلْتُ رِحَابَهُ   فَنَزَلْتُ أَكْرَمَ مَنْزِلِ

وَنَهِلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ   فَوَرَدْتُ أَعْذَبَ مَنْهَلِ

يَا قَبْرَهُ هَذَا عَلِـيُّ أَبِي الْفُتُوحِ فَهَلِّلِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ ظَفِرْ   تَ بِخَيْرِنَا فَتَمَثَّلِ

وللخوري بطرس البستاني في رثاء المطران يوسف ابي نجم

أَنَجْمَ ٱلْكَمَالِ وَبَدْرَ ٱلسَّدَادْ ... قَلِيلٌ عَلَى ٱلْقُطْرِ لُبْسُ ٱلْحِدَادْ

أَفَلْتَ فَغَابَتْ نُجُومُ ٱلْعُلَى ... وَنِمْتَ فَنَامَتْ أَمَانِي ٱلْبِلَادْ

عَهِدْنَاكَ أَحْنَى ٱلْأَنَامِ فُؤَادَا ... وَأَرْعَاهُمُ لِلذِّمَامِ ٱلْوِدَادْ

وَأَرْثَاهُمُ لِلْعُيُونِ ٱلدَّوَامِي ... وَأَشْعَرَهُمْ بِٱلْخُطُوبِ ٱلشِّدَادْ

فَلِمْ بِنْتَ عَنَّا فَأَدْمَيْتَ مِنَّا ٱلْـ ... ـقُلُوبَ فَرَقَّ لَهُنَّ ٱلْجَمَادْ

رَحَلْتَ وَنَحْنُ أَشَدُّ ٱفْتِقَارًا ... إِلَيْكَ فَكَيْفَ نُطِيقُ ٱلْبِعَادْ

فَبِتْنَا حَيَارَى حِيَالَ ٱلرَّزَايَا ... وَبِتْنَا كَأَنَّا نَهِيمُ بِوَادْ

وَلَوْ كُنْتَ تُفْدَى لَكُنْتَ ٱلْمُفَدَّى ... بِأَلْفَيْ هُمَامٍ وَأَلْفَيْ جَوَادْ

نَزَلْتَ ضَرِيحًا دَجِيَّ ٱلْحَوَاشِي ... وَلَوْ أَنْصَفُوا أَنْزَلُوكَ ٱلْفُؤَادْ

بَلَى أَنْتَ فِي كُلِّ قَلْبٍ مُقِيمٌ ... وَذِكْرُكَ يَبْقَى لِيَوْمِ ٱلْمَعَادْ

سَتَذْكُرُكَ ٱلنَّاسُ ذِكْرًا يَسُودُ ... كَمَا ذِكْرُ يُوسُفَ فِي مِصْرَ سَادْ

فَيُوسُفُ صَدَّ ٱلْمَجَاعَةَ حِينًا ... وَلَيْسَ لِفَضْلِكَ فِينَا نَفَادْ

لَقَدْ كَانَ ذِكْرُكَ مِلْءَ ٱلْبِلَادْ ... يُشِيدُ بِهِ كُلُّ شَادٍ وَحَادْ

وَقَدْ كَانَ فَضْلُكَ صَافِي ٱلزُّلَالْ ... يَحُومُ عَلَى وِرْدِهِ كُلُّ صَادْ

وَقَدْ كَانَ رَأْيُكَ فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ ... إِذَا مَا دَجَوْنَ شُعَاعَ ٱلسَّدَادْ

فَمُذْ غِبْتَ ذُبْنَا أَسًى وَٱلْتِيَاعًا ... وَلَمْ تَذُقِ ٱلْعَيْنُ طَعْمَ ٱلرُّقَادْ

وَكَيفَ تُطِيقُ ٱلعُيُونُ ٱلكَرَى   وَفِيهَا مِنَ ٱلخَطْبِ شَوكُ ٱلقَتَادْ
عَزِيزٌ عَلَيْنَا ٱلمُصَابُ بِنَجمٍ   وَضِيءٍ هَوَى مِنْ سَمَاءِ ٱلرَّشَادْ
عَزِيزٌ عَلَى ٱلدِّينِ أَنْ يُبْتَلَى   بِحَبْرٍ خَطِيرٍ رَفِيعِ ٱلعِمَادْ
فَيَا دَهرُ كُنْ آمِنًا فَٱلَّذِي   تَهَابُ مَضَاهُ إِلَى ٱللهِ عَادْ
فَتَكْتَ بِهِ فِي ٱلدُّجَى غِيلَةً   كَذَاكَ ٱلأُسُودُ ٱغتِيَالًا تُصَادْ
فَكَيفَ جَرَحْتَ قُلُوبَ ٱلوَرَى   وَأَوْرَيْتَ لِلْحُزْنِ فِيهَا ٱلزِّنَادْ
أَلَيسَ مِنَ ٱلجَوْرِ أَنْ تُجْتَنَى ٱلسَّ   نَابِلُ قَبلَ بُلُوغِ ٱلحَصَادْ
فَمَا كَانَ أَفْجَعَ خَطْبًا أَرَانَا ٱنْ   قِضَاضَ ٱلصَّوَاعِقِ فِي كُلِّ نَادْ
سَمِعْنَا لَهُ فِي ٱلبِلَادِ دَوِيًّا   كَقَصْفِ ٱلرُّعُودِ بِبَطْنِ ٱلوِهَادْ
سَمِعْنَا لَهُ فِي قُلُوبِ ٱلأَعَادِي   رَنِينَ ٱلسِّهَامِ وَوَقْعَ ٱلحِدَادْ
إِذَا ٱلرُّزْءُ أَدْمَى عُيُونَ ٱلعِدَى   فَأَحْرِ بِهِ أَنْ يَعُمَّ ٱلعِبَادْ

***

أَلُبْنَانُ سُحَّ ٱلدُّمُوعَ غِزَارًا   وَشَارِكْ نُجُومَ ٱلدُّجَى فِي ٱلسُّهَادْ
وَأَجْرِ ٱلمَنَاحَاتِ فِي كُلِّ صَوْبٍ   وَلَا تَخْلَعَنَّ ثِيَابَ ٱلسَّوَادْ
أَلُبْنَانُ شُقَّ ٱلفُؤَادَ عَلَى   حَكِيمٍ بِهِ قَدْ بَلَغْتَ ٱلمُرَادْ
أَلُبْنَانُ خُطَّ ٱلمُصَابَ ٱلجَسِيمَ   عَلَى ٱلقَلْبِ بِٱلدَّمْعِ لَا بِٱلمِدَادْ
بَلِ ٱحْفِرْهُ فِي ٱلصَّدْرِ وَٱجْعَلْ لَهُ   إِطَارَ ٱلأَسَى مِنْ نَجِيعِ ٱلسَّوَادْ
أَلُبْنَانُ وَجْدًا عَلَى وَالِدٍ   فَقَدْتَ بِهِ فِي ٱلبَلَايَا ٱلعَتَادْ

فَمَنْ لِلْمَشَاكِلِ إِنْ أَعْضَلَتْ وَمَنْ يُصْلِحُ ٱلدَّهْرَ وَقْتَ ٱلْفَسَادْ
وَمَنْ لِلْخُطُوبِ إِذَا ٱسْتَحْكَمَتْ وَمَنْ لِلْقَضَاءِ إِذَا ٱلْعَدْلُ بَادْ
فَيَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى رَاحِلٍ فَقَدْنَا بِهِ ٱلسَّيْفَ يَوْمَ ٱلْجِلَادْ
إِذَا ٱلصَّبْرُ عَزَّ لِمَصْرَعِهِ فَسُوقُ ٱلْهَنَا أَصْبَحَتْ فِي كَسَادْ
أَهَالَ ٱلْإِلٰهُ عَلَى رَمْسِهِ عِهَادًا مِنَ ٱلْعَفْوِ تِلْوَ ٱلْعِهَادْ
وَبَوَّأَهُ فِي جِنَانِ ٱلْعُلَى مَقَاماً عَلِيًا جَزَاءَ ٱلْجِهَادْ

« النجوم »

من قصيدة لالياس فياض

قُلْتُ لِلنَّيِّرَاتِ ذَاتَ مَسَاءٍ أَتُرَى أَنْتِ مِثْلَنَا فِي شَقَاءِ
سَاهِرَاتِ ٱلْجُفُونِ هَلْ لِفِرَاقٍ خَافِقَاتِ ٱلضُّلُوعِ هَلْ لِلِقَاءِ
إِنَّ فِي لَحْظِكِ ٱلشَّجِيِّ حَنِيناً نَافِذًا سَهْمُهُ إِلَى أَحْشَائِي
وَأَرَى نُورَكِ ٱلضَّئِيلَ كَدَمْعٍ سَائِلٍ مِنْ مَحَاجِرٍ بَيْضَاءِ
أَثُغُورٌ كَئِيبَةٌ أَمْ جِرَاحٌ أَنْتِ فِي ٱللَّانِهَايَةِ ٱلسَّوْدَاءِ
أَنْتِ تَبْكِينَ يَا نُجُومُ أَجَابَتْ نَحْنُ فِي عُزْلَةٍ بِهٰذَا ٱلْفَضَاءِ
بَيْنَنَا ٱلْهَجْرُ مِنْ قَدِيمٍ فَلَا يَغْـ ـرُرْكَ مِنَّا تَقَارُبُ ٱلْأَضْوَاءِ
كُلُّ نَجْمٍ مِنَّا يَعِيشُ بَعِيدًا عَنْ أَخِيهِ فِي وَحْشَةٍ وَجَفَاءِ
مُحْرِقاً نَفْسَهُ بِغَيْرِ ٱنْتِفَاعٍ ذَاهِبًا نُورُهُ سُدًى فِي ٱلسَّمَاءِ

قَدْ فَهِمْتُ ٱلَّذِي تَقُولِينَ يَا شُهْــبُ فَأَنْتُنَّ أَنْفُسُ ٱلشُّعَرَاءِ
هٰكَذَا نُورُهَا يُضِيءُ بِأُفْقٍ نَزَلَتْ مِنْــهُ مَنْزِلَ ٱلْغُرَبَاءِ
لَا تَرَى ٱلْأَنْفُسُ ٱلْغَرِيبَةُ مِنَّا مَا بِهَــا مِنْ تَوَقُّدٍ وَذَكَاءِ

وللحافظ ابراهيم من قصيدة
انشدها على منبر الجامعة الاميركية في بيروت

حَيَّى بَكُورُ ٱلْحَيَا أَرْبَاعَ لُبْنَانِ وَطَالِعُ ٱلْيُمْنِ مَنْ بِٱلشَّامِ حَيَّانِي (١)
أَهْلَ ٱلشَّآمِ لَقَدْ طَوَّقْتُمُ عُنُقِي بِمِنَّةٍ خَرَجَتْ عَنْ طَوْقِ تِبْيَانِي
قُلْ لِلْكَرِيمِ ٱلَّذِي أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا أَنَّى نَزَحتَ فَأَنْتَ ٱلنَّازِحُ ٱلدَّانِي
مَا إِنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ عَارِفَةٍ هَلْ يَحْدُثُ ٱلذِّكْرُ إِلَّا بَعْدَ نِسْيَانِ (٢)
أَقَرَّ عَيْنِي أَنِّي قُمْتُ أُنْشِدُكُمْ فِي مَعْهَدٍ بِحُلَى ٱلْعِرْفَانِ مُزْدَانِ
وَشَاعَ فِيَّ سُرُورٌ لَا يُعَــادِلُهُ رَدُّ ٱلشَّبَابِ إِلَى شِعْرِي وَجُثْمَانِي
لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ ٱلنِّيلِ أَعْظِمُهُ (٣) وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُمْ مَوْطِنٌ ثَانِ
إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى أَهْرَامِهَا حُلَلًا مِنَ ٱلْجَلَالِ أَرَاهَا فَوْقَ لُبْنَانِ
لَمْ يَمْحُ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِ جِدَّتِهَا عَلَى ٱلتَّعَاقُبِ مَا يَمْحُو ٱلْجَدِيدَانِ (٤)

---

(١) البكور من المطر ما جاء في اول الوسمي وهو المطر اول الربيع . والحيا المطر والارباع جمع الربع وهو المنزل واليمن البركة (٢) تقاضاه الشيء طالبه به . والعارفة المعروف (٣) أعظم الشيء عظّمه او رآه وعدّه عظيماً (٤) الليل والنهار

حَسِبْتُ نَفْسِي نَزِيلاً بَيْنَكُمْ فَإِذَا ... أَهْلِي وَصَحْبِي وَأَحْبَابِي وَجِيرَانِي

سَكَنْتُمْ جَنَّةً فَيْحَاءَ لَيْسَ بِهَا ... عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا فِي ٱلْعَالَمِ ٱلْفَانِي

إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي صُنْعِ ٱلْإِلٰهِ بِهَا ... لَمْ تَلْقَ فِي وَشْيِهِ صُنْعاً لِإِنْسَانِ

فِي سَهْلِهَا وَأَعَالِيهَا وَسَلْسَلِهَا ... بُرْءُ ٱلْعَلِيلِ وَسَلْوَى ٱلْعَاشِقِ ٱلْعَانِي (١)

وَفِي تَضَوُّعِ أَنْفَاسِ ٱلرِّيَاضِ بِهَا ... رَوْحٌ لِكُلِّ حَزِينِ ٱلْقَلْبِ أَسْوَانِ (٢)

أَنَّى تَخَيَّرْتَ مِنْ لُبْنَانَ مَنْزِلَةً ... فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَوْضٌ وَعَيْنَانِ

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَةٍ ... قَلْبِي جَمِيعٌ وَأَمْرِي طَوْعُ وِجْدَانِي (٣)

أَقْضِي ٱلْمَصِيفَ بِلُبْنَانٍ عَلَى شَرَفٍ ... وَلَا أَحُولُ عَنِ ٱلْمَشْتَى بِحُلْوَانِ (٤)

يَا وَقْفَةً فِي جِبَالِ ٱلْأَرْزِ أَنْشُدُهَا ... بَيْنَ ٱلصَّنَوْبَرِ وَٱلشِّرْبِينِ وَٱلْبَانِ

تَسْتَهْبِطُ ٱلْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا ... وَيَنْثَنِي مَاكِثاً فِي ٱلشِّعْرِ شَيْطَانِي (٥)

عَلِيَّ أَجَاوِدُكُمْ فِي ٱلْقَوْلِ مُقْتَدِياً ... بِشَاعِرِ ٱلْأَرْزِ فِي صُنْعٍ وَإِتْقَانِ (٦)

لَا بِدْعَ إِنْ أَخْصَبَتْ فِيهَا قَرَائِحُكُمْ ... فَأَعْجَزَتْ وَأَعَادَتْ عَهْدَ حَسَّانِ (٧)

طِيبُ ٱلْهَوَاءِ وَطِيبُ ٱلرَّوْضِ قَدْ صَقَلَا ... لَوْحَ ٱلْخَيَالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي

---

(١) العاني الأسير (٢) الروح الراح والأسوان الحزين (٣) الدعة الراحة وخفض العيش. والجميع ضد المتفرق (٤) الشرف المكان العالي. وحلوان: بلد في مصر يقصده المرضى للاستشفاء (٥) [illegible] التي [illegible] شخصه و[illegible] (٦) جاوده [illegible] في الجود (٧) أعجزه صيره عاجزاً

أَرَى رِجَالاً (١) مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلْجَدِيدَةِ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلْقَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُنْيَانِ
قَدْ شَيَّدُوا آيَةً (٢) بِٱلشَّامِ خَالِدَةً شَتَّى ٱلْمَنَاهِلِ تُرْوِي كُلَّ ظَمْآنِ
لَا غَرْوَ إِنْ أَعْجَزُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَكَرُوا فِيهَا أَفَانِينَ إِصْلَاحٍ وَعُمْرَانِ (٣)
فَتِلْكَ دُنْيَاهُمُ فِي ٱلْجَوِّ قَدْ نَزَعَتْ أَعِنَّةَ ٱلرِّيحِ مِنْ دُنْيَا سُلَيْمَانِ (٤)

***

أَبَتْ أُمَيَّةُ أَنْ تَفْنَى مَحَامِدُهَا عَلَى ٱلْمَدَى وَأَبَى أَبْنَاءُ غَسَّانِ
فَمِنْ غَطَارِفَةٍ فِي جِلَّقٍ نُجُبٍ وَمِنْ غَطَارِفَةٍ فِي أَرْضِ حُورَانِ (٥)
عَافُوا (٦) ٱلْمَذَلَّةَ فِي ٱلدُّنْيَا فَعِنْدَهُمُ عِزُّ ٱلْحَيَاةِ وَعِزُّ ٱلْمَوْتِ سِيَّانِ
لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضَيْمٍ يُحَاوِلُهُ بَاغٍ مِنَ ٱلْأُنْسِ أَوْ طَاغٍ مِنَ ٱلْجَانِ

***

شَقَقْتُ أَسْوَاقَ بَيْرُوتٍ فَمَا أَخَذَتْ عَيْنَايَ فِي سَاحِهَا حَانُوتَ يُونَانِي
فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ لِلّٰهِ دَرُّهُمُ لَيْسَ ٱلْفَلَاحُ لِوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانِ
تَيَمَّمُوا أَرْضَ كُولُومْبٍ فَمَا شَعَرَتْ مِنْهُمْ بِوَطْءِ غَرِيبِ ٱلدَّارِ حَيْرَانِ
سَادُوا وَشَادُوا وَأَبْلَوْا فِي مَنَاكِبِهَا بَلَاءَ مُضْطَلِعٍ بِٱلْأَمْرِ مِعْوَانِ (٧)

---

(١) يريد بهم الاساتذة الاميركيين (٢) يريد بها الجامعة الاميركية
(٣) اعجز فلان قرنه صيّره عاجزاً عن ادراكه . والافانين الاساليب والطرق
(٤) يريد بذلك الطيارات التي انست الناس بساط سليمان (٥) غطارفة جمع غطريف وهو السيد الشريف وجلق دمشق (٦) كرهوا (٧) ابلى في الحرب اظهر بأسه حتى اختبره الناس والمناكب الجوانب . واضطلع بالامر نهض به

إنْ ضاقَ مَيْدانُ سَبْقٍ عَنْ عَزائِمِهِمْ ... صاحَتْ بِهِمْ فَأَرَوْها أَلْفَ مَيْدانِ

لا يَسْتَثِيرُونَ[١] إنْ هَمُّوا سِوى هِمَمٍ ... تَأْبى ٱلْمُقامَ عَلى ذُلٍّ وَإذْعانِ

وَلا يُبالُونَ إنْ كانَتْ قُبُورُهُمُ ... ذُرى ٱلشَّوامِخِ أَوْ أَجْوافَ حِيتانِ

مَتى أَرى ٱلشَّرْقَ أَدْناهُ وَأَبْعَدَهُ ... عَنْ مَطْمَعِ ٱلْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنانِ[٢]

لا فَرْقَ ما بَيْنَ بُوذِيٍّ يَعِيشُ بِهِ ... وَمُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرانِي

فَعَلِّمُوا كُلَّ حَيٍّ عِنْدَ مَوْلِدِهِ ... عَلَيْكَ لِلّٰهِ وَٱلْأَوْطانِ دَيْنانِ

إنْ دامَ ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدابَرَةٍ[٣] ... وَفِتْنَةٍ بَيْنَ أَجْناسٍ وَأَدْيانِ

رَأَيْتُ رَأْيَ ٱلْمَعَرِّيِّ حِينَ أَرْهَقَهُ ... ما حَلَّ بِٱلنّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوانِ[٤]

لا تَطْهُرُ ٱلْأَرْضُ مِنْ رِجْسٍ وَمِنْ دَرَنٍ[٥]

حَتّى يُعاوِدَها نُوحٌ بِطُوفانِ

« وقال ولي الدين يكن يشكو زمانه »

لَيالِيَّ أَبْلِي مِنْ هُمُومِي وَجَدِّدِي ... لَكِ ٱلْأَمْرُ لا تَقْوى عَلى رَدِّهِ يَدِي

فَما أَرْتَجِي وَٱلْأَرْبَعُونَ تَصَرَّمَتْ ... وَلا عَيْشَ إلّا يَنْتَهِي حَيْثُ يَبْتَدِي

سَكَتُّ سُكُوتاً لا يَرِيبُكَ[٦] ٱمْتِدادُهُ ... فَلا خاطِرِي باقٍ وَلا ٱلشِّعْرُ مُسْعِدِي

---

(١) استثار الشيء هاجه وبعثه (٢) الوسنان مَن غلبه النعاس ويريد به هنا الغافل (٣) معاداة (٤) المعري الشاعر الفيلسوف المشهور . وارهقه اثقله وحمله على ما لا يطيق (٥) الرجس القذر (٦) رابه الشيء اوقعه في الريبة

وَلَا فِيَّ مِنْ رُوحِ ٱلشَّبَابِ بَقِيَّةٌ وَلَسْتُ بِمُشْتَاقٍ وَلَسْتُ بِمُوجِدِ (١)
حَزِنْتُ عَلَى ٱلْمَاضِي ضَلَالًا وَمَنْ يَعِشْ كَمَا عِشْتُ لَمْ يَحْزَنْ وَلَمْ يَتَجَلَّدِ
وَمَا لِيَ مِنْهُ خَاطِرٌ غَيْرَ أَنَّنِي عَدَلْتُ فَلَمْ أَفْتِكْ وَلَمْ أَتَعَبَّدِ
سَقَى ٱللهُ دَارَاتِ ٱلْقَرَافَةِ (٢) دِيمَةً تَرُفُّ عَلَى قَوْمٍ هُنَالِكَ هُجَّدِ
تَعَوَّدَ كُلٌّ بُؤْسَهَا وَنَعِيمَهَا وَعِشْنَا عَلَى بُؤْسٍ وَلَمْ نَتَعَوَّدِ
أَحِنُّ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَرَاقِدِ فِي ٱلثَّرَى وَلَوِ ٱسْتَطِيعُ ٱلْيَوْمَ لَٱخْتَرْتُ مَرْقَدِي
فَأُنْزِلُتُ جِسْمِي مَنْزِلًا لَا يَمَلُّهُ يَكُونُ بَعِيدًا عَنْ أَعَادٍ وَحُسَّدِ
وَمَا يَتَمَنَّى ٱلْحُرُّ فِي ظِلِّ عِيشَةٍ تَمُرُّ (٣) لِأَحْرَارٍ وَتَحْلُو لِأَعْبُدِ
لَقَدْ أَتْعَبَتْنِي وَٱلْمَتَاعِبُ جَمَّةٌ مَسِيرَةُ يَوْمِي بَيْنَ أَمْسِي وَٱلْغَدِ
تَزَهَّدْتُ فِي طَلَبِ ٱلْمَعَالِي جَمِيعِهَا وَمَنْ يَطَّلِبْهَا كَٱطِّلَابِيَ يَزْهَدِ
وَبِتُّ تَسَاوَتْ فِي فُؤَادِي مَنَاهِجٌ تُؤَدِّي لِخَفْضٍ أَوْ تُؤَدِّي لِسُؤْدُدِ
وَإِنِّيَ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مُهَدَّمٍ كَأَنِّيَ فِي قَصْرٍ كَبِيرٍ مُشَيَّدِ
عَفَا ٱللهُ عَنْ قَوْمٍ أَتَانِيَ عُذْرُهُمْ فَرُبَّ مُسِيءٍ لَمْ يُسِئْ عَنْ تَعَمُّدِ
وَكَمْ مِنْ نُفُوسٍ يَسْتَطِيلُ ضَلَالُهَا وَلٰكِنْ مَتَى مَا تُبْصِرِ ٱلنُّورَ تَهْتَدِ
فَزِعْتُ مِنَ ٱلْآمَالِ بِٱلْيَأْسِ عَائِذًا فَإِنْ تُدْنِنِي مِنْهَا ٱللُّبَانَاتُ (٤) أَبْعُدِ

---

(١) يقال وجد به وتوجّد لا اوجد اذا احبّه حبًّا شديدًا (٢) الدارات جمع دارة وهي كل ارض واسعة بين جبال والقرافة مكان بسفح الجبل المقطّم في الديار المصرية دُفن فيه ابن الفارض الشاعر المشهور (٣) تصير مُرّة (٤) الحاجات

فَلَا تَرْتَعِي[1] مِنِّي بِقَلْبٍ مُعَذَّبٍ   وَلَا تَنجَلِي مِنِّي بِطَرْفٍ مُسَهَّدِ
فَيَا رِيحُ إِنْ يَعْصِفْ بِيَ ٱلشَّجْوُ سَكِّنِي   وَيَا غَيْثُ إِنْ يُضْرِمْنِيَ ٱلْوَجْدُ أَخْمِدِ
وَيَا سَاكِنَاتِ ٱلطَّيْرِ فِي دَوْلَةِ ٱلدُّجَى   أَرَى إِنْ دَعَاكِ ٱلصُّبْحُ أَنْ لَا تُغَرِّدِي
لَدَيَّ شِكَايَاتٌ وَأَنْتِ شَجِيَّةٌ   فَإِنْ تَسْتَطِيبِيهَا لِشَجْوِكِ أَنْشِدِي
وَلَا تَحْسَبِي ٱلتَّقْلِيدَ يُذْهِبُ حُسْنَهَا   فَكَمْ حَسَنَاتٍ قَدْ أَتَتْ مِنْ مُقَلِّدِ
تَرَكْتُ ٱلْغِنَى لَا عَاجِزًا عَنْ طِلَابِهِ   وَأَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَنَازِلِ مُخْتَدِي
وَهَذِي بِحَمْدِ ٱللهِ مِنِّي بَرَاءَةٌ   فَيَا أُفْقُ سَجِّلْهَا وَيَا أَنْجُمُ ٱشْهَدِي

الرائد[2]

« بقلم حايم دموس »

تَحَفَّزَ حَتَّى ٱلْقُطْبِ فِي وَثَبَاتِهِ   وَحَلَّقَ حَتَّى ٱلشُّهْبِ فِي رَغَبَاتِهِ
وَزَاحَمَ نَسْرَ ٱلْجَوِّ فِي طَيَرَانِهِ   وَصَالَ عَلَى عُقْبَانِهِ وَبُزَاتِهِ
وَأَقْلَقَ حُوتَ ٱلْبَحْرِ فِي مُسْتَقَرِّهِ   وَرَوَّعَ وَحْشَ ٱلْبَرِّ فِي فَلَوَاتِهِ
فَمَا شَهِدَتْ عَيْنُ ٱلزَّمَانِ كَرَائِدٍ   تَمَرَّسَ بِٱلْأَهْوَالِ فِي غَمَرَاتِهِ
يَهُونُ عَلَيْهِ أَنْ يُضَحِّي بِذَاتِهِ   وَأَكْرَمُ حَيٍّ مَنْ يُضَحِّي بِذَاتِهِ
يُوَدِّعُ مَغْنَاهُ وَيَمْشِي إِلَى ٱلرَّدَى   وَحِيدًا وَصَرْفُ ٱلدَّهْرِ بَعْضُ عُدَاتِهِ
حَقِيبَتُهُ تُفْضِي إِلَيْكَ بِسِرِّهِ   وَمِرْقَبُهُ يُنْبِيكَ عَنْ عَزَمَاتِهِ

---

(١) ارتعى البعير سرح واكل الكلأ   (٢) الرائد الـذي يرسله القوم يطلب لهم المرعى وقد يستعمل لغير ذلك من الامور . والمراد به هنا الذي يرسل لاكتشاف اراض جديدة

عَصَاهُ عَصَا مُوسَى وَمِنْهُ تَفَجَّرَتْ ... يَنَابِيعُ عِلْمٍ قَبْلَ ضَرْبِ صَفَاتِهِ
فَفِي كُلِّ أُفْقٍ مِنْ أَشِعَّةِ فِكْرِهِ ... وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْ صَدَى كَلِمَاتِهِ
وَفِي كُلِّ قَفْرٍ صَفْحَةٌ مِنْ كِتَابِهِ ... وَفِي كُلِّ نَهْرٍ قَطْرَةٌ مِنْ دَوَاتِهِ
وَفِي كُلِّ لُجٍّ مَسْرَبٌ لِسَفِينِهِ ... وَفِي كُلِّ قُطْبٍ مَرْكَزٌ لِأَدَاتِهِ
وَفِي كُلِّ فَجْرٍ مَسْرَحٌ لِخَيَالِهِ ... وَفِي كُلِّ لَيْلٍ مَعْبَدٌ لِصَلَاتِهِ
يَطِيرُ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ صَاعِدًا ... وَفِي الْبَحْرِ هَوْلُ الْقَبْرِ فِي فَجَوَاتِهِ[1]
وَيَهْوِي إِلَى الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ هَابِطًا ... يَشُقُّ حِجَابَ الْغَيْبِ فِي خَطَوَاتِهِ
يَفُلُّ جُيُوشَ الزَّمْهَرِيرِ مُغَالِبًا ... عَنَاصِرَ كَوْنٍ لَوَّحَتْ قَسَمَاتِهِ[2]
وَكَمْ جَازَ أَصْقَاعَ الْجَلِيدِ وَحَفَّهُ ... ضَبَابٌ كَثِيفٌ حَالَ دُونَ نَجَاتِهِ
يَسُدُّ عَلَيْهِ الثَّلْجُ حِينًا سَبِيلَهُ ... وَحِينًا يَقِيهِ الثَّلْجُ مِنْ عَثَرَاتِهِ
وَيَغْمُرُهُ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ وَقَلْبُهُ ... يَحِسُّ دَبِيبَ الْمَوْتِ فِي نَبَضَاتِهِ
وَكَمْ خَطَرٍ يَجْتَازُهُ مُتَسَلِّقًا ... إِلَى جَبَلٍ أَوْفَى عَلَى هَضَبَاتِهِ
وَكَمْ شَاقَهُ وَادٍ فَمَرَّ بِجَدْوَلٍ ... تَدَفَّقَ حَتَّى سَالَ عَنْ جَنَبَاتِهِ
وَأَفْضَى إِلَى غَابٍ فَرَاعَ فُؤَادَهُ ... فَحِيحُ أَفَاعِيهِ وَسُمُّ نَبَاتِهِ
تَهُبُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ نَكْبَاءَ زَعْزَعًا ... وَتَمْتَزِجُ الرَّمْضَاءُ فِي زَفَرَاتِهِ
وَيَفْرِي الْفَيَافِي وَالْجَوَى مِلْءُ صَدْرِهِ ... كَأَنَّ لَظَى الصَّحْرَاءِ نَفْثُ لَهَاتِهِ

(١) جمع فجوة وهي ساحة الدار والفرجة بين الشيئين (٢) جمع قسمة وهي الوجه

تَجُوسُ[١] ٱلضَّوَارِي وَهْيَ تَزْأَرُ حَولَهُ فَتَحْرِمُهُ فِي ٱللَّيْلِ طِيبَ سُبَاتِهِ
فَيَا لِغَرِيبٍ يَلْتَقِي ٱلْهَوْلَ وَحْدَهُ وَيَقْضِي فَقِيرًا بَعْدَ مُكْتَشَفَاتِهِ
يَكَادُ يُزِيحُ ٱلسِّتْرَ عَنْ كُلِّ غَامِضٍ وَيَفْتَتِحُ ٱلْأَفْلَاكَ فِي غَزَوَاتِهِ
يُطَالِعُ سِفْرَ ٱلْكَوْنِ حَتَّى إِذَا ٱنْثَنَى أَضَافَ عَلَى ٱلْمَكْتُوبِ مِنْ صَفَحَاتِهِ
فَيَرْتَشِفُ ٱلْوُرَّادُ مِنْ قَطَرَاتِهِ وَيَقْتَطِفُ ٱلرُّوَّادُ مِنْ ثَمَرَاتِهِ
وَيَنْظِمُ لِلْأَجْيَالِ خَيْرَ قَصِيدَةٍ يُدَوِّنُهَا ٱلتَّارِيخُ فِي حَسَنَاتِهِ
وَيُنْشِدُهَا ٱلسُّمَّارُ فِي هَدْأَةِ ٱلدُّجَى وَيَذْكُرُهَا ٱلطَّيَّارُ فِي رَحَلَاتِهِ
وَمَا ٱلْعُمْرُ إِلَّا رِحْلَةٌ إِثْرَ رِحْلَةٍ يُكَابِدُهَا ٱلْإِنْسَانُ قَبْلَ مَمَاتِهِ
فَمَنْ عَاشَ عَيْشَ ٱلظَّافِرِينَ تَبَسَّمَتْ لَهُ صَفَحَاتُ ٱلْكَوْنِ فِي خَلَوَاتِهِ
وَمَنْ مَاتَ مَوْتَ ٱلرَّائِدِينَ مُغَامِرًا فَدَى ٱلْعِلْمِ كَانَ ٱلْمَوْتُ بَدْءَ حَيَاتِهِ

نثر الخريف

« ليوسف غصوب »

نَثَرَ ٱلْخَرِيفُ عَلَى ٱلثَّرَى أَوْرَاقَهُ فَتَنَاثَرَتْ كَتَنَاثُرِ ٱلْعَبَرَاتِ
يَتْرُكْنَ أَغْصَانًا أَلِفْنَ عِنَاقَهَا وَيَقَعْنَ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ مُضْطَرِبَاتِ
تَلْهُو بِهِنَّ يَدُ ٱلْهَوَاءِ هُنَيْهَةً وَتَعُودُ تَجْمَعُهُنَّ بَعْدَ شَتَاتِ
فَكَأَنَّهُنَّ إِذَا خَفَقْنَ جَوَانِحِي وَحَفِيفُهُنَّ كَأَنَّهُ زَفَرَاتِي

---

(١) تطوف

زَفَرَاتُ مَصْدُورٍ تَقَارَبَ يَوْمُهُ فَحَيَاتُهُ مَعْدُودَةُ ٱلسَّاعَاتِ
وَجَمَ(١) ٱلطَّبِيبُ وَقَدْ تَبَيَّنَ دَاءَهُ وَمَضَى يَخَافُ تَسَاؤُلَ ٱللَّحَظَاتِ
هَيْهَاتِ مَا كَتَمَ ٱلطَّبِيبُ فَإِنَّهُ بَادٍ بِعَيْنِ ٱلْأُمِّ وَٱلْأَخَوَاتِ
يَمْسَحْنَ دَمْعَ ٱلْعَيْنِ كَتْمًا لِلْجَوَى وَأَرَى خُطُوطَ ٱلدَّمْعِ فِي ٱلْوَجَنَاتِ
لَا تُمْسِكِي يَا أُمُّ دَمْعَكِ وَٱسْكُبِي فَٱلنَّفْسُ قَدْ بَلَغَتْ إِلَى ٱللَّهَوَاتِ(٢)
وَتَنَاثَرِي يَا خَافِقَاتٍ فِي ٱلْهَوَى فَحَيَاتُكُنَّ قَصِيرَةٌ كَحَيَاتِي
إِنِّي رَمَيْتُ عَلَى ٱلطَّرِيقِ يَرَاعَتِي وَتَلَهَّبَتْ فِي مُهْجَتِي نَفَثَاتِي
وَنَهَضْتُ أُنْشِدُ فِي ٱلصَّبَاحِ قَصَائِدِي فَإِذَا ٱلصَّبَاحُ يَغُوصُ فِي ٱلْعَتَمَاتِ
وَأَصَخْتُ لِلْأَطْيَارِ أَسْمَعُ شَدْوَهَا فَإِذَا ٱلطُّيُورُ سَكَتْنَ مُكْتَئِبَاتِ
وَإِذَا ٱلطَّبِيعَةُ وَجْهُهَا مُتَجَهِّمٌ عَرِيَتْ مِنَ ٱلْأَزْهَارِ وَٱلْبَسَمَاتِ
رَفَعَتْ غُصُونَ ٱلدَّوْحِ نَحْوَ سَمَائِهَا كَذِرَاعِ رَاهِبَةٍ جَثَتْ لِصَلَاةِ
يَا غَابُ كَمْ مِنْ فِكْرَةٍ قَدْ لَجْلَجَتْ(٣) فِي ٱلصَّدْرِ تَحْتَ ظِلَالِكَ ٱلْعَطِرَاتِ
رَسَمَ ٱلرَّجَاءُ خُطُوطَهَا بِبَهَائِهِ وَمَشَى ٱلشَّبَابُ يَؤُمُّهَا بِثَبَاتِ
وَبَدَا ٱلْمَنُونُ فَأَجْفَلَتْ(٤) كَغَزَالَةٍ سَمِعَتْ رَنِينَ ٱلْقَوْسِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ
مَالِي أُرَدِّدُ ذِكْرَهَا وَجَمَالَهَا وَٱلذِّكْرُ يَبْعَثُ كَامِنَ ٱلْحَسَرَاتِ
إِنِّي أَتَيْتُ إِلَى ٱلْقُبُورِ أَزُورُهَا لِأَرَى مَقَرَّ شَبِيبَتِي وَرِفَاقِي

---

(١) سكت من كثرة الغم والخوف (٢) جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم (٣) ترددت (٤) نفرت او اسرعت الهرب

فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ لا أَرَى إِلَّا ٱلرَّدَى حَوْلِي وَإِلَّا ٱلْقَبْرَ فِي جَنَبَاتِي[١]
وَٱلسَّرْوُ مُلْتَفِعٌ بِثَوْبِ حِدَادِهِ وَٱلصَّمْتُ مُنْتَشِرٌ عَلَى ٱلْأَمْوَاتِ
وَعَلَى ٱلثَّرَى ٱلْأَوْرَاقُ يُشْبِهُ نَثْرُهَا آمَالَ هٰذَا ٱلْعُمْرِ مُنْتَثِرَاتِ
يَا صَاحِبِيَّ إِذَا قَضَيْتُ فَكَفِّنَا جَسَدِي ٱلنَّحِيلَ بِتِلْكُمَا ٱلْوَرَقَاتِ
إِنَّ ٱلْخَرِيفَ رَمَى أُصُولَ حَيَاتِنَا بِٱلْمَوْتِ عِنْدَ تَسَاقُطِ ٱلْقَطَرَاتِ

ابن الليل

« لايليا ابي ماضي »

أَشْرَقَ ٱلْبَدْرُ عَلَى ٱلْغَا بَةِ فِي إِحْدَى ٱللَّيَالِي
فَرَأَى ٱلثَّعْلَبَ يَمْشِي خُلْسَةً بَيْنَ ٱلدَّوَالِي
كُلَّمَا لَاحَ خَيَالٌ خَافَ مِنْ ذَاكَ ٱلْخَيَالِ
وَٱقْشَعَرَّا

وَرَأَى لَيْثاً هَصُوراً وَاقِفاً عِنْدَ ٱلْغَدِيرْ
كُلَّمَا ٱسْتَشْعَرَ حِسّاً مَلَأَ ٱلْوَادِي زَئِيرْ
فَإِذَا بِٱلْمَاءِ يَجْرِي خَائِفاً عِنْدَ ٱلصُّخُورْ
مُكْفَهِرَّا

---

(١) جمع جنبة وهي الناحية

وَرَأَى ٱلْبَدْرَ ٱبْنُ آوَى يَتَهَادَى(١) فِي ٱلْفَضَاءْ
كَمَلِيكٍ حَوْلَهُ ٱلشُّهْبُ جُنُودٌ وَإِمَاءْ
قَالَ: لَوْ كُنْتُ رَفِيقَ ٱلْبَدْرِ أَوْ بَدْرَ ٱلسَّمَاءْ
أَوْ خِيَالَهْ

عِشْتُ حُرًّا جِيرَتِي ٱلشُّهْبُ وَلِي ٱلظَّلْمَاءُ مَرْكَبْ
آمِناً أَلْعَبُ بِٱلْبَرْقِ وَطَوْرًا بِيَ يَلْعَبْ
لَا أُبَالِي سَطْوَةَ ٱلرَّاعِي وَلَا ٱلْكَلْبَ ٱلْمُجَرَّبْ
وَصِيَالَهْ(٢)

غَيْرَ أَنَّ ٱللَّيْثَ لَمَّا أَبْصَرَ ٱلْبَدْرَ ٱلضَّحُوكَا
قَالَ: يَا ٱبْنَ ٱللَّيْلِ مَهْمَا أَشْتَهِي لَا أَشْتَهِيكَا
أَنْتَ وَضَّاحٌ وَلٰكِنْ قَاحِلٌ(٣) لَا صَيْدَ فِيكَا
أَوْ حِيَالَكْ(٤)

لَكَ هٰذَا ٱلْأُفْقُ لٰكِنْ هُوَ أَيْضاً لِلْكَوَاكِبْ
إِنَّمَا لَوْ كُنْتَ لَيْثاً ذَا نُيُوبٍ وَمَخَالِبْ
لَمْ تَعِشْ فِي وَجْهِكَ ٱلْوَضَّاحِ أَلْحَاظُ ٱلثَّعَالِبْ
صَوْنَ جَمَالِكْ

---

(١) يتمايل (٢) صال عليه سطا (٣) ماحل (٤) قبالتك وتجاهك

يا ثلج

« لرشيد ايوب

يَا ثَلْجُ قَدْ هَيَّجْتَ أَشْجَانِي ذَكَّرْتَنِي أَهْلِي بِلُبْنَانِ
بِاللهِ عَنِّي قُلْ لِجِيرَانِي مَا زَالَ يَرْعَى حُرْمَةَ ٱلْعَهْدِ

....

يَا ثَلْجُ قَدْ ذَكَّرْتَنِي ٱلْوَادِي مُتَنَصِّتاً لِغَدِيرِهِ ٱلشَّادِي
كَمْ قَدْ جَلَسْتُ بِحِضْنِهِ ٱلْهَادِي فَكَأَنَّنِي فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ

....

يَا ثَلْجُ قَدْ ذَكَّرْتَنِي أُمِّي أَيَّامَ تَقْضِي ٱللَّيْلَ فِي هَمِّي
مَشْغُوفَةً تَحْتَارُ فِي ضَمِّي تَحْنُو عَلَيَّ مَخَافَةَ ٱلْبَرْدِ

....

يَا ثَلْجُ قَدْ ذَكَّرْتَنِي ٱلْمَوْقِدْ أَيَّامَ كُنَّا حَوْلَهُ نُنْشِدْ
نَعْنُو لَدَيْهِ كَأَنَّهُ ٱلْمَسْجِدْ وَكَأَنَّنَا ٱلنُّسَّاكُ فِي ٱلزُّهْدِ

....

يَا ثَلْجُ أَنْتَ بِثَوْبِكَ ٱلْبَاهِرْ وَنَقَائِهِ كَطَوِيَّةِ ٱلشَّاعِرْ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي ٱلنَّاسَ يَاطَاهِرْ لَبَعُدْتَ عَنْهُمْ أَيَّمَا بُعْدِ

....

لَوْ لَمْ تَذُبْ مِنْ زَفْرَةِ ٱلْقَلْبِ أَوْ دَمْعِيَ ٱلْمُنْهَالِ كَٱلسُّحُبِ
لَبَنَيْتُ مِنْكَ هَيَاكِلَ ٱلْحُبِّ وَحَفَرْتُ فِي أَرْكَانِهَا لَحْدِي

. . . .

يَا مَا أُحَيْلَى ٱلنَّجْمَ إِنْ لَاحَا وَٱلثَّلْجَ يَكْسُو ٱلْأَرْضَ أَشْبَاحَا
وَٱلشَّاعِرَ ٱلْمِسْكِينَ نَوَّاحَا يَقْضِي ٱللَّيَالِي فَاقِدَ ٱلرُّشْدِ

. . . .

إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ أَنْتَ فِي يُسْرِ أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ فِي عُسْرِ
أَنَا لَا أَظُنُّ رِوَايَةَ ٱلْعُمْرِ أَدْوَارُهَا هَزْلٌ بِلَا جِدِّ

. . . .

يَا نَفْسُ نَادِي صَاحِبَ ٱلْعَرْشِ يَا رَازِقَ ٱلنُّعَّابَ فِي ٱلْعُشِّ
وَتَدَرَّعِي بِٱلصَّبْرِ ثُمَّ ٱمْشِي لَا بُدَّ بَعْدَ ٱلْجَزْرِ مِنْ مَدِّ

الولادة الجديدة

« لرشيد الخوري الشاعر القروي »

أَرَانِيَ يَا أُمُّ بِٱلشَّمْسِ مُغْرَى أُنَاجِي بِهَا فِي ٱلسَّمَا مَوْطِنَا
وَأَبْسُطُ كَفِّي إِلَيْهَا أُحَاوِلُ مِنْهَا عِنَاقَ ٱلسَّمَا هُيَامَا
كَذَلِكَ كُنْتُ أَمُدُّ يَدِي إِلَى ٱلنَّارِ طِفْلًا أَطِفْلٌ أَنَا

. . . .

وَإِذْ يَكْفَهِرُّ جَبِينُ ٱلسَّمَا   وَيَنْسَكِبُ ٱلْغَيْثُ قَطْرًا فَوَبْلَا
وَتُنْشَرُ فَوْقَ ٱلرُّؤُوسِ ٱلْمَظَلَّا   تُ لَمْ أَرْضَ غَيْرَ ٱلسَّحَابَةِ ظِلَّا
كَذَا كُنْتُ أَعْشَقُ خَوْضَ ٱلْجَدَاوِ   لِ طِفْلًا فَهَلْ عُدْتُ يَا أُمُّ طِفْلَا

. . . .

مَرَرْتُ بِأَتْرَابِيَ ٱلتَّاجِرِينَ   فَلَمْ أَلْقَ إِلَّا ٱلْعَبُوسَ ٱلْوَقُورَا
فَمِلْتُ إِلَى ٱلْحَقْلِ حَيْثُ ٱلصِّغَارُ   تُنَاغِي ٱلطُّيُورَ وَتَجْنِي ٱلزُّهُورَا
فَهَلْ صَارَ كُلُّ رِفَاقِي كُهُولًا   وَهَلْ أَنَا وَحْدِي ظَلَلْتُ صَغِيرَا

. . . .

فَأَسْمَعَنِي ٱلطَّيْرُ عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ   جَوَابَ ٱلطَّبِيعَةِ لِي تُنْشِدُ
بُنَيَّ أَجَلْ أَنْتَ طِفْلٌ جَدِيدٌ   فَقُلْ لِلرِّفَاقِ ٱلْأُلَى تَعْهَدُ
لَقَدْ مَلَأَ ٱلْأَرْضَ أَوْلَادُكُمْ   وَأَنْتُمْ إِلَى ٱلْآنِ لَمْ تُولَدُوا

الاحسان

« لإلياس فياض »

قَالَ رَبُّ ٱلْوُجُودِ لِلشَّمْسِ يَوْمًا   وَهْيَ تَفْتَرُّ فِي ٱلْوُجُودِ زُهَاءَ[1]
أَيُّهَا ٱلْقُوَّةُ ٱلَّتِي قَدْ بَعَثْنَا   هَا إِلَى ٱلْكَوْنِ تُرْهِبُ ٱلْأَقْوِيَاءَ
جَعَلْنَا بِهَا ٱلْحَرَارَةَ لِلْأَرْ   ضِ حَيَاةً وَرَحْمَةً وَضِيَاءَ
ضَرَبْنَا لِنُورِنَا ٱلْفَائِقِ ٱلْوَصْـ   ـفِ مِثَالًا شُعَاعُهَا ٱلْوَضَّاءَ

---

(١) اشراقاً

أَيُّ وَصْفٍ بِمَا وَهَبْنَاكِ يُدْنِيكِ إِلَيْنَا مَكَانَةً وَعَلَاءْ
فَأَجَابَتْ وَقَدْ تَوَارَتْ وَرَاءَ ٱلْغَيْمِ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا ٱسْتِحْيَاءْ
أَيُّهَا ٱلْخَالِقُ ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِي أَبْدَعَ فِي خَلْقِهِ ٱلْوَرَى مَا شَاءْ
وَٱلَّذِي ٱلْأَرْضُ وَٱلْكَوَاكِبُ وَٱلْأَفْلَاكُ لَيْسَتْ لَدَيْهِ إِلَّا هَبَاءْ
وَٱلَّذِي أَهْوَنُ ٱلْأُمُورِ عَلَيْهِ جَعْلِيَ ٱلْآنَ فَحْمَةً سَوْدَاءْ
إِنَّ وَصْفاً إِلَى مَعَالِيكَ يُدْنِي وَكَفَانِي أَجْراً بِهِ وَجَزَاءْ
لَيْسَ[1] فِي بَثِّيَ ٱلْحَرَارَةَ فِي ٱلْأَرْ ضِ فَتُحْيِي ٱلْأَشْخَاصَ وَٱلْأَشْيَاءْ
أَوْ بِإِرْسَالِيَ ٱلْأَشِعَّةَ يُكْسَى ٱلْكَوْنُ مِنْهَا مَهَابَةً وَسَنَاءْ
أَوْ بِقَطْعِي ٱلْآفَاقَ أَرْفُلُ[2] فِي ثَوْ بٍ مِنَ ٱلنَّارِ تُلْهِبُ ٱلْأَرْجَاءْ
أَوْ بِتَذْوِيبِيَ ٱلثُّلُوجَ عَلَى هَا مَةِ لُبْنَانَ تَزْدَهِي بَيْضَاءْ
أَوْ بِتَوْشِيحِيَ ٱلسَّمَاءَ مِنَ ٱلْغَيْمِ ثِيَاباً حَمْرَاءَ أَوْ صَفْرَاءْ
أَوْ بِمُكْثِي أَمَامَ مِرْآةِ هٰذَا ٱلْبَحْرِ حِيناً بِأَنَّهِ أَتَرَاءَى
كُلُّ هٰذَا مَوْلَايَ لَسْتُ[3] لَأَرْجُو لِيَ مَجْداً بِهِ أَوِ ٱسْتِعْلَاءْ
إِنَّمَا بَعْثِيَ ٱلشُّعَاعَ إِلَى أَعْمَاقِ سِجْنٍ يَحْوِي ٱلدُّجَى وَٱلشَّقَاءْ
قَصْدَ تَخْفِيفِ دَمْعَةٍ فَوْقَ جَفْنٍ شَامَ فِي ذٰلِكَ ٱلشُّعَاعِ ٱلرَّجَاءْ
ذَاكَ أَوْلَى صُنْعٍ يُقَرِّبُنِي مِنْكَ إِلٰهِي وَيَسْتَحِقُّ ٱلثَّنَاءْ

---

(١) الجملة خبر إن وجملة وكفاني اعتراضية (٢) رفل في ثوبه مشى يجرّ ذيله ويتبختر (٣) دخول اللام على خبر ليس محظور

إنَّ فِي ٱلأرضِ كَٱلسَّماءِ شُمُوساً هِيَ أبهى حُسْناً وَأَوْفَى ذَكاءْ
فَمَنَ فِي نُصرَةِ ٱلضَّعيفِ فَهَلْ نُتْـهِمُ بِٱلضُّعْفِ بَعْدَ ذَاكَ ٱلنِّساءْ
أَنْ تَكُونَ[1] ٱلْفَتاةُ مُحْسِنَةً أَشْرَفُ عِنْدِي مِنْ كَوْنِهَا حَسْناءْ
وَبَياضُ ٱلطُّلَى[2] وَإنْ سَرَّ عَيْناً لَا يُوازِي ٱلشَّمائِلَ ٱلْبَيْضاءْ
كَيفَ أستطيعُ مَدْحَهُنَّ عَلى أمرٍ عَلَيْهِ لَا يَبْتَغِينَ جَزاءْ
وَلَوَ انَّ ٱلنُّجُومَ أَنْظِمُهَا فِيهِنَّ شِعْرًا لَمَا وَفَيْتُ ٱلثَّناءْ

***

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا ٱلْمُلْكُ لِلّٰهِ تَعَالَى يُعْطِيهِ أَيًّا شَاءْ
كُلُّ مَا فِي أَيْدِيكُمُ مِنْ يَدَيْهِ وَإِلَيْهِ ٱلْمَعادُ حَتْماً قَضاءْ
فَٱبْتَغُوا وَجْهَهُ بِصُنْعٍ جَمِيلٍ إِنَّ صُنْعَ ٱلْجَمِيلِ يُرْضِي ٱلسَّماءْ

في سبيل الفن

« من قصيدة لابراهيم ادهم الزهاوي »

انشدها في حفلة جمعية احياء الفن في بغداد

إِقْرَإِ ٱلْفَنَّ وَٱسْتَمِعْ قُرْآنَهْ وَٱسْعَ فِي نَشْرِهِ وَعَظِّمْ مَكانَهْ
لَا تُبالِ بِٱلسَّاخِطِينَ عَلَيْهِ مَعْشَرٌ لَا يُعِيرُهُمْ وِجْدانَهْ
زَعَمُوا أَنَّهُ مَلاعِبُ قَوْمٍ لَمْ يَنالُوا نَصِيبَهُمْ فِي ٱلدِّيانَهْ

---

(١) أن وصلتها (تكون) في محل رفع مبتدأ اي كونُ الفتاة محسنة أشرفُ (٢) الاعناق

وَرَأَوْا فِي الْخَلاصِ مِنْهُ خَلاصَ النَّاسِ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنَى[١] الْفَتَّانَه

هكَذَا هكَذَا يَرَوْنَ وَلكِنْ فَاتَهُمْ أَنَّهُ قِوَامُ الدِّيَانَه

لَيْتَ شِعْرِي وَاللهُ أَنْزَلَ هذَا النَّاسَ مِمَّنْ بَرَاهُ أَعْلَى مَكَانَهْ

وَحَبَاهُ مَوَاهِباً مَا حَبَاهَا أَحَدًا مِنْ عِبَادِهِ سُبْحَانَهْ

كَيْفَ تَبْدُو تِلْكَ الْمَوَاهِبُ فِيهِ أَبِطُولِ اللِّحَى وَقِصَرِ الْفَطَانَهْ

وَقُعُودٍ عَنِ الْمَسَاعِي وَجَدْوَى[٢] مِنْ فُلَانٍ يَنَالُهَا وَفُلَانَهْ

إِنْ يَكُنْ مَا يَرَوْنَ حَقًّا فَمَا لِلْحَقِّ عِنْدِي إِلَّا الْقِلَى[٣] وَالْإِهَانَهْ

رُبَّ رَسْمٍ أَخَذْتُ عَنْهُ الْمَعَانِي نَيِّرَاتٍ مَلَأْتُ مِنْهَا الْخِزَانَهْ

أَحْكَمَتْ صُنْعَهُ أَدَاةُ حَكِيمٍ جَلَّ مَنْ صَاغَهُ وَسَوَّى بَنَانَهْ[٤]

وَكِتَابٍ نَظَرْتُ فِيهِ وَلَمَّا تَعِ مِنْهُ مَدَارِكِي عُنْوَانَهْ

لَيْسَ مِنْ دِقَّةِ الْمَعَانِي وَلكِنْ لِأُمُورٍ تَخَلَّلَتْ تِبْيَانَهْ

وَخَطِيبٍ سَمِعْتُهُ فَحَسِبْتُ اللهَ فِي بُرْدِهِ يَصُوغُ بَيَانَهْ

لَا كَمَنْ أَزْعَجَ الْمُصَلِّينَ حَتَّى أَوْسَعَ اللهَ رَبَّهُ بُهْتَانَهْ

وَغِنَاءٍ حَضَرْتُهُ فَكَأَنِّي فِي جِنَانِ الْخُلُودِ أَقْضِي اللُّبَانَهْ[٥]

. . . .

يَا شَبَابًا فَمَا أُغَالِي إِذَا مَا قُلْتُ أَنْتُمْ سِهَامُ هذِي الْكِنَانَهْ[٦]

---

(١) جمع دنيا (٢) عطاء (٣) البغض (٤) اصابعه (٥) الحاجة

(٦) الجعبة للنبل ويريد بها هنا بغداد

لَا رَعَى اللهُ مَعْشَرًا صَمَّ عَنكُمْ ... إِنْ دَعَوْتُمْ إِلَى الْعُلَى آذَانَهْ

قُمْتُمُ بِالَّذِي تَقَاعَدَ عَنْهُ ... مَنْ يَرَاكُمْ أَقَلَّ مِنْهُ مَرَانَهْ (١)

تَابِعُوا سَعْيَكُمْ فَكُلُّ قَلِيلٍ ... سَوْفَ يَنْمُو وَيَرْفَعُ اللهُ شَانَهْ

إِنَّ مَنْ سَادَ (٢) بِالْفُنُونِ عَلَى النَّا ... سِ انْتَضَى مِنْ جَمِيلِهَا صَوْلَجَانَهْ

فَحَدِيثاً زَهَا بِهِ الْغَرْبُ حَتَّى ... بَزَّ (٣) فِيهِ إِلَى الْعُلَى رُومَانَهْ

وَقَدِيماً جَرَى بِهِ الشَّرْقُ شَوْطاً ... بَعْدَ شَوْطٍ فَمَا يُقِرُّ (٤) مَكَانَهْ

لَسْتُ أَنْسَى مَا لِلْعُرُوبَةِ فِيهِ ... مِنْ يَدٍ شَيَّدَتْ لَهُ أَرْكَانَهْ

كَمْ لَهَا مِنْ مَعَاهِدٍ عَامِرَاتٍ ... خَرَّجَتْ أَنْفُساً تَفِيضُ فَطَانَهْ

وَانْتَهَتْ إِمْرَةُ الْقَرِيضِ إِلَيْهَا ... وَهْوَ رُوحُ الْجَمَالِ بَيْتُ الْمَتَانَهْ

. . . .

فَتَرَتْ تِلْكُمُ الْعَزَائِمُ حَتَّى ... أَصْبَحَ الشِّعْرُ عُرْضَةً لِلْمَهَانَهْ

وَادَّعَى السَّبْقَ مَنْ إِذَا تَبْتَلِيهِ ... لَمْ يُقِمْ لَحْنَهُ وَلَا أَوْزَانَهْ

فَرَأَيْنَا مِنَ النَّثِيرِ عُجَاباً ... وَسَمِعْنَا مِنَ النَّظِيمِ رَطَانَهْ (٥)

كُلَّ يَوْمٍ قَصِيدَةٌ مِنْ هُرَاءٍ (٦) ... تَدَّعِي الصُّحْفُ أَنَّهَا رَنَّانَهْ

---

(١) صلابة (٢) ضمّن هنا ساد معنى تسلّط فعدّاه بعلى والاصل سادَهُ اي صار سيداً له (٣) غلب (٤) يُثبت (٥) الرطانة الكلام بالاعجمية (٦) الهراء الهذيان وهو التكلّم بغير معقول لمرض او غيره

وقال خليل مطران من قصيدة يهنئ بها الشيخ عبدالله البستاني بيوبيله الذهبي

أَلغَرسُ غَرسُكَ أَيُّهَا ٱلبُستَانِي ... فَٱنظُرْ إِلَى ٱلثَّمَرَاتِ وَٱلأَغصَانِ
أَيُّ ٱلرِّيَاضِ كَرَوضَةٍ أَنشَأْتَهَا ... فِيهَا قُطُوفٌ لِلنُّهَى وَمَجَانِي
يَا خَيرَ مَن رَبَّى فَأَتحَفَ قَومَهُ ... بِنَوَابِغِ ٱلآدَابِ وَٱلعِرفَانِ
أَحسَنتَ فِي آنٍ إِلَى هٰذَا ٱلحِمَى ... وَإِلَى سِوَاهُ نِهَايَةَ ٱلإِحسَانِ
أَلحِكمَةُ ٱلزَّهرَاءُ[1] شَادَت مَعهَدًا ... مَا زِلتَ فِيهِ أَثبَتَ ٱلأَركَانِ
وَمِنَ ٱلأُلَى مَرُّوا بِظِلِّكَ أَخرَجَت ... نُخَبًا يُشَارُ إِلَيهِمِ بِبَنَانِ
فِتيَانُهَا فِي ٱلعَالَمِ ٱلعَرَبِيِّ هُم ... فَخرُ ٱلشَّبَابِ وَزِينَةُ ٱلفِتيَانِ
أَلبَطرَكِيَّةُ[2] فِي زَمَانِكَ نَافَسَت ... مِن عَهدِهَا ٱلمَشهُورِ خَيرَ زَمَانِ
مَا أَجمَلَ ٱلأَثَرَ ٱلَّذِي خَلَّفتَهُ ... فِيهَا وَأَبقَاهُ عَلَى ٱلحَدَثَانِ
لِلعُربِ فِي هٰذِي ٱلدِّيَارِ مَدَارِسٌ ... فَازَت بِحَظٍّ مِن جَنَاكَ ٱلدَّانِي
فَرَدَدتَ فِي طُلَّابِهَا مَلَكَاتِهِم ... عَرَبِيَّةً خَلَصَت مِنَ ٱلأَدرَانِ
آلَافُ شُبَّانٍ أَفَادُوا بِٱلَّذِي ... لَقَّنتَ آلَافًا مِنَ ٱلشُّبَّانِ
وَبِبَعضِ مَا أَسدَيتَ عَزَّ مَقَامُهُم ... فِي مَا نَأَى وَدَنَا مِنَ ٱلبُلدَانِ
مِن سَفحِ لُبنَانٍ تَعَالَى صَوتُهُم ... وَصَدَاهُ فِي مَا رَدَّدَ ٱلهَرَمَانِ
مَا زِلتَ مِن خَمسِينَ عَامًا بَانِيًا ... لِلضَّادِ مَا لَم يَبنِ قَبلَكَ بَانِ

---

(١) اي مدرسة الحكمة (٢) اي المدرسة البطريركية

فَإِذَا نَظَمْتَ فَأَنْتَ أَوَّلُ شَاعِرٍ ... وَإِذَا نَثَرْتَ فَأَيْنَ مِنْكَ الثَّانِي

صُغْتَ القَرِيضَ وَمَنْ يَصُوغُ فَرِيدَهُ ... إِلَّاكَ صَوْغَ قَلَائِدِ العِقْيَانِ

لَفْظٌ إِلَى حُسْنِ البَدَاوَةِ جَامِعٌ ... مَا لِلْحَضَارَةِ مِنْ جَدِيدِ مَعَانِ

مُتَرَقْرِقُ المَجْرَى تَرَقْرُقَ جَدْوَلٍ ... مُتَمَاسِكُ الأَجْزَاءِ كَالْبُنْيَانِ

كَنْزٌ مِنَ الجَزْلِ الَّذِي أُسْلُوبُهُ ... يَلِجُ النُّفُوسَ بِغَيْرِ مَا اسْتِئْذَانِ

وَيَذُودُ مَنْ جَارَاكَ عَنْ غَايَاتِهِ ... بِبُلُوغِهِ الغَايَاتِ فِي الإِتْقَانِ

أَمَّا اللِّسَانُ فَأَنْتَ فِي النَّفَرِ الأُلَى ... نَصَرُوهُ حَتَّى بَذَّ كُلَّ لِسَانِ

فَإِذَا العُلَى عَدَّتْ فَوَارِسَ شَوْطِهِ ... عَدَّتْكَ فِيهِ أَوَّلَ الفُرْسَانِ

لِلَّهِ مُعْجَمُكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ ... مُسْتَكْمِلَ التَّفْصِيلِ وَالتِّبْيَانِ

قَيَّدْتَ فِيهِ أَوَابِدَ الفُصْحَى بِمَا ... فَاتَ الأُلَى سَبَقُوا مِنَ الأَقْرَانِ

وَنَهَجْتَ لِلطُّلَّابِ نَهْجًا وَاضِحًا ... يُدْنِي أَقَاصِيهَا إِلَى الأَذْهَانِ

يَا أَيُّهَا العَلَّامَةُ العَلَمُ الَّذِي ... يَدْرِي مَكَانَتَهُ بَنُو عَدْنَانِ

هٰذِي وُفُودُهُمُ إِلَيْكَ تَوَافَدَتْ ... تَلْقَاكَ مِنْ مُتَعَدِّدِ الأَوْطَانِ

تُهْدِي تَهَانِئَهَا وَفَضْلُكَ عِنْدَهَا ... مَا لَا يُوَفَّى حَقَّهُ بِتَهَانِي

فقير يستعطي

« بقلم بطرس البستاني صاحب جريدة البيان »

قِفْ بِي عَلَى تِلْكَ ٱلْقُصُورِ — وَقُلِ ٱلسَّلَامُ عَلَى ٱلْأَمِيرِ

هَلْ مَنْ يُفَرِّجُ كُرْبَتِي — هَلْ مَنْ يَجُودُ عَلَى ٱلْفَقِيرِ

وَٱللهِ لَا «ٱلْمَكْرُوبُ» أَمْـرَضَنِي — وَلَا مِنْهُ ضُمُورِي

بَلْ فَاقَةٌ طَوَتِ ٱلْحَشَى — طَيَّ ٱلسُّتُورِ عَلَى ٱلسُّتُورِ

وَهُنَاكَ حَوْلِي صِبْيَةٌ — تَعْوِي مِنَ ٱلْجُوعِ ٱلْمَرِيرِ

عُجْفُ ٱلْبُطُونِ كَمَنْ طَوَى — أَثْوَابَهُ بَعْدَ ٱلنُّشُورِ

صُفْرُ ٱلْوُجُوهِ كَهَارِبٍ — فِي ٱللَّيْلِ مِنْ بَيْنِ ٱلْقُبُورِ

لَوْ تَنْظُرُونَهُمُ حُفَا — ةً حُسَّرًا شُعْثَ ٱلشُّعُورِ

مِنْ كُلِّ عُرْيَانٍ بَدَا — كَالزَّهْرِ مَفْتُوقَ ٱلْبُزُورِ

آوِي بِهِمْ لَيْـلًا إِلَى — بَعْضِ ٱلْخَرَائِبِ فِي ٱلْوُعُورِ

وَسَرِيرُنَا حَجَرٌ عَلَى — حَجَرٍ وَيَا وَيْحَ ٱلسَّرِيرِ

وَلِحَافُنَا جُنْحُ ٱلظَّلَا — مِ يَرُدُّ قَرْصَ ٱلزَّمْهَرِيرِ

مَوْلَايَ تَطْبُخُ أَنْتَ أَنْـوَاعَ ٱلطَّعَامِ عَلَى ٱلْقُدُورِ

وَتَبِيتُ يَا مَـوْلَايَ مُتَّـخِمًا مِنَ ٱلشَّرَهِ ٱلْكَثِيرِ

وَتَنَامُ يَا مَوْلَايَ مُبْتَسِمًا عَلَى ٱلْمَهْدِ ٱلْوَثِيرِ

وَتَسِيرُ يَا مَوْلَايَ مُزْ تَدِياً بِأَثْوَابِ ٱلْحَرِيرِ
وَتُقِلُّكَ ٱلْعَرَبَاتُ جَــرَّتْهَا مُضَمَّرَةُ ٱلْخُصُورِ
وَتُغَادِرُ ٱلنَّادِي إِلَى ٱلْــمَلْهَى إِلَى ٱلرَّوْضِ ٱلنَّضِيرِ
لَا تَرْتَضِي أَخْــذَ ٱللُّبَا بِ وَأَشْتَهِي نَيْلَ ٱلْقُشُورِ
مَهْلًا فَــلَا تَغْتَرَّ يَا مَوْلَايَ بِٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورِ
دَارَتْ بِدَارَا وَٱبْتَلَتْ رَبَّ ٱلْخَوَرْنَقِ وَٱلسَّدِيرِ
وَٱلدَّهْرُ دُولَابٌ يَدُو رُ مِنَ ٱلْكَبِيرِ إِلَى ٱلصَّغِيرِ

انا إن مت

« اندره حداد »

أَنَا إِنْ مُتُّ أُصَيْحَابِي ٱدْفِنُوا جَسَدِي فِي بُقْعَةِ ٱلْمَرْجِ ٱلْخَصِيبْ
حَيْثُمَا ٱلْبُلْبُلُ يَشْدُو مَائِلًا كَيْفَمَا مَالَ بِهِ ٱلْغُصْنُ ٱلرَّطِيبْ
حَيْثُمَا ٱلْجَدْوَلُ يَجْرِي بَاكِياً يُسْمِــعُ ٱلْمَحْبُوبَ أَنَّاتِ ٱلْكَئِيبْ
حَيْثُمَا ٱلصَّفْصَافُ يَحْنِي رَأْسَهُ شِبْهَ مَنْ أَضْنَاهُ هِجْرَانُ ٱلْحَبِيبْ
حَيْثُمَا تَرْعَى ٱلْمَــوَاشِي حُرَّةً لَا تَخَافُ ٱلْغَدْرَ مِنْ وَحْشٍ وَذِيبْ
وَإِذَا شِئْتُمْ مُنَاجَاتِي ٱجْلِسُوا حَوْلَ قَبْرِي سَاعَةً عِنْدَ ٱلْمَغِيبْ
لَا تَنُوحُوا لِفِرَاقِي حَسْرَةً أَنَا مَنْ يَكْرَهُ أَصْوَاتَ ٱلنَّحِيبْ
لَا تَظُنُّوا ٱلْقَبْرَ فِيــهِ غُرْبَةٌ لَيْسَ مَنْ فِي صُحْبَةِ ٱلْقَبْرِ غَرِيبْ
عِشْتُ فِي ٱلدُّنْيَا زَمَانًا لَمْ أَجِدْ أَحَدًا فِي ٱلنَّاسِ أَدْعُوهُ قَرِيبْ

الباب السابع

في اللغة

— مقتطف من نجعة الرائد وشرعة الوارد —

« للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي »

﴿ في الاجتماع والافتراق ﴾

يُقالُ : اجْتَمَعَ القَوْمُ وَالتَأَمُوا وَانْتَظَمَ شَمْلُهُمْ وَانْتَظَمَ عِقْدُ اجْتِماعِهِمْ وَاحْتَشَدَ جَمْعُهُمْ

وَهٰذا مَجْمَعُ القَوْمِ وَمَحْفِلُهُمْ وَمَحْضَرُهُمْ وَنَادِيهِمْ .

وَقَدْ حَفَلَ النَّادِي بِأَهْلِهِ وَغَصَّ بِهِمْ وَاكْتَظَّ بِهِمْ .

وَيُقالُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ : تَفَرَّقَ القَوْمُ وَتَشَتَّتُوا وَتَبَدَّدُوا وَشَتَّ شَمْلُهُمْ وَانْصَدَعَ شَمْلُهُمْ وَتَمَزَّقَ شَمْلُهُمْ وَتَفَرَّقَ لَفِيفُهُمْ وَانْبَتَّ حَبْلُهُمْ وَانْتَثَرَ عِقْدُهُمْ وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ وَمَزَّقَهُمُ الدَّهْرُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وَتَفَرَّقُوا تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ .

وَقَدْ صَدَعَ البَيْنُ شَمْلَهُمْ وَنَبَتْ بِهِمِ البِلادُ

وَتَقُولُ : قَدِ ارْفَضَّ الجَمْعُ وَتَفَرَّقَ الحَفْلُ وَارْفَضَّ النَّادِي .

وَإِذَا اجْتَمَعُوا بَعْدَ الفِرَاقِ تَقُولُ : جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُمْ وَضَمَّ شَتَاتَهُمْ وَلَأَمَ صَدْعَهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ شَمْلُهُمْ

﴿ في المخالطة والعزلة ﴾

تَقُولُ : خَالَطْتُ ٱلْقَوْمَ وَصَاحَبْتُهُمْ وَآلَفْتُهُمْ وَدَاخَلْتُهُمْ وَمَازَجْتُهُمْ وَسَاكَنْتُهُمْ وَعَايَشْتُهُمْ ، وَأَقَمْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَبَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ، وَبَلَوْتُ أَخْلَاقَهُمْ وَتَعَرَّفْتُ دَخَائِلَهُمْ وَخَبَرْتُ أَهْوَاءَهُمْ وَسَبَرْتُ أَحْوَالَهُمْ

وَيُقَالُ : لَبِسْتُ ٱلْقَوْمَ أَيْ عَاشَرْتُهُمْ وَعِشْتُ مَعَهُمْ . وَفِي ٱلْمَثَلِ : ٱلْبَسِ ٱلنَّاسَ عَلَى قَدْرِ أَخْلَاقِهِمْ

وَتَقُولُ : أَنَا أَطْوَلُ ٱلْقَوْمِ لِفُلَانٍ مُصَاحَبَةً وَأَقْدَمُهُمْ لَهُ عِشْرَةً وَأَكْثَرُهُمْ لَهُ خِلْطَةً وَأَشَدُّهُمْ بِهِ خِبْرَةً

وَإِنَّهُ لَحَسَنُ ٱلصُّحْبَةِ جَمِيلُ ٱلْعِشْرَةِ طَيِّبُ ٱلْعِشْرَةِ شَهِيُّ ٱلْمُجَالَسَةِ لَذِيذُ ٱلْمُفَاكَهَةِ لَطِيفُ ٱلْمُخَالَقَةِ فَكِهُ ٱلْأَخْلَاقِ . وَهُوَ رَيْحَانَةُ ٱلْجَلِيسِ وَرَيْحَانَةُ ٱلنَّدِيمِ .

وَإِنَّ فُلَانًا لَسَيِّءُ ٱلصُّحْبَةِ صَلِفُ ٱلْعِشْرَةِ خَشِنُ ٱلْجَانِبِ ثَقِيلُ ٱلرُّوحِ ثَقِيلُ ٱلظِّلِّ كَرِيهُ ٱلطَّلْعَةِ مَشْؤُومُ ٱلْحَضْرَةِ ، تُسْتَحَبُّ ٱلْوَحْشَةُ عَلَى إِينَاسِهِ وَٱلْوَحْدَةُ عَلَى مُجَالَسَتِهِ

وَإِنَّهُ لَجَلِيسُ سَوْءٍ وَقَرِينُ سَوْءٍ وَإِنَّهُ لَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ وَبِئْسَ ٱلْخَلِيطُ

وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذٰلِكَ : ٱعْتَزَلْتُ ٱلْقَوْمَ وَجَانَبْتُهُمْ وَٱنْقَبَضْتُ عَنْهُمْ وَٱنْزَوَيْتُ عَنْهُمْ وَٱنْفَرَدْتُ عَنْهُمْ

وَفُلَانٌ مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ خَالٍ بِنَفْسِهِ ، وَقَدِ ٱعْتَزَلَ ٱلْجَمَاعَاتِ . وَإِنَّهُ لَيُؤْثِرُ ٱلِٱنْفِرَادَ وَيَسْتَأْنِسُ بِٱلْوَحْشَةِ وَيُخْلِدُ إِلَى ٱلْوَحْدَةِ وَيَمِيلُ إِلَى ٱلْخَلْوَةِ . وَإِنَّهُ رَجُلٌ حُوشِيٌّ أَيْ لَا يَأْلَفُ ٱلنَّاسَ وَلَا يُخَالِطُهُمْ

﴿ في الحديث ﴾

يُقالُ : حادَثْتُهُ وتَحَدَّثْتُ إليهِ وطارَحْتُهُ الحَديثَ وأَخَذْنا بِأَطْرافِ الحَديثِ وتَجاذَبْنا أَطْرافَ الكَلامِ . وأَفَضْنا في حَديثِ كَذا وخُضْنا فيهِ وجُلْنا فيهِ وأَخَذْنا فيهِ

وقَدْ أَفْضَى بِنا الحَديثُ إلى ذِكْرِ كَذا وتَرامَى بِنا الى ذِكْرِ فُلانٍ .

وقَدْ أَخَذَ القَوْمُ مَجالِسَهُمْ وانْتَظَمُوا في مَجالِسِهِمْ ، وانْتَظَمَتْ حَلْقَتُهُمْ واسْتَقَرَّ بِهِمِ النَّادِي

وكُنْتُ البارِحَةَ في سامِرِ بَني فُلانٍ وفي سَمَرِهِمْ « وهُوَ مَجْلِسُهُمْ لِلحَديثِ لَيْلًا » . وقَدْ سَمَرُوا وتَسامَرُوا . وقَدْ باتَ فُلانٌ يُساقِطُهُمْ أَحْسَنَ الأَحادِيثِ . أَيْ يُطارِحُهُمُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ . ورَأَيْتُهُما يَتَساقَطانِ الحَديثَ وهُوَ أَنْ يَتَحَدَّثَ الواحِدُ ويُنْصِتَ الآخَرُ فإذا فَرَغَ مِنْ كَلامِهِ تَحَدَّثَ السَّاكِتُ

ويُقالُ : فُلانٌ حِدِّيثٌ أَيْ كَثيرُ الأَحاديثِ . وإِنَّهُ لَسِمِّيرٌ أَيْ صاحِبُ سَمَرٍ . وهُوَ حِدْثُ مُلوكٍ أَيْ صاحِبُ حَديثِهِمْ

وإِنَّهُ لَلَسِنٌ ومِلْسانٌ ظَريفُ المُحاضَرَةِ حُلْوُ المُجاوَرَةِ لَطيفُ المُعاشَرَةِ عَذْبُ المُفاكَهَةِ فَكِهُ اللِّسانِ عَذْبُ الأَلْفاظِ مَليحُ الأُسْلُوبِ لَطيفُ الإِشارَةِ لَطيفُ النَّادِرَةِ مَليحُ النُّكْتَةِ مُتَفَنِّنُ الحَديثِ فَسيحُ المَجالِ عَزيزُ الأَدَبِ عَزيزُ الحِفْظِ عَزيزُ المادَّةِ واسِعُ الرِّوايَةِ كَثيرُ النَّوادِرِ واللَّطائِفِ والطَّرائِفِ والطُّرَفِ والمُلَحِ والنُّكَتِ

وقَدْ قَصَّ عَلَيْنا خَبَرَ كَذا وسَرَدَهُ وأَدَّاهُ وأَوْرَدَهُ ورَوَاهُ وإِنَّ لَهُ حَديثًا يُذْهِبُ الهُمومَ ويُسَرِّي عَنِ الخَواطِرِ . وإِنَّ حَديثَهُ لَيَمْتَزِجُ بِأَجْزاءِ النَّفْسِ

وَيَمْتَزِجُ بِالْأَرْوَاحِ وَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْأَفْئِدَةِ

وَتَقُولُ : فُلانٌ غَثُّ الحَدِيثِ بارِدُ الحَدِيثِ سَمِجُ المَنطِقِ ثَقِيلُ اللَّهجَةِ سَقِيمُ الذَّوْقِ مُستَقْبَحُ اللَّفظِ كَثِيرُ الفُضُولِ بارِدُ النُّكْتَةِ

وَإِنَّهُ لَيَرْمِي الكَلامَ عَلَى عَوَاهِنِهِ أَي لَا يُبالِي أَصابَ أَمْ أَخطأَ

وَيُقَالُ : فُلانٌ إِذَا تَكَلَّمَ انْزَوَى مِنْهُ الجَلِيسُ وَانْقَبَضَ الأَنِيسُ وَضُرِبَتْ دُونَهُ حُجُبُ الأَسماعِ وَاستَكَّتْ لِكَلامِهِ الآذَانُ وَمَجَّتْهُ الأَذْوَاقُ السَّلِيمَةُ

وَيُقَالُ : فُلانٌ مِكْثَارٌ مِهْذَارٌ ثَرْثَارٌ . وَإِنَّهُ لَيُطْنِبُ فِي كَلَامِهِ وَيُسْهِبُ وَيُكْثِرُ وَيُفْرِطُ وَيُخَلِّطُ وَيَهْذِي

في الاصغاء

يُقَالُ أَصغَى إِلَيْهِ سَمْعَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِسَمعِهِ وَمَالَ إِلَيْهِ بِسَمعِهِ وَأَصغَى إِلَيْهِ وَأَصاغَ إِلَيْهِ وَاسْتَمَعَ إِلى حَدِيثِهِ وَأَنْصَتَ لَهُ وَأَرعاهُ سَمْعَهُ وَنَشِطَ لِحَدِيثِهِ وَأَعارَهُ أُذُنًا صاغِيَةً وَأُذُنًا وَاعِيَةً

وَتَقُولُ : سَمْعَكَ إِلَيَّ وَسَمَاعَكَ إِلَيَّ وَذِهْنَكَ إِلَيَّ . وَسَمَاعِ وَأَلْقِ سَمْعَكَ وَأَحضِرْ ذِهْنَكَ وَأَرْهِفْ غَرْبَ ذِهْنِكَ لِمَا أَقُولُ لَكَ وَتَلَقَّ مِنِّي وَتَفَهَّمْ ما أَقُولُ لَكَ .

وَتَقُولُ فِي خِلافِ ذَلِكَ : كَلَّمتُهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ بِسَمعِهِ وَتَصَامَّ عَنْهُ وَلَهَا عَنْهُ وَتَشَاغَلَ عَنْ سَمَاعِهِ وَجَعَلَ كَلامَهُ دَبْرَ أُذُنِهِ وَجَعَلَ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا عَنْ حَدِيثِهِ وَوَلَّى كَلامَهُ أُذُنًا صَمَّاءَ وَلَمْ يُعِرْهُ سَمْعَهُ وَلَمْ يُرْعِهِ سَمَاعَهُ وَمَا اكْتَرَثَ لِقَوْلِهِ وَلَمْ يَحْفِلْ بِكَلامِهِ وَلَمْ يُقِمْ لِكَلامِهِ وَزْنًا . وَحَدَّثْتُ فُلانًا فَوَجَدْتُ مِنْهُ فُتُورًا عَنْ حَدِيثِي وَلَمْ يَلِجْ كَلامِي أُذُنَهُ وَلَمْ يَعِ مِنْهُ حَرْفًا وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ عَلى أُذُنِهِ أَي أَصَمَّهَا . وَكَأَنِّي كُنْتُ أُكَلِّمُ وَثَنًا وَأُكَلِّمُ حَجَرًا

﴿ في الإخبار والاستخبار ﴾

يُقالُ : أبلَغَني فُلانٌ كذا وَحدَّثَني بِالْخَبرِ وَقصَّهُ عليَّ وَنقَلَهُ إليَّ وَأنهاهُ إليَّ وَقدْ بلَغَني خَبرُ كذا وَوَرَدَ عليَّ وَانْتَهى إليَّ وَاتَّصلَ بِي وَرُوِيَ لِي وَنُقِلَ إليَّ وَنُمِيَ إليَّ . وَوَقعَ إليَّ وَتَرامَى إليَّ وَقدْ تَواتَرَتْ إليَّ أخبارُهُ وَتَتابَعَت

وَتَقُولُ: اسْتَخبَرْتُهُ عَنْ كذا وَاسْتَنبَأْتُهُ وَسأَلْتُهُ وَاسْتَفْهَمْتُهُ . وَقدِ اسْتَقْصَيْتُ مِنْهُ وَتَقَصَّيْتُ إذَا بالَغتَ فِي اسْتِخْبارِهِ

وَخرجَ فُلانٌ يَتَخَبَّرُ الأَخبارَ وَيَتعرَّفُها وَيَتفَحَّصُها وَيَتنَسَّمُها . وَإنَّهُ لَيَترَقَّبُ خَبرَ فُلان وَيَتَرَصَّدُهُ وَيَتشَوَّقُ إليهِ وَيَتطَاوَلُ إليهِ وَيَتطَلَّعُ إليهِ وَيَسْتَشرِفُهُ

وَتَقُولُ : اطَّلِعْ لِي طِلْعَ فُلانٍ وَطِلْعَ القَوْمِ أيْ تَعرَّفْ لِي ما عِندَهُمْ .

وَتَقُولُ : تَسَقَّطْتُ الخَبرَ وَاسْتَقْطَرْتُ الخَبرَ إذَا أخَذْتَهُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ

وَتَقُولُ : وَرَّى عَلَيَّ الخَبرَ إذَا سَتَرَهُ وَأظْهرَ غَيْرَهُ

وَتَقُولُ : كَيْفَ عَهْدُكَ بِفُلانٍ وَما فَعلَ الدَّهرُ بِفُلانٍ . وَيُقالُ فِي الجَوابِ : هُوَ عَلَى أحسَنِ ما عَهِدْتَ

وَتَقُولُ : عَرِّفْنِي جَلِيَّةَ الخَبرِ وَكاشِفْنِي بِما صَحَّ عِندَكَ مِنْ نَبَإِ فُلانٍ .

وَتَقُولُ : قَدْ أسفَرَ خَبرُ فُلانٍ عَنْ كذا وَكذا وَانْجَلَى عَنْ كذا وَكذا وَثَبَتَ عِنْدِي مِنْ خَبرِهِ كذا وَكذا . وَقَدْ تَيَقَّنْتُ خَبرَهُ وَتَحَقَّقْتُهُ . وَأنَا أعْلَمُ النَّاسِ بِأخبارِهِ .

﴿ في ظهور الخبر واستسراره ﴾

تَقُولُ : لَمْ يَلبَثْ خَبرُ فُلانٍ أنْ ظَهرَ وَقدِ انْتَشَرَ انْتِشارَ الصُّبحِ وَتَداوَلَتْهُ الرُّواةُ وَتَناقَلَتْهُ الرُّكبانُ وَتُحُدِّثَ بِهِ فِي المَجالِسِ . وَسارَ عَلَى الأفواهِ وَملأَ

ٱلأَسمَاعَ وَطَارَ ذِكْرُهُ فِي ٱلآفَاقِ . وَقَدْ خَاضَ ٱلنَّاسُ فِي خَبَرِ فُلانٍ وَلَا حَدِيثَ لِلنَّاسِ ٱليَوْمَ إِلَّا حَدِيثُ فُلانٍ

وَقَدْ أَذَاعَ ٱلخَبَرَ وَأَشَاعَهُ وَنَشَرَهُ وَطَيَّرَهُ . وَقَدْ أَصبَحَ أَمْرُ فُلانٍ أَشهَرَ مِنَ ٱلصُّبحِ وَأَشهَرَ مِنَ ٱلقَمَرِ . وَأَصبَحَ خَبَرُهُ أَسيَرَ فِي ٱلآفَاقِ مِن مَثَلٍ

وَيُقَالُ فِي خِلافِ ذٰلِكَ : قَدِ ٱستَتَرَ ٱلخَبَرُ وَخَفِيَ وَٱستَتَرَ وَغَمُضَ . وَهٰذَا أَمرٌ لَا يَزَالُ بِسَاطُهُ مَطوِيًّا وَلَا يَزَالُ تَحتَ طَيِّ ٱلكِتمَانِ وَلَا يَزَالُ مِنْ دَفَائِنِ ٱلغَيْبِ وَمِن خَبَايَا ٱلغَيبِ وَمِن مُخَبَّآتِ ٱلصُّدُورِ

﴿ في الصدق والكذب ﴾

يُقَالُ : إِنَّ فُلاناً لَرَجُلٌ ثِقَةٌ وَرَجُلٌ صَدُوقٌ وَصِدْقٌ وَإِنَّهُ لَصَادِقُ ٱلخَبَرِ صَحِيحُ ٱلنَّبَإِ . وَقَد صَدَقَنِي ٱلحَدِيثَ وَصَدَقَنِي ٱلخَبَرَ وَصَدَقَنِي فِيمَا قَالَ . وَأَخبَرَنِي ٱلخَبَرَ عَلَى حَقِّهِ . وَفُلانٌ مِنَ ٱلرُّوَاةِ ٱلصَّادِقِينَ وَمِمَّنْ عُرِفَ بِٱلصِّدْقِ وَٱتَّسَمَ بِالصِّدْقِ وَمِمَّنْ يُوثَقُ بِخَبَرِهِ وَلَا يُقدَحُ فِي صِدْقِهِ وَلَا يُتَّهَمُ فِيمَا يَقُولُ . وَإِنَّهُ لَا يُجرِي لِسَانَهُ بِغَيْرِ ٱلحَقِّ وَإِنَّ لِسَانَهُ لَصُورَةُ قَلبِهِ . وَإِنَّهُ لَيَقُولُ ٱلحَقَّ وَلَو عَلَى نَفسِهِ . وَلَا يَخشَى فِي ٱلحَقِّ لَومَةَ لَائِمٍ

وَتَقُولُ : قَد صَحَّ عِندِي خَبَرُ كَذَا وَثَبَتَ لَدَيَّ صِدْقُهُ وَٱنجَلَتْ صِحَّتُهُ . وَقَدِ ٱطمَأَنَّتْ إِلَيهِ نَفسِي وَأَعرتُهُ جَانِبَ ٱلثِّقَةِ . وَهُوَ أَمرٌ لَا يَتَخَالَجُنِي فِيهِ رَيبٌ وَلَا يَعتَرِضُنِي فِيهِ شَكٌّ .

وَيُقَالُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ : فُلانٌ قَد كَذَبَنِي ٱلخَبَرَ . وَهُوَ يَختَلِقُ ٱلكَذِبَ وَٱلحَدِيثَ وَيَفتَرِيهِ وَيَبتَدِعُهُ وَيُلَفِّقُهُ وَيُمَوِّهُهُ وَيُوَشِّيهِ

وَإِنَّهُ لَرَجُلٌ أَفَّاكٌ خَرَّاصٌ صَوَّاغُ زُورٍ وَنَسَّاجُ زُورٍ . وَقَد تَخَرَّصَ عَيَّ

وَٱفْتَرَى عَلَيَّ حَدِيثاً كَذِباً وَزَخرَفَ عَلَيَّ ٱلْقَوْلَ ٱلزُّورَ . وَإِنَّهُ لَيَتَقَوَّلُ عَلَيَّ ٱلْأَقَاوِيلَ وَيَتَقَوَّلُ عَلَيَّ ٱلْبُهْتَانَ

وَإِنَّهُ لَكَذِبٌ بَحْتٌ وَكَذِبٌ صُرَاحٌ وَحَدِيثٌ مُفْتَرًى وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ مَصْنُوعٌ . وَهٰذَا مِنْ أَحَادِيثِ ٱلْمُرْجِفِينَ وَمِنْ أَرَاجِيفِ ٱلْغُوَاةِ

في النميمة واصلاح ذات البين

يُقَالُ : نَمَّ عَلَيْهِ وَوَشَى بِهِ وَسَعَى بِهِ . وَدَسَّ عَلَيْهِ غَائِلَةً وَدَبَّتْ عَقَارِبُهُ بَيْنَ ٱلْقَوْمِ وَزَرَعَ بَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَادَ وَمَشَى بَيْنَهُمْ بِٱلنَّمَائِمِ

وَإِنَّهُ لَرَجُلٌ نَمَّامٌ وَإِنَّمَا هُوَ جَاسُوسُ شَرٍّ وَرَسُولُ شَرٍّ وَسَفِيرُ سُوءٍ . وَإِنَّهُ لَمِنْ سَمَاسِرَةِ ٱلشِّقَاقِ وَتُجَّارِ ٱلْفَسَادِ وَزُرَّاعِ ٱلْعَدَاوَاتِ

وَقَدِ ٱنْدَسَّ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا وَتَنَاوَلَنِي عِنْدَهُ (أَيْ ذَكَرَنِي بِٱلسُّوءِ) وَرَاشَ لِي نَبْلَ ٱلسِّعَايَةِ وَنَقَلَ إِلَيْهِ عَنِّي كَذَا وَبَلَّغَهُ عَنِّي بَلَاغَ سَوْءٍ وَأَفْسَدَ حَالِي عِنْدَهُ وَزَرَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ زَرْعاً خَبِيثاً

وَيُقَالُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ : أَصْلَحْتُ بَيْنَ ٱلْقَوْمِ وَأَصْلَحْتُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَرَأَبْتُ صَدْعَهُمْ وَأَلَّفْتُ قُلُوبَهُمْ وَجَمَعْتُ كَلِمَتَهُمْ وَجَمَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ وَأَذْهَبْتُ مَوْجِدَتَهُمْ وَسَلَلْتُ سَخَائِمَهُمْ وَسَكَّنْتُ فَوْرَتَهُمْ

في كتمان السرّ وإفشائه

يُقَالُ : كَتَمَ فُلَانٌ سِرَّهُ وَقَدْ كَتَمَهُ عَنِّي وَوَارَاهُ عَنِّي وَأَضْمَرَهُ وَطَوَاهُ وَدَفَنَهُ وَخَزَنَهُ وَصَانَهُ وَحَصَّنَهُ . وَقَدْ أَسَرَّ نَجْوَاهُ مِنِّي وَكَاتَمَنِي ذَاتَ صَدْرِهِ

وَهُوَ كَتُومٌ وَكِتْمَةٌ حَصِينُ ٱلصَّدْرِ حَصِينُ ٱلضَّمِيرِ بَعِيدُ غَوْرِ ٱلضَّمِيرِ حَافِظٌ لِسِرِّهِ ضَنِينٌ بِإِسْرَارِهِ

وَهذا سِرٌّ مَكْنُونٌ وَسِرٌّ مَصُونٌ وَسِرٌّ مَكْتُومٌ. وَإِنَّهُ لَسِرٌّ لَا يُدْرَكُ وَلَا يُمَاطُ حِجَابُهُ وَلَا يَنَالُهُ مُتَسَقِّطٌ. وَهُوَ مِنْ أَخْفَى الْأَسْرَارِ وَمِنْ أَغْمَضِ السَّرَائِرِ

وَيُقَالُ: أَسْرَرْتُ إِلَيْهِ الْحَدِيثَ وَنَاجَيْتُهُ بِسِرِّي وَسَارَرْتُهُ وَهَمَسْتُ إِلَيْهِ بِكَذا وَأَوْدَعْتُهُ سِرِّي وَأَفْضَيْتُ إِلَيْهِ بِخَبِيئَةِ سِرِّي وَجَعَلْتُ سِرِّي فِي خَزَائِنِهِ وَفِي خَزَائِنِ صَدْرِي وَقَدِ اسْتَحْفَظْتُهُ سِرِّي وَاسْتَكْتَمْتُهُ السِّرَّ وَالْخَبَرَ. وَهُوَ نَجِيِّي وَصَاحِبُ سِرِّي وَأَمِينُ سِرِّي وَخَازِنُ أَسْرَارِي. وَرَأَيْتُ الرَّجُلَيْنِ يَتَسَارَّانِ وَيَتَخَافَتَانِ

وَيُقَالُ فِي خِلَافِ ذٰلِكَ: أَفْشَى الرَّجُلُ سِرَّهُ وَأَعْلَنَهُ وَجَهَرَ بِهِ وَأَذَاعَهُ وَأَشَاعَهُ. وَقَدْ بَاحَ السِّرُّ وَفَشَا وَذَاعَ وَشَاعَ

وَيُقَالُ: فَاضَ صَدْرُهُ بِالسِّرِّ إِذا لَمْ يُطِقْ كَتْمَهُ

وَتَقُولُ: بَاحَ الرَّجُلُ بِمَا فِي صَدْرِهِ وَبِمَا فِي نَفْسِهِ وَأَفْضَى إِلَيَّ بِسِرِّهِ وَأَطْلَعَنِي عَلَى بَاطِنِ أَمْرِهِ وَقَدْ أَبَثَّنِي سِرَّهُ وَتَبَاثَثْنَا الْأَسْرَار. وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَا أَضْمَرَ وَاطَّلَعْتُ عَلَى مَا أَسَرَّ وَمَا أَبْطَنَ

وَيُقَالُ: قَدِ اسْتَكْشَفْتُهُ وَتَسَقَّطْتُهُ وَاسْتَنْزَلْتُهُ وَاسْتَدْرَجْتُهُ. وَقَدْ أَثَرْتُ دَفِينَتَهُ وَأَثَرْتُ كَمِينَ سِرِّهِ وَفَضَضْتُ خَتْمَ سِرِّهِ وَاسْتَخْرَجْتُ دَفَائِنَ صَدْرِهِ

﴿ في المشاورة والاستبداد ﴾

يُقَالُ تَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِي الْأَمْرِ وَائْتَمَرُوا وَأَدَارُوا الرَّأْيَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَأَجَالُوا قِدَاحَ الرَّأْيِ

وَتَقُولُ اسْتَشَرْتُ فُلَانًا فِي الْأَمْرِ وَاسْتَطْلَعْتُ رَأْيَهُ وَاسْتَخْرَجْتُ رَأْيَهُ وَاسْتَمْدَدْتُ رَأْيَهُ وَاسْتَنْزَلْتُ رَأْيَهُ وَاسْتَوْرَيْتُ زَنْدَ رَأْيِهِ وَاسْتَرْشَدْتُهُ وَاسْتَنْصَحْتُهُ وَاسْتَصْبَحْتُ بِمَشُورَتِهِ وَاسْتَعَنْتُ بِرَأْيِهِ

وَقَدْ سَنَحَ لَهُ فِي ٱلْأَمْرِ رَأْيٌ وَعَرَضَ لَهُ رَأْيٌ وَعَنَّ وَبَدَا . وَقَدِ ٱرْتَأَى لِي كَذَا وَأَشَارَ عَلَيَّ بِكَذَا وَأَمَدَّنِي بِرَأْيِهِ وَآزَرَنِي بِرَأْيِهِ وَمَحَضَنِي ٱلرَّأْيَ وَصَدَقَنِي ٱلنُّصْحَ وَهُوَ مُشِيرِي وَمِمَّنْ أَسْتَرْشِدُ بِهِ فِي ٱلْمُهِمَّاتِ وَأَسْتَنِيرُ بِرَأْيِهِ فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ

وَتَقُولُ : أَشِرْ بِمَا تَرَى وَٱقْتَدِحْ لِي زَنْدَ رَأْيِكَ . وَتَقُولُ : ٱلرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَٱلْوَجْهُ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَأَرَى لَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا . وَهٰذَا أَوْجَهُ ٱلرَّأْيَيْنِ وَأَمْثَلُ ٱلرَّأْيَيْنِ وَأَحْوَطُ ٱلْوَجْهَيْنِ

وَتَقُولُ : قَدْ نَزَلْتُ عَلَى رَأْيِ فُلَانٍ وَصَدَرْتُ عَنْ رَأْيِهِ وَٱئْتَمَرْتُ بِمَشُورَتِهِ وَعَمِلْتُ بِرَأْيِهِ

وَيُقَالُ فِي خِلَافِ ذٰلِكَ : ٱسْتَبَدَّ فُلَانٌ بِرَأْيِهِ وَٱسْتَقَلَّ بِرَأْيِهِ وَٱنْفَرَدَ بِهِ وَفَعَلَ ذٰلِكَ بِرَأْيِ نَفْسِهِ . وَإِنَّهُ لَمُعْجَبٌ بِرَأْيِهِ

في جودة الرأي وفساده

يُقَالُ : هٰذَا رَأْيٌ سَدِيدٌ وَصَائِبٌ وَأَصِيلٌ . وَإِنَّهُ لَجَيِّدُ ٱلرَّأْيِ وَمُحْكَمُ ٱلرَّأْيِ وَمُسَدَّدُ ٱلرَّأْيِ وَمُوَفَّقُ ٱلرَّأْيِ . وَفِي رَأْيِهِ سَدَادٌ وَصَوَابٌ وَإِصَابَةٌ وَأَصَالَةٌ وَحَصَافَةٌ .

وَيُقَالُ : قَدْ أَنْضَجَ رَأْيَهُ وَشَحَذَ غِرَارَ ٱلرَّأْيِ وَقَدْ أَبْرَمَ رَأْيَهُ وَأَصَابَ وَجْهَ ٱلرَّأْيِ وَأَبْصَرَ وَجْهَ ٱلرَّأْيِ . وَإِنَّهُ لَرَجُلٌ حَازِمٌ حَصِيفٌ بَعِيدُ ٱلْغَوْرِ بَعِيدُ مَسَافَةِ ٱلنَّظَرِ بَعِيدُ مَرْمَى ٱلنَّظَرِ

وَإِنَّ لَهُ رَأْيًا يُمَزِّقُ ظُلُمَاتِ ٱلْإِشْكَالِ وَيَحُلُّ عُقَدَ ٱلْإِشْكَالِ وَيُجَلِّي نَيْلَ ٱلْخُطُوبِ . وَإِنَّهُ لَيُصِيبُ بِسِهَامِ رَأْيِهِ أَكْبَادَ ٱلْمُشْكِلَاتِ . وَإِنَّهُ لَتَسْتَضِيءُ بِرَأْيِهِ ٱلْبَصَائِرُ ٱلضَّالَّةُ

وَتَقُولُ : صَوَّبْتُ رَأْيَ فُلَانٍ وَٱسْتَصْوَبْتُهُ وَرَجَّحْتُهُ . وَٱلرَّأْيُ مَا رَآهُ

فُلانٌ وَالقَوْلُ مَا قَالَهُ

وَيُقَالُ فِي ضِدِّ هٰذَا : هٰذَا رَأْيٌ فَائِلٌ ضَعِيفٌ سَخِيفٌ سَقِيمٌ وَاهِنٌ سَيِّئٌ فَاسِدٌ سَاقِطٌ . وَهُوَ عَاجِزُ الرَّأْيِ وَطَائِشُ الرَّأْيِ وَمَرِيضُ الرَّأْيِ

وَتَقُولُ : فَالَ رَأْيُكَ وَقَدْ فَيَّلْتُ رَأْيَهُ وَضَعَّفْتُهُ وَسَوَّأْتُهُ وَسَفَّهْتُهُ وَعَجَّزْتُهُ وَفَنَّدْتُهُ وَخَطَّأْتُهُ . وَإِنَّهُ لَبِئْسَ الرَّأْيِ وَإِنَّهُ لَرَأْيُ سَوْءٍ

وَيُقَالُ : هٰذَا رَأْيٌ فَطِيرٌ أَيْ صَادِرٌ عَنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ

في اتفاق الرأي واختلافه

يُقَالُ : اتَّفَقَ القَوْمُ عَلَى الأَمْرِ وَتَوَافَقُوا وَتَوَاطَأُوا وَتَمَالأُوا . وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى كَذَا وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاتَّحَدَتْ وِجْهَتُهُمْ . وَأَمْضَوْا أَمْرَهُمْ بِالاِتِّفَاقِ وَأَبْرَمُوهُ بِاجْتِمَاعِ الأَهْوَاءِ . وَفَعَلُوا ذٰلِكَ بِإِجْمَاعِ الكَلِمَةِ . وَهُمْ فِي ذٰلِكَ لِسَانٌ وَاحِدٌ

وَتَقُولُ : وَافَقْتُ فُلانًا عَلَى الأَمْرِ وَمَالأْتُهُ وَوَاطَأْتُهُ وَشَايَعْتُهُ وَجَارَيْتُهُ وَإِنِّي لأَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِهِ وَأَذْهَبُ إِلَى رَأْيِهِ وَأَنْزَعُ إِلَى مَقَالَتِهِ

وَيُقَالُ فِي ضِدِّهِ : قَدِ اخْتَلَفُوا فِي الأَمْرِ وَتَخَالَفُوا وَتَشَاقُّوا وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ وَتَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ وَتَعَارَضَتْ أَهْوَاؤُهُمْ وَتَشَعَّبَتْ آرَاؤُهُمْ وَتَبَايَنَتْ مَذَاهِبُهُمْ وَاضْطَرَبَ حَبْلُهُمْ وَتَصَدَّعَتْ عَصَاهُمْ وَانْشَقَّتِ العَصَا بَيْنَهُمْ . وَقَدِ اسْتَحْكَمَ الشِّقَاقُ بَيْنَ القَوْمِ وَذَهَبَ الخُلْفُ بَيْنَهُمْ كُلَّ مَذْهَبٍ وَقَطَّعَهُمُ اللّٰهُ أَحْزَابًا . وَأَصْبَحُوا لَا تَجْمَعُهُمْ جَامِعَةٌ

الباب الثامن

في المقالات

المدارس والدروس

بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي

لما كانت اكثر مدارسنا التي اقفلت ابوابها في اثناء هـذا الصيف قد ازمعت لى فتحها لانقضاء اجل العطلة رأينا ان نبتدرها بهذه العجالة نذكر فيها ما تهم عرفته من حيث الصحة . ولا يخفى ان الانتباه الصحي الى المدارس امر شديد للزوم وانه يترتب على اهماله مضارّ جمة لان الطالب يقضي اكثر ساعات نهاره يها بالدرس والتفكير فاذا اهملت مع ذلك التدابير الصحية اللازمة ذوى بدنه استولى عليه الضجر . ومعلوم ان طلبة العلم هم الذين يتوسم فيهم الوطن الخير يؤمل منهم النجاح على وجه خاص فاذا انتبه الى امرهم وهم ولدان خرجوا من لمدارس رجالاً اشداء وعلماء فضلاء وان أهمل امرهم كانوا نحفاء البنية سقيمي لمزاج فيتوارثه نسلهم ويصير حال الامة الى الوهن والاضمحلال

ويظن كثيرون من اهل بلادنا انه يجب ارسال الولد الى المدرسة حالما تقوى نائمتاه على حمل جسده ولا ينتبهونْ الى المضارّ الناجمة عن ذلك لان الولد قبـل بلوغ السابعة من عمره يكون آخذاً في النماء السريع جسداً وعقلاً واقل عامل بانع ذلك يفعل في بنيته ويعدُّها للسقم . ولا يخفى ان حصر الولد في المدرسة يسلب من قواه الحيوية ما كان حقه ان يصرف في سبيل انماء الجسم وتقويتـه ويقطعه عن الرياضة الجسدية اللازمة لتمام نمائه ويحمله من الاشغال العقلية ما لا طاقة له على حمله

ولذلك فمن الضروري ان تعين الاشغال والدروس بالنسبة الى سن الطلبة لان الصغير لا يقدر على اعمال قواه العقلية كالكبير ولاسيما اذا كانت متجهة الى موضوع واحد . وقد بحث بعضهم في المدة التي يمكن ان يوجه فيها الذهن الى مسئلة ما بدون انقطاع بالنظر الى اختلاف الاعمار فكان من نتائج بحثه في هذا القبيل ان من كان في سن خمس سنوات يتمكن من حصر فكره في موضوع واحد ١٥ دقيقة وفي سن سبع الى ١٠ سنوات ٢٠ دقيقة وفي سن اثنتي عشرة الى ست عشرة نحو ٣٠ دقيقة وبعد ذلك يختلف باختلاف الاشخاص

اما مدة الدرس في النهار فتختلف باختلاف السن والاشخاص وقد لفظ الدكتور شبراي منذ عهد قريب خطاباً على هذا الشأن جزم فيه بانه لا ينبغي ان يفرض للاشغال الجدية اكثر من اربع ساعات في اليوم للذين هم دون عشر سنين من العمر وبعد ذلك الى سن ١٥ يمكن ان يزاد الشغل الى ٦ ساعات ومن سن ١٥ وما فوق الى ٨ ساعات مع ردهم الى المنام الساعة الثامنة او التاسعة . وعدا ذلك ينبغي ان يعطى لهم يومان في الاسبوع للراحة الكاملة فان الولد احوج جداً من البالغ الى الراحة والرقاد وتنسم الهواء النقي

على ان العلماء لا يقبغون بين سن خمس الى عشرين سنة وانما ينبغون بين السنة العشرين والاربعين فاذا كدت قريحة الصبي باكراً يوصل به الى نتيجة مضادة للغاية المقصودة على خط مستقيم فاما ان تتولد عنده كراهية للشغل او ان يضعف بذلك عقله . واذا استمر على الشغل بعد ذلك فلا يبلغ الاربعين الا وقد ضنيت صحته وسقمت بنيته واذا كان متزوجاً كانت النتيجة وبالاً على نسله الذين يلدهم . ولا يكفي مع ذلك تقسيم ساعات المدارس وانما ينبغي ان يرسم فيها نظام العاب جسدية وتمرينات رياضية وتنزهات بعيدة تنشيطاً للجسم واحياء لقواه

فاذا لم ينتبه الى هذه الوصايا بل اكره الطالب على تحمل ما لا طاقة له عليه لا يلبث طويلاً حتى تبدو فيه اعراض السقم واذا كان قد ناهز البلوغ او اجتازه فكثيراً ما يبدو فيه السل الرئوي من قبل الضعف الناشئ عن الافراط في

الدرس وادمان المطالعة وحصر الذهن او يستولي عليه غيره من العلل التي كان في امن منها لو ألزم حد الاعتدال

ولا حاجة الى التنبيه على وجوب النظافة وتجديد هواء غرف الدرس والنوم لان اهمال ذلك يؤدي الى اضرار جمة ولاسيما اذا كانت المدارس محتشدة . ويجب الحرص على تفقد صحة الطلبة بحيث اذا كان في احدهم مرض معدٍ او علة توجب اخراجه من المدرسة يعمل بمقتضى ذلك لانه كثيرًا ما تمتد العلة المعدية من واحد الى آخر وتنتشر بينهم انتشارًا ذريعاً يفضي الى هلاك كثيرين منهم والله الواقي

***

فمن الامور التي ينبغي تحذّر الطالب منها الدرس وهو منحنٍ الى الامام فان ذلك يمانع وظيفة التنفس والدورة الدموية ويورث المًا في الصدر وقلما يتنبه الطالب الى عواقب ذلك في الحال لانهماكه في حفظ ما ترتب عليه من الدروس او اشتغاله بحل بعض المشاكل الرياضية وغيرها فلا يلبث ان يعتاد ذلك لتكرره عليه مرةً بعد اخرى ويصير ملكةً فيه يتعذّر تحوله عنها وهذا هو السبب في كثير من العلل الصدرية وغيرها التي تنشأ في طلبة المدارس مما لا حاجة الى التنبيه عليه . وافضل واسطة لاتقاء هذا المحذور ان تكون مقاعد المدرسة وموائدها على وضع يناسب راحة الجالس بحيث لا يكون منحنياً ولا منزعجاً في جلسته يحتاج الى الاتكاء على ما امامه، ويحسن والحالة هذه ان يكون امام المقاعد موطئ مرتفعة يرفع الدارس رجليه عليها بحيث يكون مطمئن الجلسة لا يحتاج الى الانحناء

ويحترس في المدارس من استعمال الكتب الدقيقة الحروف او القليلة وضوحها لان ذلك يحمل الطالب على كد بصره فينشأ عن ذلك اضرارٌ كثيرة ايسرها العلة المعروفة بالحسر اي قصر مدى البصر على ما هو مشهودٌ في كثير

من الدارسين . ثم ان الطالب يحيي قسماً كبيرًا من الليل في الدرس والمطالعة وهذا من جملة الاسباب التي تسوق الى العلة المذكورة وغيرها في البصر، فينبغي ان يتنبه الى تخفيف الضرر باتخاذ النور الكافي لهذا الغرض وان توضع المصابيح وراء الدارسين بحيث يقع النور على صفحة الكتاب ثم ينعكس من هناك الى العين

ويجمل بالدارس ان يعوّد بصره في غير آونة الدرس على النظر الى الاشباح البعيدة اتقاء للعلة المذكورة مع اتخاذ فترات بين اوقات الدرس يريح فيها بصره بحيث لا يعمله على الكد . ولا بأس عند الاصابة بهذه العلة من استعمال بلورات ضعيفة في اول الامر وذلك عند النظر الى الاشباح البعيدة ولا يجوز استعمال هذه البلورات في الدرس لانها تزيد العلة كما انه لا يجوز ابقاؤها على العين مدةً طويلة ولاسيما عند الاستغناء عنها لانه ينعكس عنها نور يضر بالعين فينبغي ان يقتصر في استعمالها على اوقات الضرورة

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام ان بعض الشبان عندنا يستعملون هذه البلورات وعيونهم صحيحة البصر وانما يضعونها لمجرد الزينة او التزيي بزي اهل العلم لان هذه العلة تكثر فيهم . وانما هم بذلك ينبئون عن جهلهم لانهم يعرضون بصرهم للآفة فضلًا عن ان البلورات في مثل هذه الحال تكون بمنزلة غشاء على العين يمنع من استجلاء الاشباح فينعكس عليهم الغرض المقصود من استعمالها عند غيرهم . ولذلك ترى بعضهم اذا ارادوا النظر الى شيء لم يتضح لهم حتى يدفعوا رؤوسهم الى القبة الخضراء وينظروا اليه من تحت البلورات . فليعلم امثال هؤلاء ان استعمال البلورات لا يثبت علماً ولا ينفي جهلًا بل قد يزيد الى سوء البصيرة سوء البصر وربما أفضى الى فقد البصر جملةً وان ابوا الا وضعها زهوًا وخيلاء فننصح لهم ان تكون من النوع البسيط الذي ليس فيه شيء من التقعر او التحديب حرصاً على بقاء بصرهم سليماً . وليعلموا انه خير لهم ان تحسر ابصارهم بالدرس والمطالعة من ان تحسر بالتمويه والمخادعة

وليحترس ايضاً من معاجلة الدرس على اثر الطعام لان ذلك يدعو الى زيادة توارد الدم نحو الدماغ فتتشوش أعمال الهضم ويكون ذلك من اقوى الاسباب الفاعلة في احداث التخمة التي يكثر عروضهـا لطلبة العلم من تلامذة المدارس وغيرهم وقد تزمن هذه العلة وتستعصي فيهم على التمادي فتفضي الى عواقب سيئة

ولا بد ايضاً من التنبه الى تناول شيء من الطعـام اللطيف صباحاً قبـل العكوف على الدرس على ما قررناه في نبذة الطعام اتقاء لمـا ينشأ عن مخالفة ذلك من الاضرار. فان كثيراً من الطلبة ينهضون من منامهم قبل ظهور الفجر ويدرسون على ضوء ضعيف وهم على الخلاء واكثر ما يحدث ذلك في ازمنة الامتحان وهي عادة رديئة تفضي بعدمنها الى الخلل في البنية عموماً والعين خصوصاً . على ان الدرس المستطيل ليلاً مضر على كل حال في اي وقت كان فلا بد من اعتياد الرفق فيه دفعاً لما ينشأ عنه من الآفات البصرية والله الحافظ

(مجلة الطبيب)

العادة

له ايضاً

قال الفيلسوف ارسطو في ادبياته « العادة لها في كل شيء سلطان » وحقيقة هذا القول ظاهرة مما يرى في المرء من التطوع والانقياد لما الفه واعتاده مستحسناً كان ام مستهجناً حتى انه يصعب عليه الاقلاع عنه . واذا حمل على تركه تبرم وسئم واحس من نفسه الاضطرار الى الرجوع اليـه . فاذا تمادى به الامر قلق وتوله واضطربت صحته وساءت اخلاقه . اما ترى ما يصيب السكير من الكآبة والسآمة متى اقلع عن الشرب بعد اذ علم بما فعلت به سورة الخمر من التمرغ في الاقذار والتلوث بالقيء والهزيان في الكلام واتيان المنكر من الافعال وما يعرض عليه من علامات الكمد وما يتشكى منـه من اعراض ذلك الداء العياء . فالعادة اذاً تتسلط على الانسان وهو حرٌ فتستعبـده وتذله

وتستولي على الارادة مع انها تحت سلطتها وتملك قياد صاحبها حتى لا يرى لنفسه نهياً ولا امرًا ولا يسمع لغيره نصحاً ولا زجرًا. ثم هي ان كانت محمودة رفعته الى اعلى درجات السعادة والكمال وان كانت مذمومة حطته الى اسفل دركات الشقاوة والوبال

وطريقة اكتساب العادات هي ان المجموع العصبي يتأثر طبعاً بالقواعل الكثيرة المحفوف بها الانسان فينتقل هذا التأثير الى الدماغ عن طريق الحواس فيشعر بالامور الخارجية ويتنبه الى اجراء ما تقتضيه ضرورة الوجود ومنفعة الذات وهو النفس . ومتى حدث ذلك مرة وجد الميل الى العود اليه لبقاء اثره في الدماغ في المحل الذي وقع فيه الانفعال فاذا تكرر العمل زاد الانفعال رسوخاً فقويت الرغبة فيه والميل اليه حتى يصير ملكة يزاولها العامل من وقت الى آخر غير مكلف اليها غالباً ولا شاعر بها احياناً . وبناء عليه تُحد العادة بانها ملكة مكتسبة صادرة عن انفعال الدماغ بالاثر الذي حدث فيه من تكرار العمل

وتختلف العادات في الافراد والعموم باختلاف الميل وطرق الاكتساب ووجوه التربية ومذاهب التقليد والاتباع وغير ذلك . فرب عادة ممدوحة عند قوم تعد مذمومة عند غيرهم كما يرى من انكار الاوروبيين الائتزار على نساء الشرق وانكار الصينيين عليهم ضيق السراويل المانع من قعود الاربعاء . على ان العادات تنقسم بالنظر العام الى مستحسنة ومستهجنة : فالمستحسنة هي التي يصدر عنها نفع محمود او هي التي اجمع على مدحها والعمل بموجبها اصحاب السير القويمة والاذواق السليمة : والمستهجنة ما كانت بخلاف ذلك . وهي اما ان تتعلق بالجسد ووظائفه الخاضعة للارادة كالجشع في الطعام او التعفف فيه والحركات اللطيفة او العنيفة ، او ان تتعلق بالآداب وقوى العقل كالصدق والامانة والدأب على المباحث العقلية واشباه ذلك . وكلها تقوى بالممارسة وتقوي ما تقوم به . فالجسم يزداد بالرياضة قوةً ونموًا والعين يقوى حسها بالمزاولة حتى يمتاز بها الواحد عن الآخر من اصحاب الصناعة الواحدة في اتقان العمل ودقة الصنعة .

واليد متى مرنت على العمل تصطنع الآلات المتناهية في الاتقان والضبط وهكذا العقل فانه ينمو ويسمو بقدر الاجتهاد في التحصيل والتدقيق والرغبة في البحث والتحقيق . والصفات الادبية كذلك فانها تتحسن بالمعاشرات المفيدة والتربية المحمودة .

ولا يخفى ان الصغار اكثر طواعية لاكتساب العادات لان ادمغتهم لطيفة البناء سهلة الانفعال بما يرد عليها من المحسوسات على خلو اذهانهم من اثر يشغلها فهي اشد تأهباً لقبول ما يطبع فيها من الصور الواردة عليها

فوجب لذلك ان يؤدب الصغير على العادات الحميدة والخصال الحسنة حتى ينشأ طبعه عليها ويتهيأ لقبول مثلها ونبذ ما يخالفها وان يثابر عليه في ذلك حتى يبلغ الحد الذي تستوي فيه غريزته وتتكامل فطرته وترسخ اخلاقه بحيث لا يعود يخشى عليه عروض الانفكاك عما صار اليه من الهيئة الادبية اذ هو قبل ذلك لا يزال عرضة للتقلب والتشكل بما يطرأ عليه من الاشكال المختلفة مع عدم قدرته على التمييز بين حسنها وقبيحها . فمثله في هذه الحالة مثل الكتلة من الطين تعملها شخصاً او اناء او غير ذلك وتحولها الى الهيئة التي اردت ولكنها اذا استحجرت بعد ذلك ثبتت على آخر هيئة كانت لها وامتنع عليك تغييرها وما احسن ما قال الشاعر :

قد ينفع الادب الاحداث عن صغر   وليس ينفعهم من بعده الادب
ان الغصون اذا قومتها اعتدلت   ولا يلين اذا قومته الخشب

ولا يجهل محل هؤلاء الاحداث من المجتمع الانساني فانهم ركن هذا المجتمع وهيكل بنائه وعليهم يتوقف امر السعادة والعمران لانهم هم اهل الايام الآتية وهم المستخلفون على البلاد واليهم تنتهي مقاليد الاعمال والاحوال وبهم تنعقد آمال الاستقبال

ومعلوم ان العادات ليست كلها مضرة فان منها ما يفيد الجسم صحة ونشاطاً والعقل قوة وتهذيباً وهي ما حصلت عن التربية المحمودة وما اضطر اليه الانسان

في ممارسة اعماله وألفه في احوال معاشه . وبخلافها العادات المضرة بالصحة ضرراً بيناً اما بمجرد الجري عليها او من قبل الافراط فيها وتقادم عهد حصولها . فمنها النهم في الطعام فانه يكون علة لحدوث كثير من امراض المعدة والسمن المفرط والعلل العضالة الرديئة العواقب قال الشاعر :

كم دخلت اكلة حشا شره فاخرجت روحه من الجسد
لا بارك الله في الطعام اذا كان هلاك النفوس بالمعد

ومنها الامساك عن المآكل النافعة وادمان الطعام السيء الهضم القليل الغذاء مما يورث الضعف والهزال ويفضي الى علل مضنية مهلكة . ومنها الاكثار من استعمال المآكل المهيجة ولاسيما اللحوم والاسماك المقددة . قال ابن سينا :

وكل شيء بات في الملح ردي من لَحم او سمك مقدد

فان هذه المآكل تفضي الى حدوث القولنج وغيره من العلل العصبية المعدية وتحدث التهاب المعدة المزمن وقد تكون سبباً في حدوث السرطان المعدي اذا وجد ثمَّ مزاج وراثي . ومنها ادمان شرب المسكرات وقد ذكرنا من مضارها فيما سلف من اجزاء الطبيب ما يغني عن التكرار هنا . ومنها تعوُّد هيئة مخصوصة من الجلوس او الانتصاب في العمل الذي يباشره الانسان يفضي به مع طول الوقت الى حدوث عيوب في البناء لاسبيل الى شفائها غالباً . ومنها عادة استعمال المهيجات العصبيـة كالتبغ والتنبك والحشيش والافيون ومضارها كثيرة يبحث عنها في فصول مخصوصة

ومن العادات الرديئة التي الفها عامتنا صرف عـدة من ساعات النهار في القهوات يضيعونها في اللهو والتدخين وشرب القهوة . ومضار هذه العادة كثيرة منها نقل بعض الامراض المعدية كالزهري من شخص الى آخر بواسطة حلمات النارجيلات والاكواب التي يطاف عليهم بها فقد ثبت ان جراثيم هذه الامراض تعلق بالادوات المذكورة فتنتقل الى الشخص الصحيح متى وجدت احوال موافقة لذلك كأن يكون في فمه سحجٌ مثلاً . ومنها عادة التقبيل بين الاقارب والاصحاب

عند السلام او الوداع فكثيرًا ما يكون ذلك وسيلةً لنقل هذه الامراض

وفي تقرير القواعد الصحية المتعلقة بالعادات ينبغي ان ينظر في العادة وتأثيرها في الجسم هل هي مفيدة له او مضرة او غير مفيدة ولا مضرة . فان كانت مفيدةً وجب تقريرها والحث على الاستمساك بها وان لم تكن مفيدة ولا مضرة لم يكن لطبيب الصحة رأيٌ يبديه بخصوصها ولو كانت مكروهة عند اصحابها انفسهم او عند الذين يخالطونهم في امور معاشهم . واما العادات المضرة فينبغي للطبيب ان يجتهد في البحث عنها ويبالغ في التحذير منها . على انه يحتاج في ذلك الى سبق النظر والخبرة باحوال الشخص الذي يراد منعه عن العادات المضرة والتصرف معه بالحزم والحكمة مع النظر الى نوع العادة واعتبارها بما ينشأ عنها من الاذى . فاذا قطع بكون العادة رديئة مضرة فان كان ضررها عاجلًا كبعض عادات الاحداث وجب ان يجتهد بمنعها على الفور . وان كانت متأصلةً منذ زمن طويل كعادة المسكرات وجب ان يجتهد بمنعها تدريجًا لان منع مثل هذه العادة على الفور يكون سببًا للضرر في احوال كثيرة قال ابن سينا :

وكل عادة تضرُّ اهلها　　　فاقطع بتدريج الزمان اصلها

وقال علّامة العصر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي :

وحكموا في العادة المضرة　　　ان تقطع المرة بعد المرة

واذا كانت العادة رديئة العواقب وهي ليست مضرة في نفسها ولا سبيل الى الاقلاع عنها لانها ملازمة للمهنة التي يمارسها صاحبها كالغناء والاشغال التي تقتضي تحديق النظر وجب ان يجتهد بتلطيفها وتهذيبها تخفيفًا لضررها الا متى علم بالاختبار ان العوارض والامراض الناشئة عنها شديدة الخطر على الصحة فلا بد حينئذٍ من تخير اخف الضررين . وافضل ما يعول عليه في تلطيف مثل هذه العادات ان يراوح بين الاعمال كأن يعدل صاحب الاشغال البصرية عما يوجب التحديق منها الى ما لا يوجبه او ينتقل من عمل العين الى عمل اليد مثلًا ريثما يغتنم

بعض الراحة فان اعمال العضو على التعب من اشد الامور ضرراً واقربها خطراً .
والعمدة في اكثر هذه الاحوال على تدبير العاقل لنفسه واخذه بالحزم في امر
صحته فاذا لم يكن له من نفسه مرشد فقلما يغني عنه ارشاد الناصحين

﴿ العفو والحلم ﴾

بقلم الخوري بطرس البستاني

مهما كان عليه المرء من الحطة والضعة ومهما الفه من ضروب الذل والمهانة
لا تخلو نفسه من بعض الانفة التي يأبى معها الصغارة والضيم ويستنكف من
اغلال الضغط والاستبداد وينفر من انزال الاهانة بعرضه والغض من قدره لان
الانسان خلق حرّاً وما من شيء ابغض اليه مثل خنق حريته والاحتكام فيه .
واذا اعرض عن الاساءة واغضى الطرف على القذى وامسك عن الانتقام فانما
يكون في الغالب عن ضعف او عجز ولا فضل للضعيف اذا لم يقابل الاهانة
بالاهانة خوفاً او عجزاً . ولا يصح ان يسمى سكوته عن الاخذ بالثأر صفحاً
وحلماً لان عاطفة البغض لا تزال على توقدها في صدره تحضه على الاقتصاص ممن
اذنب اليه متى امكنته الفرصة تسكيناً لغلواء غيظه وتشفياً من عدوه

على ان العفو انما يصلح ان يكون عفواً اذا كان المهان قد محا من صدره
اثار الضغينة ونسخ الحزازات حتى كأنما لم يلحقه من المسيء اليه ادنى اذية . فهو
يصفح له من القلب قبل اللسان فلا يقابله بعين ساخطة بل بثغر بسام ولا يقطع
عنه احسانه ولا يحبس عنه صنائعه فاذا عامله هذه المعاملة لا طمعاً في جزاء دنيوي
كأن يخاف من ذم يصيبه اذا طابت نفسه الى الانتقام او يرغب في مدح يناله
اذا عرف الناس منه اعراضاً عن ادراك الثأر بل كان ذلك منه عن سماحة طبع
وسلامة قصد بل حباً لله الآمر بكظم الغيظ والمعاملة بالحسنى والرفق بالمذنبين
اليه ، فحينئذٍ يصح ان يعد سليماً ويصيب جزاء علوياً على رفقه وحلمه . ولا ريب
انه اذا قوي المرء على سلطان غضبه وكبح جماح غيظه واطفأ جذوة حقده وحلم

نفسه الامارة بالسوء والانتقام الى مأثرة بديعة تصغر عندها كل صنيعة ويقصر البيان عن ان يوفّيها حقها من الثناء لان عصيان القوة الغضبية ليس بالامر اليسير، والتمرد على شوكة الهوى لا يقوى عليه الّا بنو الفضيلة وارباب الكمال الذين رزقوا جلداً كبيراً واوتوا قوة شديدة حتى تهيأ لهم ان يقاوموا ميولهم ويصادموا تيار النقمة في ميدان لم يخلق لارباب الحسام واصحاب البأس والبسالة بل لرجال الفضيلة والحلم والصبر

ولا مشاحة ان العفو يكون مقياسه من الكمال على نسبة فظاعة الاهانة والجرم وبالاضافة الى نية المهين ومضرة المهان. فالصفح عن القاتل عمداً هو اوقع في النفس من الصفح عن القاتل اتفاقاً، والرفق بمن سلبك شيئاً من مالك احط منزلة من التغاضي عمن اثخن فيك الجراح او قتل احد بنيك او اسقطك عن مقامك لتهمة اختلقها عليك وجريمة لطخك بها وانت منها بريء الساحة . وعلى ذلك قياس سائر السيئات ومنه تعرف منزلة العفو عنها

بقي علينا غير اعتبارات لا بد من مراعاتها سبراً لغور الحلم ووقوفاً على مبلغ صاحبه من الفضل . فان ملاينتك لغرس نعمائك وعضك الطرف عنه بعد خيانته اياك وانقلابه عليك ورشقه اياك بنبال حادة لادخل في مذاهب الحلم والأناة وافعل في القلوب من ان تسدل اذيال الصفح على اهانات من ليس لك عليه فضل . وعفوك عمن غدروا بك واوقعوا الاذى من ذوي قرباك بعد اذ تقلبوا على مهاد نداك ونشأوا تحت ظلال حنانك وربوا في كنف عنايتك لاوقع في النفوس من عفوك عمن ساقته المنافسة الى منازعتك اهداب الوجاهة وهو اجنبي عنك ليس بينك وبينه وشيجة قربى ولا صلة نسب

ثم تختلف درجات الحلم باختلاف درجات الانعطاف والحب وطبقات الاشمئزاز والكره فاذا عفوت عن ولدك لاختلاسه بعض دراهم من صندوقك لا يكون لك فيه فضل مثل ان تعفو عمن ابتز منك هذا القدر من المال جبراً واكراهاً كما ان صفحك عن اخيك لطمعه في بعض ملكك لا يكون له شأن

مثل الصفح عن القريب وقد تمدى عليك بالشيء نفسه

وهنالك عدة احكام يقتضي مراعاتها كأن يكون الجرم قد تقادم عهده او كفّر عنه بعض التكفير او توسط في الاستصفاح بعض الوجهاء ممن لا يرد لهم ملتمس ولا يخيب امل او كأن يكون المسيء قد اصبح بحالة لا يقوى معها على التعويض وقد جاء يستصفحك ذنبه الى غير ذلك مما نمسك عن ذكره اليراع حذرًا من الملل الذي يورثه التطويل

ومما تقدم يتبين لكل ذي شعور فضل الحلم خصوصاً اذا صفح عن مقدرة وعفا عن سماحة ورأفة وكان الذنب مما لا يحتمل الصفح ويضيق عنه الصدر . فانه خير ممن يفتح الممالك ويقتحم ساحات العراك وافضل ممن يجود بماله ويعاني المشاق في سبيل الخير . لان الاقدام على المبرات كثيرًا ما تصحبه اللذة ولاسيما اذا كان الجواد السماح ممن استحكمت في فؤاده الاريحية . واما الصافح عن الاهانات الجسيمة فانما تنشب بينه وبين الانتقام حرب عوان لا يخوض غمراتها الا القلب الشفيق ولا ينتصر فيها سوى الكريم الفاضل ذي الصدر الرحيب والعقل الراجح الذي رسخت في جنانه خشية الله حتى تغلب على هواه وكبح جماح نفسه وقمع ثورة الغضب فيه وتعرى عن المادة وطار الى العالم الروحاني حيث لا مهب للسخط ولا مجرى للحقد ولا مسرح للانتقام والوتر . ولا ريب انه احق من كل مفضال بعقد الثناء واكليل الجزاء واجدر الناس بالتغبيط على قيادة نفسه بلجام يكفها عن الركون الى النقمة والثأر ويردعها عن الاستسلام الى المساخط والاستنامة الى كيد العدو وقهره وتذليل المجرم وتدويخه

على انه مهما كان عليه الذنب من الفظاعة واياً كان مبلغ اذاه فلا ندحة على مغفرته عملاً بسنن الديانة والانسانيـة واحتفاظاً بالامن والسكينة ونهوضاً بواجب البشرية لان البشر بما تسرب في طباعهم من المفاسد وتطرق الى صدورهم من المطامع لا بد من ان تقع بينهم الشرور والتعديات والمظالم فاذا فشت رذيلة الانتقام في القوم انحلت اسباب الالفة وتقوضت اركان الاجتماع وغلت في القلوب

مراجل البغضاء وتطاير شرار الحزازات وعمت الفتن والشحناء. ونعوذ بالله من هذه الآفات . وليعلم الساخط انه يسيء بسخطه الى الله والضمير والمجتمع الانساني ويجرح كل قلب فيه مسكة من الحنان والرأفة

على اننا لا ننكر ان الحلم اذا وقع في غير موضعه حصل عنه اذى وكان التعنيف اولى منه وذلك كأن تعفو عن لئيم فيجره عفوك الى التمرد عليك طمعاً في حلمك ولاسيا اذا كنت حاكماً او رئيساً حرصاً على مقامك من الابتذال ومهابتك من السقوط عملاً بقول الشاعر :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدّرا

وفي غير هذا الموضع يحظر على المرء ان يحبس سحابة العفو عن مستدرها خصوصاً اذا كان الذنب من صغار الذنوب . وهبه على جانب من الجسامة فانه لا يبقى على جسامته اذا قابلته بالتذلل الذي يتقدم به اليك من جاءك يستصفحك ذنبه تائباً توبة نصوحاً

ومن الناس من يلبث مصرّاً على العقوبة والتنكيل مهما يقع في مسامعه من العبارات الرقيقة التي تلين الصخر الاصم فلا يرق فؤاده ولا تدركه شفقة بل يبقى على صلابته كأنى به نشوان من العبرات السخينة يداوي بها جراحه ويروي غليله ويشبع شهوة انتقامه فان هذه الفئة الحرية باشد اللوم والتنديد تتبرأ منها الانسانية كأنها عضو زمن لا يصلح جسمها بدون قطعه وبتره

الا فليتنبه قساة القلوب وجساة العواطف وليخافوا الله اذا اصروا على التنكيل باخوانهم في البشرية فلسوف يأتيهم يوم تسد فيه ابواب الرحمة امامهم فيقرعونها وليس من مجيب واننا نحض الآباء على ان يغرسوا في قلوب بنيهم منذ الحداثة اصول الرحمة والشفقة محببين اليهم الحلم والصفح حتى اذا مسهم احد بسوء عرفوا كيف يصفحون عنه بقلب يفيض رقةً وحنواً ونفس تعفو كرماً ولطفاً ووجه يتدفق هشاشةً وبشراً فان العفو من خير ما تحلى به الانسان وافضل ما استقر في باحات الجنان

ونحن اليوم في اشد الحاجة الى ممارسة هذه الفضيلة نزعاً للاحقاد من صدورنا واطفاء للحزازات من عروقنا حتى تتمهد امامنا عقبات الاتفاق والتضام وتحيا في قلوبنا روح الوطنية الشريفة التي يتوقف عليها ترقي الوطن في معارج الفلاح والعلاء وبدونها لا ندرك ارباً ولا نبلغ امداً ولا نفوز بامنية في هذا العصر الذي تتبارى فيه الشعوب في مضمار المجد والنجح وتتسابق في مذاهب المدنية والعمران

الخريف

لجبران خليل جبران

ها قد ضعفت حرارة الشمس واصبحت نظراتها المحببة كنظرات سقيم يرى الحياة من وراء نقاب الموت

ها قد تمردت الارياح وانتزعت عزم البحار لتبيد به ما اخرجته الارض من صدرها مثلما تفني الحروب والثورات ما تبثه السلامة من اعماقها

قد قضى الصيف فجلست الحقول للنحيب والبكاء وتململت الاشجار متحسرة ناثرة اوراقها الصفراء لتكفنه بها وتلحده تحت ثنايا الثلوج

قد مات الصيف، مات فتى الفصول، مات عريس الاودية فوقفت امه الطبيعة لتندبه وترثيه

مات واهب الرزق، مات شاعر الحياة، مات حياة الشعر فتركه الانسان جثة باردة على احضان البرية وعاد حاملاً البزور والاثمار الى اوكاره الضيقة

البلابل والشحارير والعصافير قد رحلت الى الجنوب ولم يبقَ بين الطلول الجرداء سوى غربان سوداء تتصاعد ناعبة من بين القضبان العارية وتختفي في الغاب ثم تظهر وتهبط كأنها رأت جيفةً ثم تتطاير وتتفرق الى كل ناحية كأنها تخاف بعضها بعضاً

الاغصان ترتجف متأففة . وأوجه البحيرات تتجعد جزعاً . والصخور تكاد

تهبط من امام السيول والامطار وكل ما في الارض يرتعش من غضب العواصف ارتعاد العبيد المذنبين امام الملوك القساة

السواقي المترعة قد غارت . ثم ظهرت وغت انهرًا وجرفت بتيارها الجذوع والحصى الى اعماق الوادي . . اوراق الاشجار اليابسة تتراكض يمينًا وشمالاً في المعابر والممرات والاعشاب الذابلة تتسارع ماشيةً كالحشرات الجائعة في المروج والمنخفضات . والغيوم الرمادية قد تراكمت فوق خطوط الشفق وملأت الفضاء فاصبحت احواض المياه تحدق وباطلًا تحدق لترى ازرقاق السماء

قد مات الصيف الجميل ليحيا الخريف الكئيب . وبين ذاك الموت وهذه الحياة قد وقف الزمن مشيرًا بيمينه نحو غصن عرته الارياح وقصفته العاصفة قائلًا : هذا رمز اياملك ايها الانسان فتأمله جيدًا ، يقظة ففرح فحزن فنزاع فنوم عميق

اهذا رمز حياتنا ! غصن غقه نيسان بالازهار . وكساه حزيران بالاوراق واثقله آب بالاثمار . ثم جاء تشرين فعراه بارياحه . ثم مرت العاصفة فقصفته بعزمها والقته على الحضيض لكي يبلى على مهل تحت طبقات الثلوج ؟ اهذا هو رمز حياتنا ايها الزمن !

أيبتلع الفضاء طهر الطفولية . ويمتص الاثير غبطة الشبيبة . ويغمر البحر قوة الكهولة ويبيد الظلام حكمة الشيخوخة ؟

اين عدل السماء اذا كان الموت يجمع في قبضة العدم نفوس المجرمين وارواح الانبياء . مثلما يلحد الخريف في قلب التراب بقايا الوردة الحمراء والزنبقة البيضاء بجانب الاشواك والادغال ؟ وما معنى الحياة اذا كانت الازمنة تجمع في النهار دقائق اجسادنا من تراب وطئته اقدام الدهر لتموت في الليل وتفرقها وتذريها كالغبار امام ريح الشمال ؟

قد مات الصيف فرحلت الطيور الى الجنوب وعرت الارياح اشجار الصفصاف والحور والتوت والتفاح ووشح الضباب الحقول والمروج والاودية . واوت

العواصف اعناق الاعشاب والزهور وغرّقت الامطار قامات الانصاب والرياحين ولكن هناك ، هناك في سفح الجبل شجرة السرو ذات الاخضرار الابـدي يهاجمها الريح بعنف فيلويها ولكنه لا يقصفها . ويحاول المطر خلع ثوبها فيبلله ولا يثلمه . ويغمرها الضباب ليخفيها عن النواظر فيظل رأسها العالي مرفوعاً نحو السماء . وتجتمع حول جذعها اوراق الاشجار لتكفنها فتبلى هناك وتتحول الى عناصر تغذيها . هذه هي الشجرة التي تخرج من بطن الارض ولا تعود اليه - هذه هي الكلمة التي يلفظها الصيف فلا يستطيع الشتاء ان يجعلها سكينة . هذه هي رمز حياتي ايها الخريف ! ايها الزمن !

الصياد

« لمصطفى المنفلوطي »

حدّث احد الاصدقاء قال : بينا أنا في منزلي صبيحة يوم اذ دخل عليّ رجل صيّاد يحمل في شبكة فوق عاتقه سمكةً كبيرة فعرضها عليّ فساومته[١] فيها ثم نقدته الثمن الذي اراده فأخذه شاكرًا متهللًا وقال : هذه هي المرّة الاولى التي اخذت فيها الثمن الذي اقترحته[٢] . احسن الله اليك كما احسنت اليّ وجعلك سعيداً في نفسك كما جعلك سعيدًا في مالك. فسررت بهذه الدعوة كثيراً وطمعت ان تُفتح لها ابواب السماء . وعجبت ان يهتدي شيخ عامي الى معرفة حقيقة لا يعرفها الا القليل من الخاصة ، وهي ان للسعادة النفسية شأناً غير شأن السعادة المالية . فقلت له يا شيخ وهل توجد سعـادة غير سعادة المال . فابتسم ابتسامة هادئة مؤثرة وقال : لو كانت السعادة سعادة المال لكنت انا اشقى الناس لانني افقر الناس . قلت : وهل تعدّ نفسك سعيدًا . قال : نعم لانني قانع برزقي مغتبط بعيشي لا احزن على فائت من العيش ولا تذهب نفسي حسرة وراء

(١) ساومه أي عرض عليه ثمناً فدفع المشترى اقل منه وهكذا الى ان يتم الاتفاق على ثمن (٢) اقترح الشيء على اختاره وطلبه منه متحكما

مطمع من المطامع . فمن اي باب يخلص الشقاء الى قلبي . قلت : ايها الرجل أين يُذهَب بك وما ارى الّا انك شيخ قد اختُلس عقله. كيف تعدّ نفسك سعيدًا وأنت حافٍ غير منتعل وعارٍ الّا قليلًا من الأسمال البالية والأطمار السحيقة [1] قال : ان كانت السعادة لذة النفس وراحتها وكان الشقاء ألمها وعناءها فأنا سعيد لانني لا اجد في رثاثة ملبسي ولا في خشونة عيشي ما يولّد لي ألمًا او يسبب لي همًّا. وان كانت السعادة عندكم أمرًا وراء ذلك فانا لا افهمها الّا كذلك. قلت: ألا يحزنك النظر الى الاغنياء في اثاثهم ورياشهم وقصورهم ومراكبهم وخدمهم وخولهم ومطعمهم ومشربهم . ألا يحزنك هذا الفرق العظيم بين حالتك وحالتهم قال : إنما يصغّر جميع هذه المناظر في نظري ويهونها عندي اني لا اجد ان اصحابها قد نالوا من السعادة بوجدانها اكثر مما نلته بفقدانها . هذه المطاعم التي تذكرها إن كان الغرض منها الامتلاء. فأنا لا اذكر اني بتّ ليلة في حياتي جائعًا. وان كان الغرض منها قضاء شهوة النفس فأنا لا آكل الا اذا جعت فأجد لكل ما يدخل جوفي لذة لا احسب ان في شهوات الطعام لذة تفضلها . اما القصور فان لديّ كوخًا صغيرًا لا اشعر بأنه يضيق بي وبزوجتي وولدي فأقرعَ السنّ على ان لم يكن قصرًا كبيرًا . وان كان لا بد من إمتاع النظر بالمناظر الجميلة فحسبي ان احمل شبكتي فوق كتفي كلّ مطلع فجر وأذهب بها الى شاطئ النهر فأرى منظر السماء والماء والاشعة البيضاء والمروج الخضراء . فما هي الّا لفتة الجيد حتى يطلع من ناصية المشرق قرص الشمس كأنه خوان[2] من ذهب او [illegible] من ذهب فلا يبعد عن خطر الافق ميلًا او ميلين حتى ينثر فوق سطح النهر حليه المتكسر او درّه المتحدر. فاذا تجلى هذا المنظر في عيني وتمت له سكوت الطبيعة وهدوءها ملك على شعوري ووجداني واستغرقت فيه استغراق النائم في الاحلام اللذيذة حتى لا احب ان اعود الى نفسي الى يوم النشور . ولا ازال هكذا غارقًا

(١) الاسمال الثياب البالية مثل الاطمار . والسحيقة البالية

(٢) الخوان ما يوضع عليه الطعام

في لذتي حتى اشعر بجذبة قوية في يدي فأنتبه فاذا السمك في الشبكة يضطرب. وما اضطرابه الا لانهُ فارق الفضاء الذي كان يهيم فيه مطلق السراح وبات في المحبس الذي لا يجد فيه مراحاً ولا مسرحاً . فلا اجد له شبيهاً في حالتيه الا الفقراء والاغنياء . يمشي الفقير كما يشتهي ويتنقَّل حيث يريد كأنما هو الطائر الذي لا يقع الا حيث يطيب له التغريد والتنقير[1] . ولولا أن تتخطاه العيون وتنبو[2] عنه النواظر ما طار في كل فضاء ولا تنقَّل حيث يشاء . امَّا الغني فلا يتحرَّك ولا يسكن الَّا وعليه من الاحداق نطاق ومن الأرصاد[3] اغلال واطواق . ولا يخرج من منزله الا اذا وقف امام المرآة ساعةً يؤلّف فيها من حقيقته وخياله ناظرًا او منظوراً ثم يطيل التفكُّر هل يقع المنظور من الناظر موقعاً حسناً ، حتى اذا استوثق من نفسه بذلك خرج الى الناس يمشي بينهم مِشيةً يحرص فيها على الشكل الذي استقرَّ رأيه عليه فلا يطلق لجسمه الحرية في الحركة والالتفات حتى لا يخرج بذلك من حكمها ، ولا لفكره الحرية في النظر والاعتبار بمشاهد الكون ومناظره مخافة أن يغفُل عن اشارات السلام ومظاهر الاكرام

فاذا اخذت من السمك كفاف يومي عدت به وبعته في الاسواق او على ابواب المنازل . فاذا ادبر النهار عدت الى منزلي فيعتنقني ولدي وتبش زوجتي في وجهي . فاذا قضيت بالسعي حقَّ عيالي وبالصلاة حقَّ ربي نمت في فراشي نومةً هادئةً مطمئنةً لا احتاج معها الى ديباج وحرير او مهد وثير[4] فهل استطيع ان اعدَّ نفسي بعد ذلك شقيًا وانا أروَحُ الناس بالاً وان كنت أقلَّهم مالاً

لا فرق بيني وبين الغنيِّ الا أنَّ الناس لا ينهضون اجلالاً اذا رأوني ولا يمدّون اعناقهم نحوي اذا مررت بهم . وأهوِن به[5] من فرق لا قيمة له عندي ولا اثر له في نفسي . وما يَعنيني من امرهم أن قاموا او قعدوا او طاروا في الهواء او غاصوا في اعماق الماء ما دمتُ لا علاقة بيني وبينهم وما دمتُ لا انظر اليهم

---

(١) نقر الطائر الحب التقطه بمنقاره (٢) تتباعد (٣) جمع رصد وهو القوم الذين يرصدون (٤) لين (٥) اي ما اهونه واسهله

الا بالعين التي ينظر بها الانسان الى الصور المتحركة

لا علاقة بيني وبين احد في هذا العالم الّا تلك العلاقة التي بيني وبين ربي. فانا اعبده حقّ عبادته وأخلص في توحيده فلا اعتقد بربوبيّة احد سواه . ولا اكتمك يا سيدي اني لا استطيع الجمع بين توحيد الله والاعتراف بالعظمة لاحد من الناس . ولقد اخذ هذا اليقين مكانه من قلبي حتى لو طلع عليّ الملك المتوّج في مواكبه وكواكبه وبطانته وجنده لما خفق له قلبي خفقةَ الرهبة والخشية ولا شغل من نفسي مكاناً اكثر مما يشغله ملك التمثيل . .

ولقد كان هذا اليقين اكبر سبب في عزائي وراحة نفسي من الهموم والاحزان فما نزلت بي ضائقة ولا هبّت عليّ عاصفة من عواصف هذا الكون الا انتزعني من بين مخالبها وهوّنها عليّ حتى لا اكاد اشعر بوقعها . وكيف اتألم لمصاب اعلم انه مقدور لا مفر منه وأنني مأجور عليه على قدر احتمالي اياه وسكوني اليه

آمنت بالقضاء والقدر خيره وشره وباليوم الآخر ثوابه وعقابه فصغرت الدنيا في عيني وصغر شأنها عندي حتى ما افرح بخيرها ولا احزن لشرها ولا أعول على شأن من شؤونها حتى شأن الحياة فيها . . وأقسم ما خرجت مرّة الى شاطئ النهر حاملاً شبكتي فوق عاتقي الا وقع الشك في نفسي هل اعود الى منزلي حاملاً او محمولاً . . . ما العالم الا بحرٌ زاخر وما الناس الا أسماكه السابحة فيه وما ريب المنون الا صيادٌ يحمل شبكته كلّ يوم ويلقيها في ذلك البحر فتمسك ما تُمسك وتترك ما تترك . وما ينجو من شبكته اليوم لا ينجو منها غداً . فكيف اغتبط بما لا املك او أعتمد على غير مُعتمد . اذًا انا اضلّ الناس عقلاً واضعفهم ايماناً

قال المحدّث : فأكبرت ذلك الرجلَ كل الإكبار وأعجبت بصفاء ذهنه وصفاء قلبه وحسدته على قناعته واقتناعه بسعادة نفسه وقلت له : يا شيخ ان الناس جميعاً يبكون على السعادة ويفتشون عنها فلا يجدونها . فاستقرّ رأيهم على ان الشقاء لازم من لوازم الحياة . قال : لا يا سيدي ان الانسان سعيد بفطرته واذ

هو الذي يجلب بنفسه الشقاء الى نفسه ويشتد طمعه في المال فيتعذّر عليه مطمعه فيطول بكاؤه وعناؤه . ويعتقد ان بلوغ الآمال في هذه الحياة حقٌّ من حقوقه فاذا أخطأ سهمه والتوى عليه غرضه أنَّ وشكا شكاة المظلوم من الظالم ويبالغ في حسن ظنه بالايام . فاذا غدرت به في محبوب لديه من مال او ولد فجئه من ذلك ما لم يكن ليناله خَبَرَ الدهر وقتل الايام علماً وتجربةً [1] وعرف أن جميع ما في يد الانسان عارية مستردّة ووديعة موقوتة وان هذا الامتلاك الذي يزعمه الناس لانفسهم خدعةٌ من خدع النفوس الضعيفة

ان اكثر ما يصيب الناس من الشقوة من طريق الاخلاق الباطنة لا من طريق الوقائع الظاهرة . فالحاسد يتألم كلما وقع نظره على محسود . والحقود يتألم كلما تذكّر أنه عاجز عن الانتقام من عدوّه . والطمّاع يتألم كلما خاب امله في مطمع . والشارب يتألم كلما افاق من سكره والظالم يتألم كلما سمع ابتهال المظلوم بالدعاء عليه او حاق به ظلمهُ وكذلك الكاذب والنمام والمغتاب وكل من تشتمل نفسه على رذيلة

من اراد ان يطلب السعادة فليطلبها بين جوانب النفس الفاضلة والا فهو اشقى العالمين وان ملك ذخائر الارض وخزائن السماء . . .

قال الصديق : فما وصل الصيّاد من حديثه الى هذا الحدّ حتى نهض قائماً وتناول عصاه وقال : استودعك الله يا سيدي وادعو لك الدعوة التي احببتها لك وهي ان يجعلك الله سعيداً في نفسك كما جعلك سعيداً في مالك والسلام عليك ورحمة الله

الامتحان

« له ايضاً »

في كل موسم من مواسم الامتحان المدرسي نسمع بكثير من حوادث

---

(١) خبر الشيء خبراً وخبرة علمه علماً تاماً

الانتحار بين الذين لا ينجحون من التلاميذ في الامتحان . ولو رُبّي التلميذ تربية دينية لما هان عليه ان يخسر سعادته الأخروية خسراناً مُبيناً اسفاً على ان ينل كل حظه من السعادة الدنيوية . ولو رُبّي تربية ادبية لما احتقر حياته الثمينة وازدراها ولوى وجهه عنها لانه لم تقدّم اليه في لفافة الشهادة المدرسية . ولو ان استاذه ملأ قلبه بنور الايمان ولقّنه فيما يلقنه من قواعد الايمان واحكامه ان جناية المرء على نفسه اكبر اثماً عند الله واعظم جرماً من جنايته على غيره لما خاطر بدينه في آخر ساعة من ساعات حياته ، وهي الساعة التي ينيب[1] فيها العاصي الى ربه ويستغفر فيها المذنب من ذنبه . ولو انه لقّنه فيما يلقنه من دروس الاخلاق والاداب أن العلم صفة من صفات الكمال لا سلعةٌ من سِلَع التجارة يجب ان يحفل[2] به صاحبه من حيث ذاتهُ لا من حيث كونهُ وسيلةً من وسائل العيش لما جرى على تلك القاعدة الفاسدة « الشهادة بلا علم خير من العلم بلا شهادة » . ولو أنه ربّاه على الاستقلال الذاتي وعلّمه أن الشرف في هذه الحياة على قدر ما يبذله الانسان من الجهد في خدمة الامة او المجتمع سواء أكان في قصر الملك ام في دار الوزارة ، وفي حانوت التجارة ام في معمل الصناعة لما أكبر مناصب الحكومة هذا الاكبار ولا احتفل بها احتفالَ من لا يرى للحياة معنى بدونها . ولو انه نفث في رُوعه[3] روح الشجاعة النفسية وعوّده الصبر والجلد في مواقف اليأس لما جزع هذا الجزع[4] الفاضح ولا جُنّ هذا الجنون الذي خيّل اليه ان عذاب النزع أهونُ من عذاب الهمّ . .

الوالد والاستاذ والمجتمع في مصر عونٌ على الناشئ المتعلّم وآفة عقله واخلاقه وآدابه . اما الوالد فانه يقول له وهو ذاهب الى المدرسة ستكون غداً يا بُنيّ حاكماً من الحكّام كهذا الوزير او ذلك المدير . وكلما اراد ان يحثه على الاجتهاد في طلب العلم ويخوّفهُ عاقبة الخيبة في الامتحان صوّر له المستقبل المظلم المجرّد من الوظيفة اقبح تصوير . وربّما اشار عليه بوجوب الانتحار على تقدير الخيبة

(١) يرجع ويتوب (٢) يهتم (٣) نفخ في قلبه (٤) الجزع ضد الصبر

فيقول له : ان لم تنجح في الامتحان فموتك افضل من حياتك . .

واما الاستاذ فانه يضرب له من نفسه مثلاً على وجوب احترام المنصب واجلاله وإنزاله المنزلة الاولى بين اعمال المجتمع الانساني اذ يراه بعينه يتجرّع مرارة الذل ويعاني من كبرياء روٌسائه وقسوة المسيطرين عليه عناء شديداً ويحتمل من ذلك ما لا يحتمله الرجل الشريف حرصاً عـلى منصبه وإرعاء[1] عليه . فكأنما يتلقّى عنه درساً عملياً موضوعه « أن من يخاطر بمنصبه يخاطر بحياته لان المنصب كلُّ شيء في هذه الحياة » . اما المجتمع فانه يحترم المستخدم الصغير اكثر مما يحترم العالم الكبير ، ويطير الى تهنئته باقبال المنصب عليه وتعزيته عن ادباره عنه كأن الكوكب لا يدور الا في دائرة المناصب نحوساً وسعوداً . فاذا رأى الناشئ ذلك اكبر الوظيفة أيما اكبار ولجّ به[2] الحرص عليها واللصوق بها وكان سروره وحزنه على قدر قربها منه او بعدها عنه . فاذا وُفّق اليها لطم بأنفه قبة السماء وداس بنعله رأس الجوزاء ، وان يئس منها قتل نفسه وهو يتمثل بقول ذلك الشاعر الاحمق :

فإما الثريّا وإمّا الثرى

ايها الناشئ لقد جهل ابوك وغشك استاذك وخدعك هذا المجتمع الفاسد فكن احسن حالاً منهم واعلم ان شرف العلم اكبر من شرف المنصب وان المنصب ما كان شريفاً الا لأنّه حسنة من حسنات العلم وأثر من آثاره . فانه فاتك حظُّك منه فلا تحفِل بهِ فهو احقر من ان تشتد في اثره او تبذل حياتك حزناً عليه . ولا تحسد ارباب المناصب على مناصبهم فانما يخدعونك بزخرف من القول وظاهر من النعمة وبَهرج من الابتسام . ووراء ذلك لو علمت قلبٌ يقطر دماً ويضطرم لوعةً وأسىً

خذ لنفسك حظها من العلم والادب ولا تحفل بعد ذلك بشيء فقد ربحت كل شيء . . .

---

(١) ارعى عليه ابقى عليه وترحم (٢) تمادى

﴿ عبرة الدهر ﴾

« له ايضاً »

بنى احد الموسرين في روضة من رياض بساتينه الزاهرة قصراً فخماً يتلألأ في تلك البقعة الخضراء تلألؤ الكوكب المنير في القبّة الزرقاء ، ويطاول بشُرُفاته الشمّاء افلاك السماء كأنه نسر محلق في الفضاء او قُرط[1] معلق في أذن الجوزاء . ولم يدع ريشةً لمصوّر ولا ليقةً[2] لرسّام الا اجراها في سقوفه وجدرانه وطاقاته واركانه حتى ليُخيَّل الى الساكن بين أبهائه[3] وحُجراته انه يتنقل من روضة تزهر بالورود الحمراء والانوار البيضاء الى بادية تسنح فيها الذئاب الغبراء والنمور الرقطاء ومن ملعب تصيد فيه الظباء الاسود الى غاب تصيد فيه الاسود الظباء . وانشأ في كبرى ساحاتهِ واوسع باحاتهِ صهريجاً[4] من المرمر مستديراً يضمّ بين حاشيتيهِ فوّارة ينفر منها الماء صُعُداً كأنه سيف مجرَّد او سهم مسدد فخُيّل الى الرائي ان الارض تثأر لنفسها من السماء وتتقاضاها ما اراقت منها من الدماء . تلك تقاتلها بالرجوم[5] والشهب وهـذه تحاربها بالسهام والقُضب[6] .

وغرس حول دائرة الصهريج دوائر من شجراتٍ موتلفات ومختلفات واعصان صنوان[7] وغير صنوان اذا رنّحتها نسائم[8] الاسحار رقصت فوق بساط الازهار وتحت ظلال الاثمار فغنّت على رقصها الاطيار غناء الاغاريد لا غناء الاوتار. وادّخر فيـه لنعيمهِ ما شاء الله ان يدّخر من نضائد[9] ومقاعد ووسائد ومساند وفرْش وعرش وكِلَل وحَجل[10] وتماثيـل وتهاويل[11] وصحاف من ذهب

---

(١) حلي يعلّق في شحمة الاذن (٢) ليقة الدواة صوفتها ويتخذها الرسام ايضاً لجمع اخلاطه فيها (٣) جمع جو وهو البيت المقدّم امام البيوت (٤) حوض لجمع المـاء (٥) جمع رُجم وهو ما يظهر في السماء كأنه نجوم تتساقط (٦) السيوف (٧) مثنى صنو وهو احد الفروع التي تخرج من اصل واحـد (٨) النسيم يجمع على نِسام لا على نسائم (٩) وسائد اي مخدات (١٠) العرش خيمة من خشب يستظل بها . والكلل جمع كلّة وهي الستر الرقيق . والحجل جمع حجلة وهي ستر العروس في جوف البيت (١١) نقوش وصور

كالهب وأكواب من بلور كالنور واقفاص للحمائم والنسور ومقاصير للسباع والنمور وعربات وسيّارات وجيـاد صافنات[١] ووصائف وولائد[٢] تحيط بالمجالس والموائد بأعناق الخرائد . . .

في ليلة من ليـالي الشتاء حالكة الجلباب غُدافيّة الاهاب[٣] افاق صاحب القصر من غشيته فتحرك في سريره وفتح عينيه فلم يرَ امامه غير خادمه (بلال) ربّاه صغيراً وكفلهُ[٤] كبيراً وكان يجمع بين فضيلتي الذكاء والوفاء . فاشار اليه اشارة الوالد الملتهف ان يأتيه بجرعة ماء فجاءه بها فتساند على نفسه حتى شرب وكأن الماء قد حلّ عقدة لسانه فسأله في اي ساعة من ساعات الليل نحن يا بلال . فأجابه نحن في الهزيع[٥] الاخير يا سيدي . فقال : ألم تعُد سيدتك الى الآن . قال : لا . فامتعض امتعاضاً شديداً وزفر زفرةً كادت تخرق حجاب قلبه . ثم انشأ يتكلم كأنما يحدّث نفسه ويقول : انها تعلم اني مريض واني في حاجة الى من يسهر بجانبي ويتعهد امري ويرفّه عني[٦] بعض ما أعالجه . وليس بين سكان هذا القصر من هو أولى بي وأقوم[٧] عليّ منها . اين وفاؤها الذي كانت ترجمه وتُقسم بكل محرجة من الايمان[٨] عليه . اين حبها الذي كانت تهتف به في صباحها ومسائها وبكورها واصائلها[٩] . اين النعيم الذي كنت أقلبها بين اعطافه[١٠] والعيش الرغد الذي كنت أُرشفها[١١] كؤوسه . أأن علمت[١٢] اني اصبحت بين حياةٍ لا ارجوها وموتٍ لا اجد السبيل اليه بَرمت بي[١٣] واستثقلت واستبطأت أجلي واستطالت ضجعتي ، فهي تفرّ من وجهي كل ليلة الى حيث

---

(١) الجياد الخيول الكريمة والصافنات جمع صافنة وهي الفرس القائمة على ثلاث وطرف حافر الرابعة (٢) الوصائف الجواري والولائد كذلك (٣) اي جلدها كلون الغراب (٤) عاله وانفق عليه (٥) القسم (٦) تعهّده تفقده ورفّه عنه خفّف (٧) افعل تفضيل من قام عليه اذا صانه وتكفّل باموره (٨) الايمان جمع يمين وهي القسَم والحلف والمحرّجة هي اليمين التي تضيّق مجال الحالف (٩) جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى الغروب (١٠) جوانبه (١١) ارشف الماء ونحوه بالغ في مصهِ ولا يقال ارشفه الماء اي لا يتعدى الى مفعولين (١٢) اي لان علمت والمعنى أبسبب علمها (١٣) ضجرت منه

تجد لذات العيش ومواطن السرور . آه من العيش ما أطوله وآهٍ من الموت ما أثقله

وما زال يحدث نفسه بمثل هــذا الحديث حتى هاج ساكنه واضطربت اعصابه فعادتهُ الحمّى وغلى رأسه بنارها غليان القِدر بمائها ، فسقط على فراشه ساعةً تجرع فيها من كأس الموت جُرَعاً مريرة بيدَ أنه لشقائه لم يأتِ على الجُرعة الاخيرة منها

افاق من غشيته مرة ثانيــة فلم يرَ بجانبه تلك التي[1] تسيل نفسه حسرات عليها . فسأل الخادم ألم تعلم اين ذهبت سيدتك يا بلال ؟ فقال : خيرٌ لك ان لا تنظرها يا مولاي وأن لا تلومها في بعدها عنك ، فان لها عند بعض الناس ديناً فهي تخرج كل ليلة لتتقاضاه[2] . قال : ما عرفت قبل اليوم أن بينها وبين احد من الناس شيئاً من ذلك . ومتى كان يتقاضى الدائن دينه في مثل هذه الساعة من الليل . وهل أعياها[3] ان تجد من يقوم لها بذلك فهي تتولاه بنفسها . وهلا فرغت من امر دينها بعد اختلافها[4] اليه سنةً كاملة . قال : إن بينها وبــين غريمها[5] صكّاً مكتوباً أن يؤدّي ما عليه من الدين اقساطاً كل ليلة قسطٌ على أن تتناوله بيدها وان تكون مواعيد الوفاء أُخريات الليل . قال : ما سمعت في حياتي بأغربَ من هذا الدين ولا أعجبَ من هذا الصك ، ومن هو غريمها . قال : أنت يا سيدي . فنظر اليه نظرة الحائر المشدوه[6] وقال : اني اكاد اجنّ لغرابة ما اسمع واحسَبُ أنك هاذٍ[7] فيما تقول او هازئ . فدنا منــه الخادم وقال : والله يا سيدي ما هزأت في حياتي ولا هذَيت . ألا تذكر تلك الليالي الطوال التي كنت تقضيها خارج المنزل بين شهوة تطلبها وكأس تشربها وملاعب تجرّر فيها اذيالك ومراقص تهتك فيها اموالك تاركاً زوجتك في هذه الغرفة على هذا السرير تشكو الوحشة وتبكي الوحدة وتتقلّب على احر من الجمر شوقاً

---

(١) يريد بها امرأته (٢) تستوفيه (٣) اعجزها (٤) ترددها (٥) مديونها
(٦) المدهوش (٧) من هذا الرجل اذا تكلم بغير معقول لمرض او غيره

اليك وحزناً عليك ، فلا تعود اليها الا اذا شاب غراب الليـل[1] وطار نسر الصباح . . إنك سلبتها تلك الليالي السالفة فاصبحتَ غريمها فيها ، فهي تستردها منك اليوم ليلةً ليلة حتى تأتي[2] عليها . ذلك هو دَينها وهذا هو غريمها

قال : حسبُك يا بلال فقد بلغتَ مني وإنَّ لي من الحاضر ما يَشغلني عن الماضي . فادعُ لي ولدي . قال : لم يعُد يا سيدي من الوجه[3] الذي بعثته فيه حتى الآن قال : لا اذكر أني بعثته في وجه ما ، واين ذهب . قال : ذهب الى الحانة التي يختلف اليها وان يرجع منها حتى يرتوي من الشراب وان يرتويَ منه حتى يعجز عن الرجوع . . إنني طالما وقفت بين يديك يا مولاي ضارعاً اليك ان تحول بينه وبين خُلطاء السوء[4] وعُشراء الشر حتى لا يفسدوه عليك ، فكنت تعرض عني إعراضَ من يرى أنَّ تدليل الولد وترفيهه[5] وإرخاء العنان له عنوان من عناوين العظمة ومظهر من مظاهر الأبّهة والجلال . كنت اسألك ان تعلّمه العلم وأن تَهديه الى طريق المدرسة ليضلّ عن طريق الحانة فكنت ترى أنـه انما يحتاج الى العلم مَن يرتزق به وأنَّ ولدك عن ذلك من الاغنياء . فلا تشكُ من عمل يديك ولا تبك من جناية نفسك عليك . فانت الذي ارسلته الى الحانة وانت الذي أبقيته فيها الى مثل هذه الساعة وانت الذي ابعدتـه عن فراشك احوجَ ما كنتَ اليه[6]

وما وصل الخادم من حديثه الى هذا الحد حتى نصل الليـل من خضابه[7] واشتعل المبيضُ من مسودّه واذا صوت الناعورة يرنّ في بستان القصر رنين الثكلى فقدت واحدها فقال السيد : هاتِ يدك يا بلال وخذ بيدي الى النافذة لاروح عن نفسي بعض ما ألمّ بها وأودّع الى جانبها نسمات الحياة . ثم اعتمد على

---

(١) كناية عن الفجر وكذلك الجملة التابعة (٢) اتى اليه بلغ اخره (٣) الجهة
(٤) اي عشراء الشر (٥) رفّهه جعله مترفهاً اي لين العيش (٦) اي في اشد الحاجة اليه
(٧) نصل الشعر زال عنه الخضاب وهو ما يتلون به الشعر ويُعرف عند العامـة (بصبغة الشعر) . والعبارة كناية عن الفجر وهي بمعنى العبارة التي تليها

يده حتى وصل الى النافذة فجلس على كرسي مستطيل والقى على البستان نظرة فرأى البستاني والبستانية جالسين الى الناعورة وقد برقت بوارق العادة من خلال اثوابهما البالية بريقَ الكواكب المنيرة من خلال السحب المتقطعة . رآهما متحابين متعاطفين لا يتعاتبان ولا يتشاحنان[1] ولا يشكوان هماً ولا يندبان حظاً . رآهما قويّين نشيطين يجري دمهما في عروقهما صافياً رائقاً . رآهما راضيين بما قسم الله لهما من خشونة الملبس وخشونة المطعم ، فلا يتشهيان ولا يتمنيان ولا ينظران الى ذلك القصر الشامخ المُطلّ عليهما نظرات الهم والحسرة . سمعهما يتحادثان فأصغى اليهما فاذا البستاني يقول لزوجه : والله لو وُهب لي هذا القصر برياضه وبساتينه على ان تكون لي تلك الزوجة الخائنة الغادرة لفضّلت ان اعيش على صخرة في منقطع العمران على البقاء في مثل هذا المكان أُقاسي تلك الهموم والاحزان . قالت البستانية : لا احسب ان سيدنا ينجو من خطر هذا المرض فقد مرّ به على حاله تلك عامٌ كامل وهو يزداد كل يوم ضعفاً ونحولاً . قال : قد علمت ان الطبيب قد نفض يده من الرجاء فيه[2] واضمر اليأس منه ولا عجب في ذلك فانه ما زال يسرف على نفسه ويذهب بها المذاهب كلها حتى قتلها . قالت : ما أشقاه أكانت نفسه عدوّة اليه فجنى عليها هذا الشقاء وذلك البلاء . قال : ما كان عدوّاً لنفسه ولا كانت نفسه عدوّةً اليه ولكنه كان جاهلاً مغروراً غرّهُ شبابُهُ ومالهُ وعزّه وجاهُه فظنّ أنه قد أخذ على الدهر عهداً بالسلامة والبقاء ، فانطلق في سبيله لا يلوي على شيء مما وراءه حتى سقط في الحفرة التي احتفرها لنفسه . فما سمع السيد هذه الكلمات حتى اضطرب اضطراباً شديداً وسقط عن كرسيه وهو يقول : اشهد اني من الاشقياء . وما زال في غشيته تلك حتى صحا صحوة الموت وفتح عينيه فرأى وليّ عهده يأمر في القصر وينهي ويتصرف تصرُّف السيد المطاع ورأى نفسه يعالج سكرات الموت ويُعدّ عُدّته للانتقال من القصر الى القبر . وهنا سمع كأن هاتفاً يهتف به من السماء ويقول :

---

(١) يتنازعان (٢) كناية عن اليأس من شفائه

ايها الرجل لو وفيتَ لزوجتك لوَفَت لك ولو ادَّبت ولدك لعناهُ امرك . ولو رحمت نفسك ما خسرت حياتــك . فأغمض عينيه وهو يقول : فلتكن مشيئة الله .
وهكذا فارق هذا المسكين حياته مفجوعاً بزوجه وولدهِ وبستانه وقصره

ايهما الأفعل في ترقية الامم
الفرد ام المجموع(١)

« للاستاذ يوسف العيسى »

سيداتي وسادتي ،

ان الموضوع الذي تدور حوله المناظرة ارتبط وجهاه السلبي والايجابي فصار يصعب نوعاً ما التفريق بينهما والتنــاظر فيهما . فما الفرد الا من مجموع ومـــا المجموع الا حلقة افراد ، كما انه لا دجاجة الا من بيض ، ولا بيض الا من دجاج

ولكن البحث طلي على كل حال ، فيه للحوار مجال ، وباب الاجتهاد معه مفتوح لمن اراد فلنلج اذاً بابه ولنخض عبابه ، ولكن على السمع لا على العيان لانه يخيل لي ان الفرد والمجموع الحقيقيين عندنا مفقودان ، وكما في سوريا كذلك في لبنان ، وما انا ومناظري القدير ، الا كما قال ذلك الشاعر الضرير

نهوى بجارحــة السماع ولا نرى ذات المسمى

***

أقول اذن ان المجموع افضل من الفرد في ترقية الامة . وابدأ لاثبات قولي بنظرية بسيطة وهي ان الفرد هالك والمجموع خالد . والفرد اذا هلك لا يورث مواهبَه كما يورث امواله فيذهب اذنْ معه ذكاؤه ونبوغه . على خلاف الامر مع المجموع الذي يكون كحلقة مفرغة لا يعرف اين طرفاها ، او كوعـــاء ذي انابيب عديدة تصب فيه فلا تعرف الماء الخارج منه من اي انبوب جاء

---

(١) هنا يعزز الخطيب الرأي الثاني

هذه نظرية بسيطة كما قلت فاسمحوا لي ان اتوسع بها راجياً ان تتكرموا بمتابعة ما سأقول بانتباه

من المسلم به ان الدماغ الانساني لا ينضج دفعة واحدة بل هو يتطور مع العمر ويزداد نمواً مع السنين . ورجال العلم والاكتشاف والاختراع لم ينزل عليهم العلم والاكتشاف والاختراع وحياً كاملاً ودفعة واحدة، بل كانوا يزيدون علمهم في كل سنة تحسيناً كلما زاد دماغهم نضجاً ، وكلما اضافوا حلقة على عمرهم اضافوا حلقة جديدة على سلسلة بدائعهم . خذوا لكم العالم باستور مثلاً فهو لم يتمكن من اكتشاف مصل الصرع الا بعد ان جاز الاربعين . ثم تابع اكتشافاته النافعة سنة بعد سنة ، وجعل يعلو سلم الخلق والايجاد درجة بعد درجة . فلما صار في الخمسين زادت اختراعاته تحسيناً ، وبعد الستين اوجد غيرها الى ان هلك فهلك معه ذلك الدماغ الذي بقي اكثر من ستين سنة ينمو ويتقوى حتى وصل الى ما وصل اليه . وهو لو عاش حتى التسعين او المئة والخمسين من عمره لزاد كمالاً على كماله ونمواً على نموه وبناء على بناء واختراعات متواصلة فوق اختراعاته ، بل ربما وصل الحال معه الى درجة المعجزات والعجائب . ولكنه هلك كما قلنا في اجله فهلك معه في ذلك اليوم كل عمله كما قال داود النبي والملك

فلو فرضنا المستحيل سيداتي وسادتي وانتقل دماغ باستور يوم وفاته بمنتهى نضجه وبجميع مميزاته وكما وجد في آخر دقيقة من حياته ، لو انتقل هذا الدماغ الى رأس شاب في الخامسة والعشرين من عمره ، امامه متسع من الحياة يمكنه من ان يزيد على ما في ذلك الدماغ الكامل الذي هو نتاج ستين سنة من جهود ونبوغ ، لو انتقل دماغ باستور الى هذا الشاب وعاش هذا الشاب خمسين سنة اخرى ، الا يكون الامر كأن باستور اضاف الى عمره خمسين سنة اخرى يستطيع ان يخلق فيها كمالاً فوق الكمال الذي كان عليه يوم مات ؟ ويكون الامر ايضاً كأن ذلك الدماغ العجيب الذي انطفأ بنفخة واحدة مواصل الرقي والتطور والاختراع والاستنباط وخدمة الانسانية ؟ ولكن ذلك مستحيل

يا سادتي لان الفرد مهما كان عظيم الدماغ يأخذ دماغه معه . ولا يستطيع توريثه الى غيره كما يورث ماله . نعم انه يترك آثاراً جليلة على صفحات الكتب او في عالم العلم من ثمرات دماغه، ولكنها ليست القوة الحية الجبارة التي كانت تولد في ذلك الدماغ والتي ذهبت بذهابه . هذا هو الفرد الراقي يا سادتي وهذا حد نفعه لامته . واما المجموع الراقي فهو لا يموت ولا يتوقف سيل دماغه بل يدوم كما قال الشاعر « اذا مات منا سيد قام سيد » . ولهذا رأينا الاسكندر المكدوني يهلك فيقضي قواده على ملكه وتذل امته بعده لانه الفرد ورأينا الرومان لا يشعرون بذهاب عظمائهم ونوابغهم بل يتابعون بناء مجدهم على عاتق العصور والاجيال لانهم (مجموع)

أذكر كلمة للكاتب الاخلاقي (اميل فاغه) تساعد الجمهور الكريم على الوقوف الى جانبي في هذه المناظرة فانه قال مرة لاحد الخطباء : انك لا تضمن تأثيرك في المجموع، الا اذا شعر هذا المجموع، وادرك ما فيك من تفوق؟ وانا اقول لمناظري الكريم : استثن من مليارات البشر الذين تتابعوا على هذه البسيطة من عهد آدم جد البشر حتى اليوم، استثن منهم واضعي الديانات، سماوية كانت ام ارضية، وقل لي بعد ذلك من من الافراد الافذاذ استطاع ان يخلد عمله بعد انقضاء اجله، اذا كان المجموع منحطاً؟ الم يكن سقراط احد افراد المجموع اليوناني فاماته بالسم؟ الم يكن غاليله احد افراد المجموع الايطالي فحكم عليه بالحرق؟ الم يكن مدحت باشا احد افراد المجموع التركي فاماته في منفى الطائف . فلو كان المجموع راقياً حول اولئك الافذاذ لما احتاج العالم مئات السنين ليصل الى درجة الرقي التي وصل اليها اليوم، بل لما كان انتظر الثورة الفرنسية التي قلبت اوضاع العالم وازالت العثرات من طريق الافراد المصلحين ! والثورة الفرنسية كما تعرفون هي عمل المجموع لا عمل الفرد . فلو لم يكن المجموع مستعداً لقبول مبادئها لكان اصاب اصحابها ما اصاب سقراط وغاليله ومدحت باشا ابا الاحرار

وبمناسبة ذكر الثورة ليسمح لي الجمهور الكريم ان اذكره بالثورة الانكليزية التي سبقت الثورة الفرنسية باكثر من مئة وخمسين سنة، فهي لم تثبت رغم تفوق الفرد الذي خلقها واوجدها وهو (كرومويل) . ذلك لان المجموع عصرئذٍ كان غير اهل لها ، فاهلكها بعد موت الفرد الذي اوجدها . ويوم ترقى المجموع البريطاني لم يحتج لثورة يقضي بها على الفرد اعني الملك بل ابقى هذا الملك كأثر من الآثار القديمة وجعله يتبع الرقي الذي يريده المجموع والامة الانكليزية اليوم خير مثال لاستطاعة المجموع على عمل ما لا يستطيعه الفرد

قرأت مؤخراً عن جريدة في انكلترا يدعونها الجريدة الجبارة وهي (الدالي مايل) . قرأت ان صاحب هذه الجريدة استطاع ان يوصلها الى مرتفع تحيرت فيه العقول . فان موظفيها يعدون (٢٧٥٥) موظفاً . ولها جهاز لاسلكي خاص ينقل اليها من قبل مراسليها اخبار العالم اجمع في دقائق معدودة وعندها ١٢ آلة طابعة كل آلة تطبع في الساعة ٦٠ الف نسخة معدودة ومطوية ومرتبة . ويكلفها قلم التحرير ١٦٠ الف جنيه كل شهر عدا اربعة آلاف جنيه ترسل شهرياً لمرتبات المراسلين في الخارج ولها اربعون محاسباً لضبط دخلها وخرجها ويرد عليها كل يوم خمسة آلاف رسالة الى آخر ما هنالك من المدهشات . . . هذا ما استطاعه (الفرد) صاحب جريدة (الدالي مايل) في انكلترا ولكن هذا لا يعد شيئاً الى جانب ما استطاعه المجموع هناك . واذا سألتموني ماذا استطاع الجمهور يا ترى ؟ قلت لكم ان المجموع استطاع ان يبتاع من هذه الجريدة مليوني نسخة في كل يوم ؟ فالمجموع الانكليزي اذن هو الذي يستطيع ان يجعل الفرد فرداً ممتازاً ، ولو ان (الفرد) صاحب الدالي مايل يملأ جريدته يومياً من الآي الحكيم او الوحي القديم لما كانت قامت لها قائمة بدون المجموع اعني المليونين من القراء

وقف القديس يوحنا الملقب بالفم الذهبي وهو من فلاسفة الدهر الذين فتحت لهم الطبيعة كتابها ، وامدهم دماغهم الكبير بنور ينفذ الى بواطن القلب

البشري ، فيكشف ما يجهد في ستره اصحابه . ووقف لم الذهب هذا مرة خطيباً وقال : قد وجدت اناساً يزهدون بالمال ، ووجدت اناساً يزهدون بالنساء ولكنني لم اجد فرداً واحداً يزهد بالشهرة والمجد . وهذه حقيقة ملموسة يا سادتي ، فانه ما اظلّت السماء ولا اقلت الخضراء منذ وجود هذا الانسان ، فرداً واحداً يكره الشهرة والمجد حتى ولو كان راهباً في صومعته ارتدى الاطمار البالية ، وعاش على الخبز والماء ، وتراءت له الدنيا كجناح بعوضة ، فهو اذا انتشرت اخبار قداسته وطارت شهرته الى الاقطار لا بد من وجود ناحية صغيرة في زاوية من زوايا قلبه تشعر بشيء من اللذة كلما زاد الدوي حول اسمه هذا الشيء لا اعرف كيف اسميه ولا استطيع ان اجد له نعتاً يصوره لكم ، ولكنني استمين في هذا السبيل بالفيلسوف الاخلاقي (لاروشفوكلد) واذكر لكم كلمة من كلمة ربما تساعدكم على تفسير هذا اللغز . فقد قال هذا الفيلسوف هكذا : انك تشاهد رجلاً في اقصى درجات الحزن يسكب العبرات ويصعد التأوهات امام نعش اب او اخ او زوجة او ولد ، هو كل سعادته في هذه الحياة ويكاد اليأس يحمله على قتل نفسه ، ولا تصنّع في ذلك ولا مغالاة ، بل هي الحقيقة في تلك النفس المتألمة المنكودة الحظ التي تعلم ان الحياة بعد فقيدها عدت ظلاماً وشقاء . ولكنك لو دخلت الى قلبه تجد شيئاً صغيراً ربما لا يشعر هو به وهذا الشيء الصغير تجد فيه نوعاً من السرور والاغتباط في وسط ذلك النوح والبكاء ، هذا الشيء الصغير هو الانانية التي تبسم قليلاً في وسط غيوم الاحزان لان الموت تجنبها والبلاء تخطاها . فهذا الشيء الصغير هو الذي تجده في قلب الزاهد الناسك يبسم قليلاً رغماً عن صاحبه كلما زادت شهرة قداسته . وهذا الشيء اذا تساهلنا وقلنا عنه انه صغير في قلوب النساك والزهاد ، فهو ولا جدال كبير عظيم في قلوب النوابغ من علماء وسياسيين وملوك واراكنة وزعماء وفلاسفة

اما وقد عُلم هذا فكيف يريد مناظري الكريم اقناعي بان الفرد افضل من المجموع في ترقية الامة ورقي الامم لا تتم اسبابه الا بالاخلاص ، ولا تبنى

دعائمه الا على التجرد التام، ولا تقوم جدرانه الا بتضحية المصلحة الخاصة . فكيف يؤمل من هذا الفرد النابغ ان يفيد امته ويقرن حب المجد لنفسه بخدمة المصلحة العامة لامته، وطلب الشهرة لشخصه بالاعمال العظيمة التي يقوم بها . ان رقياً مثل هذا لا تثبت اثاره ولا تدوم معالمه لانه مبني على انانية الفرد، واما المجموع فلا انانية عنده ولا هو مما تصح معه الانانية، فطلب الشهرة والمجد لا يستهويه واذا طلبهما يطلبهما لامته، ولهذا كان الشاعر ميسترال يقول : اعمال الافراد لا تدوم لانها تشبه المد، والمد يتبعه الجزر عادة، ناهيك عن ان الفرد مهما اعترف له محيطه بتفوقه على جميع ابناء امته لا بد من وجود اناس في هذا المحيط يعملون سراً على محاربة اعماله الاصلاحية ويؤخرون نتائج الرقي الذي يرمي اليه، على خلاف الامر مع المجموع فهو ينهض متعاقداً متضافراً لا ميزة لواحد على الآخر فلا تحاسد ولا تباغض ولا عراقيل توقف سير العمل الاصلاحي المشتركة فيه أيد كثيرة

ربما خطر لمناظري الكريم ان يدعم نظريته القائلة بافضلية الفرد على المجموع في رقي الامة بذكر ميسوليني الايطالي ومصطفى كمال التركي، فانا اذكر له قبالتهما ده ريفيرا الاسباني وامان الله الافغاني . والاربعة كلهم عائشون وحوادثهم حديث الناس في هذه الايام

فلو خالفت نظريتي وقلت مع مناظري ان عمل هؤلاء الافراد الاربعة سيدوم خالداً في اممهم — وهو ما لا اشك فيه — الا تقرون معي ايها السادة ان ما استطاعه ميسوليني في ايطاليا لم يستطعه ده ريفيرا في اسبانيا، وما تمكن من اجرائه مصطفى كمال في تركيا، لم يتمكن من اجرائه امان الله في بلاد الافغان ؟ ذلك لان الاثنين الاولين قاما على اكتاف مجموع راق كان يحيط بهما، فالفاشيست ظاهروا ميسوليني في ايطاليا، وقواد الجيش دعموا مصطفى كمال في تركيا . واما (الفرد) ده ريفيرا فله كل يوم ثورة في اسبانيا والفرد امان الله قد تكاتفت على مقاومته جميع عناصر امته وهو الآن في دار غربته

هؤلاء الاربعة الذين ذكرناهم هم مثال الفرد السياسي المستبد العادل الذي يساعد نبوغه وقوته وبطشه ومركزه المتين الممتاز، على ادخال الرقي على امته رغماً عنها . ومناظرتنا هذه تدور على الاغلب حول هذا النوع من الفرد، والا لو توسعنا في كلمة « فرد » واطلقناها على النابغ والعالم والفيلسوف والمرشد والمخترع والمكتشف لما صح معنا القياس — اني عالجت الموضوع من جهاته السياسية والادارية والعلمية واهملت الجهة الاقتصادية فيه . ذلك لاني اعتقد ان مناظري الكريم يسلم معي في ان الفرد لا يعد شيئاً مذكوراً في باب الاقتصاد اذا قيس بالمجموع فما ساد الغربيون العالم الا بفضل الشركات وما بقينا نحن عالة على الامم الا لان كل فرد منا يعد نفسه امةً !

الكهول والشباب

« لولي الدين يكن »

عصرنا عصر الشباب . دالت دولة الكهول ومضت تتعثر باذيال جدودها المولية . فويل للعابد في صومعته وويل للواعظ في بهرة خلقته . وبعد فما هنالك الّا كما قال ابن بحر : شق مائل ولعاب سائل . وهذا اوان التجديد . لكل سؤدد فيه سبيل : السابحات في البحار والمحلقات في السماء . وناقلات الاصوات بين متباعدات الفجاج . فمن كان له فوق هامات النجوم مطاب سما اليه ومن كان له تحت مركز الارض مرام هبط عليه . اهلاً بك يا أبا العشرين ومبتدأ الحق ومستهل المجد

قال لي قائل : كل هذه زخارف باطلة تأتي فتستضحك وتولي فتستبكي، ولقد كنا اسعد منكم حالاً وأهدأ بالاً . كان يخرج الواحد منا في جماعة من اصحابه ، يتقدمهم الخدم ، بأيديهم الفوانيس وفي يده عصاهُ مذهبة القبضة مفضضة الكعب كأنها قضيب الملك فيغشى دار صاحب له ، رحبة القاعات ، على حيطانها التصاوير وامامهم فوّارة يرى ماؤها كرمح من البلور . فاذا جلس

في صحبه جيء له بالشبكات مملوءة من التبغ بكل زكي الرائحة كالعنبر . فمن صوري ومن كوراني ومن جبلي . وتدار عليهم القهوة في اباريق من الفضة وطاسات مثلها ممزوجة عنبراً . يوقد لهم العود فيفوح عبيره وتعبق به جسومهم كذا يقضون اوقاتهم مستمعين سير الاولين ممن اتقوا وعملوا صالحاً . وانتم يا ابناء الجدة ما تصنعون ؟ تتوافدون الى الحانات والنوادي فتنغمسون في الملاهي وتذهلون عن مشاغلكم بلذاتكم وتفخرون بعد ذلك علينا بهذه الجبال الحديدية التي تدب فوق ارضكم وتهز اركان بيوتكم . تحسبونها تغنيكم وان تغنيكم شيئاً

قلت : على رسلك ايها الشيخ . انت تنظر ولا ترى . كنت احسبك في بعدك اعقل منك في قربك . فأي فخر تريد ان تجاذبنا طرفيه واي مجد سبقتنا في لذاتك اليه وقصرنا عن مباراتكم فيه ؟ تلك المجالس التي حفلت بكم اخلت امثالنا من ورثتكم . فلا تلومونا ولا نلمكم . كل عصر له دولته ورجاله . فان ساءتكم هذه الركائب الحديدية فما زالت العيش تستولد . وان راعكم ما ترون من زخرف فما خلق الله الجفون الا لتغمض دون ما تكره وتفتح لما تحب . ونحن وان كثرت في قلوبنا شواغلها لا نزال نطلب لكم من الحياة المزيد ومن السعد المستمر . ولكنكم تنظرون ما لنا فتودون لو يكون لكم وتحسبون ما بكم فتتمنون لو يصبح بنا وفي التمني من البطل ما ينسي فضل تسليته الحزين

هذا ما بيننا وبين اهل القرون الاولى وان انا الّا من تابعيهم فاذا لم يكن ابن الستين كهلًا يكون ماذا ؟ غير اني من اوائل من فتحوا باب الجدة لاهل النشأة المحدثة . فسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حياً

هاتوا رجلًا ممن سكنوا البادية واجعلوه في قصر الاليزه ودعوه حتى يسكن روعه وتثوب اليه نفسه ثم سلوه ماذا يرى . ثقوا انه لا يجد من الدعة ما يجد في بيت من الشعر . فاذا دنت منه احدى عقائل باريس في حسن منظرها وكأنها

الطيف لطفاً والامل بهجةً قال لها انت فداء سليمى في برقعها وفي خمارهـا تجرد نصيفها وتتهادى في دمالجها وخلاخلها واساورها

للنعيم قلوب وللشظف قلوب وليس للحسن شكل معروف ولا هيأة خاصة ولا حال مستقلة به لكل ذوق حسن ولكل حسن ذوق . وانما اريد ان آتي في هذه السطور بعبرة احب ان يحتفظ بهـا من اعتبر . فان من اشد الظلم ان يتحكم الوالد في ابنه وان يربيه على قديم زمانه ويأبى ان يجهزه لجديده وقد فاته انه يظلم ابنه ويظلم من خلق ليعاشرهم . والاخلاق والعادات كالملابس والازياء . فاذا سمح بابن العصر الجديد ان يرتدي اردية اهل الوبر فكيف يجمل به ان يعيش بعقولهم

كان لي صديق استحدثه في احـدى ولايات الاناضول خلق ذكياً وترك لذكائه الذي خلق معه فلم يزد عليه شيئاً . كان اذا وصفت له عواصم اوربا كلندن وباريس ونيويورك وبرلين وغيرها وذكر لديه مـا بها من معجزات الحضارة وعجائبها فترت نواجذه ضحكاً وظنَّ ما قيل له مبالغة وغلوا . وطالما ردَّ على من يخبرونه بتلك الاخبار بانها مخترعة لا حقيقة لها ولا اثر . وكان اصديقي هذا ولد هو اكبر اولاده يحبه ويدلله . ولقد ادى به فرط الدلال الى ترك المدرسة فذهب الى احدى دوائر الحكومة وطلب قبوله فيها ريثما يتعود اعمالها . فقبلوه . ولما اتصل ذلك بأبيه طابت له نفسه وقرت عينه وجاء يسألني رأيي في ذلك

فقلت له : ابنك اساء وانت جاريته فيما اساء

قال : ولم ذلك ، والآن لا اخاف عليه الحاجة وما امامه الا سلم الارتقاء يقطع درجاته ولا يلبث ان يصبح من الوزراء او الامراء . ولنا اراض كثيرة جم خصبها غزير ماؤها . غداً تفيض خيراتها عليه وعلى اخوته

قلت : هذا لا يركن اليه . ولبيت من ورق اللعب أحكم منه أساً وابقى على مر الحدثان . وقلت الثراء والجاه وكل شيء ، في ساعة يقضيها امام الاستاذ

-٣-

قال : ها انت موجود . علّمه اللغة العربية وحفظه اخبـــار الاوائل وروّه الشعر وهذا يكفيه

قلت : كيف تريد ان يتعلم العربية بعد هذا العمر وانا لا ادّعي العلم بها وقد تجاوزت الستين ! ؟ وهب انه فاق فيهــا الاوائل والاواخر أيكون ذلك مغنياً له عن سواه ؟ روّض بالعلوم العصرية نفسه وذوّقه طعم الحضارة ومل به عن هذه العادات والنحل . فأصر الوالد على عناده وترك ولده وشأنه . فكان يمشي في المدينة حاملاً مسدسه ، معوجاً طربوشه مشيراً بذراعيه

فلما نال العثمانيون الدستور وذهب زمان الاستبداد . قابل جماعة من رجال الامن ابن ذلك الصديق ليلاً وهو يتمايل سكراً فارادوا اخذه الى منزل ابيه ، فأجابهم برميات من مسدسه جرحت احد اولئك الرجال وكادت تذهب بحياته . فأخذ الى السجن قسراً ولم يرضَ ان يؤخــذ الى دار ابيه طوعاً . وانطلق ابوه يرجو النـــاس ان يفكوا له ابنه من وثاقه فلم يجد الرجاء . فلما استوفى مدته خرج صاغراً ممتهناً . فتوعد اباه بالقتل ان لم يعطه مــا يريد من المال وبقي ابوه في بيته لا يوطأ له بساط ولا يقرع باب ، ولقد رآه بعض الناس ذات يوم ماشياً على قدميه وفي يده عريضة يطلب فيها الى الحكومة ان تقيله من بعض مــا لها عليه من المال . فقال له من التقى به

— اين العربة يا سعادة الامير . كيف يخرج مثلك ماشياً في هــذا الوحل تحت هذه الامطار

— العربة باعهــا ابني ورهن ضياعي وهرب وتركني لا ادري اياً عصفت به الرياح

مفاخر المرأة في هذه الحرب

« لامين البستاني المحامي »

تناولت القلم في هذا الصباح وقد تنازعه عاملان للكتابة اولها مشروع توحيد القوانين المصرية وثانيها بيان مفاخر المرأة في الحرب الحاضرة تغلب عليَّ ثانيها فأجلت اولها للمرة الآتية . نعم وجب التحدُّث بما صنعته المرأة في هذه الحرب العبوس حتى لقد تجاوز المأمول والمنتظر ، إذ لم يكفها ان تقوم بكل ما يُطلب من نوعها بل تعدَّته اشواطاً[1] بعيدة واخذت على نفسها اموراً كثيرة هي من شؤون الرجل . ولو دُعيت الى حمل السلاح واقتحام غمرات[2] الموت لفعلت . وقد بلغ بها حبّ الوطن حدًّا كادت تنسى معه حبَّ اهلها وتسلوهم . ولا ريب ولا مشاحة[3] ان المدنية الراقية هي التي انشأت فيها هذه العاطفات الكريمة لان الجهل عقيم لا يُنتج مثل هذه السجايا والغرائز[4] . ودليلنا على ذلك هو ان قدرها يتفاوت بقدر الفروق التي بين مدنيات الممالك التي هي منها . بينا نرى المرأة في امة راقية قد ساوت الرجل في العمل نراها في مملكة أخرى على حال ادنى واوضع من تلك حتى لم يصل الى مسامعنا شيء عنها كأنما هي من الجوامد لا من الاحياء.

ولا بدَّ ان تُكسب الحرب نساء الممالك الراقية حقوقاً جديدة عند دُوَلهنَّ . ولا اخال مملكة حرَّة تردّ المرأة بعد اليوم عن كل حقّ جائز تطلبه ولها اقتدارٌ عليه حتى الحقوق النيابية . وقد كان فخر المرأة من قبل هو ان تتشبَّه بالرجل في عظائم الامور وجلائلها ، فاصبحت اليوم وقد حقّ على كثير من الرجال الذين قعدوا عن معالي الامور والمساعي المشكورة ان يتشبَّهوا بها . وان من تمام سعد الانسانية ان تُقاسمَ المرأةُ الرجلَ العملَ في عامة الامور لان اليدَين اقوى من

---

(١) جمع شوط وهو الغاية التي يجري اليها المتسابقون (٢) شدَّات (٣) اي لا نزاع ولا جدال (٤) جمع غريزة وهي الطبيعة من خير او شر

اليد الفردة - ولا غروَ ان تُحدث هذه الحرب نتائج من الخير تجبرُ الضرر الذي نشأ عنها وترجح كثيرًا عليه . وهذا البحث يقتضي من وجوهه الجليلة اسفارًا ضخمة تتعاقب بين وقت وآخر على الكُتّاب والمؤلفين ، ويكون ارتفاع النوع اللطيف في مجالس الامم من اطيب ثمرات الحرب واشهاها . . .

وليس من مذهبي ان ضعف المرأة عن الرجل وارد من حكم الطبيعة او حكمتها على اطلاق القول . فان الطبيعة أعدلُ من ان تجور على المرأة الى هذا الحد ، وهي قسيمة الرجل في الدنيا وشريكه في هذه الحياة . وانما التفاوت حاصل عن ان دور المرأة في الحياة قد حُدّد بحدود منزلها لا تتجاوزه . فاذا وُجد الرجل اوسع خطىً ونظره في الامور ابعد مدًى فذاك لان دورَه الأعظم في معترك الحياة سما به ووسّع المدارك عليه . وبعبارة اخرى ان الرجل استعمل كل ما وهبته الطبيعة من القوى العاقلة الى اقصى مرام رامه ، خلافًا للمرأة التي لم يتّسع لها العمل إلا على قدر ما تحتاج اليه في تدبير بيتها من الفكر والرأي . فسرّ الفرق بينهما هو ان الرجل عمل بما أُعطيه والمرأة لم تعمل الا بشيء منه . فقوي هو وضعفت هي ، ولو توازنا [١] في مشاكل هذه الدنيا عملًا وفكرًا لتساويا عقلًا ومقدرةً . ففضل الرجل على المرأة عائد اذًا الى فضل الاشتغال والتقلّب في أدوار الحياة وأحداثها وخطوبها مما اكسبه هذا التقدم عليها . وليس بين ايدينا دليل قاطع على ان المرأة لم تكن معادلة للرجل او مساويةً له في الزمن الاول من النشوء الانساني اي قبل ان تمدّن الانسان وتحضّر [٢] واستقلّ الرجل بدوره الاعظم . هذا رأي جاوُته [٣] لا اقصد به غضاضةً [٤] من قدر نوعي ولا تملقًا للنوع اللطيف وقد فات عهد التملق

وبقي عليّ في هذه المقالة التي كتبتها عن المقالة كلمة اقتضتها سنّةُ العدل وهي ان اخص النساء الفرنسويات بالشكر والثناء على ما صنعن من الطيبات

---

(١) تعادلا وتساويا (٢) اقام بالحضَر اي بالمدن وهو خلاف البدو (٣) كشفتهُ
(٤) غضٌّ منه نقص من قدره

لامتهن في شدائد الحرب الاوربية مما فُقنَ به غيرهنّ من نساء العالم. فكم سهونَ على منكوبي الحرب وجرحاها وأيتامها، وكم احتملن من المكاره في خدمة دولتهنّ حتى عند خطوط النار وفي مواقف القتال. وعندنا مثال لهن في هذه الديار حضرة مدام دي فرانس قرينة جناب الوزير الحكيم المسيو ألبر دي فرانس معتمد الجمهورية الفرنسوية. فقد وجب التنويه(1) بحضرتها لكثرة ما سعت في مصلحة امّتها وما تفنّنت في اساليب الاكتتابات الخيرية حتى جمعت الوفاً من الدنانير لجرحى الحرب ومرزوئيها(2). وحقٌّ عليَّ كذلك وان كنت سوريًّا أن أنوّه بالسيدات السوريات واوانسهنّ في مصر، لما صنعن من الخدمات في هذه الحرب للجرحى والمعدمين(3) ولِما اطعمنَ وكسونَ من فقير ويتيم... وآخر ما يُذكر من حسناتهن إعانة المهاجرين ونجدتهم في اوقاتهم العسيرة حتى جذبنَ اليهنّ التفات حضرة صاحبة العظمة السلطانة، فأجزلت لهنّ العطاء. وجرت في كرمها على خطة حضرة صاحب العظمة مولانا الحسين الذي اصبحت مصر في ايام دولته ذات نِيلَين: نِيل يسيل لُجيناً(4) ونيل يسيل نضاراً(5) والقُطر يتقلّب بين هاتين النعمتين..

واترلو الالمانية

« له ايضاً »

واترلو بلد من بلاد البلجيك له يوم عظيم في تاريخ هذا الدهر هو ١٨ حزيران سنة ١٨١٥، غُلب فيه سيد السيوف وإله الحرب بلا منازع نابوليون الاول. وما قهرهُ غيرُ الله بالحلفاء الذين تألّبوا(6) عليه اعواماً متلاحقة. ومما يُذكر من خبر ذلك اليوم العصيب(7) ان اوله كان لنابوليون وكان آخره عليه لسببين متعارضين. اوّلهما أنه اي نابليون انتظر نجدةً من جانب قومه فلم تصل اليه

(1) نوّه به عظّمه وشهّره (2) المصابين بها (3) الفقراء (4) فضة (5) ذهب (6) تجمّعوا (7) الشديد

وثانيهما أن عدوه انتظر نجدةً فأقبلت عليه مسرعةً تنهب الارض نهباً اليه . وتحرير الخبر أنه عند فجر اليوم نازل جيش نابليون جيش الجنرال « ولنكتون » الانكليزي وأعمل فيه السيف والنار[١] حتى اخذه الروع[٢] وطار قلبه شعاعاً[٣] مع ما هو معهود في الانكليز من الصلابة وشدة المراس والثبات في مواقف القتال ، وحتى جمد جموداً وسكنت حركته سكوناً . فكان الفرنسيس في رواية الثقات يعلونه بالسيوف والمُدى[٤] وهو مختبل مبهوت لا يملك دفاعاً ولا حراكاً . وبينما هو في ذلك المأزق[٥] اذ طلع عليه الجنرال (بلوخ) الالماني في جيش عزيز[٦] مستريح لم يوهن[٧] له القتال جانباً ولا تلم له حدّاً . وأخلف[٨] الجنرال (غروشي) الفرنسوي وعده ولم يبرّ[٩] به إمّا لسوء قصد في حديث البعض وإما لعذر في رواية آخرين . فظفر الانكليز والالمان ومن لفّ لفهم[١٠] يومَ ذاك بتلك البقيّة الباقية من جيش نابليون مما تركته له حروب العشرين سنةً مع اوربا مجتمعةً عليه . وهكذا خبا[١١] شهاب نصره وعثر قائم جدّه[١٢] ونبا[١٣] ماضي حسامه بعد ان عنت[١٤] له وجوه الملوك اياماً طوالاً وتزلزلت تحت وطأة حملاته[١٥] قوائم عروشهم وتناثر تحت مضارب[١٦] سيوفه ما عقدوه من تيجان رؤوسهم . وتمّ الفوز للانكليز الذين ناصبوه العداء[١٧] دهراً وبذلوا على حربه ما غلا من المهجات والدينار . فهم الذين استأجروا اوربا على مقاتلته ، وهم الذين ناجزوه[١٨] على صدر كل بحر وطاعنوه في بطن كلّ برّ حتى كانت واقعة واترلو التي تمّ لهم فيها فتح الفتوح[١٩] عليه . . .

---

(١) اي حمل السيف والنار يعملان فيه (٢) الخوف (٣) بمعنى العبارة السابقة (٤) جمع مدية وهي الشفرة (٥) المضيق (٦) قوي (٧) يضعف (٨) اخلف وعده لم ينجزه اي لم يتمه (٩) يصدق (١٠) اي من عدّ فيهم والتفّ حولهم (١١) سكن وطفىء (١٢) عثر جدّه تعس (١٣) نبا السيف كلّ ولم يقطع والماضي القاطع (١٤) خضعت (١٥) جمع حملة وهي الكرة اي الهجمة في الحرب (١٦) جمع مضرب وهو حد السيف (١٧) قاوموه وعادوه (١٨) ناجز الفارس قرنه بارزه ومارسه حتى يقتله او يُقتل (١٩) جمع فتح مصدر فتح يقال فتح السلطان البلاد اذا تغلّب عليها وتملّكها قهراً

وقد ارادوا اليوم ان يعيدوا مع الالمان التاريخ علـى بدئه او يردوه الى نفسه كتعبير المحدثين فيهدموا شامخات عزهم بتدمير اسطولهم وفل[١] جيوشهم حتى يكون لهم معهم « واترلو » الثانية التي جعلناها عنوان هذه المقالة ونعتناها (بواترلو الالمانية) . والسبب في هذا تعاظم الاسطول الالمـاني الذي اصبح في عيونهم اشدّ قذًى من المانيّة الالزاس واللورين في عيـون الفرنسيس فاخذوا يؤلّبون الدول على الالمان

ومن آخر كيدهم[٢] لهم هـذا التحالف الذي بدت مخايله[٣] ومطالعه بين الفرنسيس والاسبان . فانما اليد العليا فيه للانكليز لا للجامعـة اللاتينية بين اولئك ولا لذمّة الجوار الذي لهم في اوربا وافريقيا . . كل هذه الجوامع[٤] كانت قديمة فلم تمنعهم ان يقتتلوا اعواماً كثيرة ويتسافكوا[٥] الدماء انهـاراً وبحاراً في القرن الدابر[٦] والذي قبله . وقد استعان الانكليز على حاجاتهم بما قام بين بيت الملك عندهم وبين بيت الملك عنـد الاسبان في هذه الايام من المصاهرة والقربى وبما وعدوا الاسبان من الغنائم يوم الظفر . فأربع بهذا الاتفاق الثلاثي اي صار اربعة وظلّ التحالف الثلاثي بحاله . وما هو ثابت عـلى السبك لانك لو سبكته سبك خبير لما بقي في البودقة الّا المانيـا وبعض النمسا اذ لا قبل[٧] لايطاليا بالبقاء فيه عند وقوع القتـال مخافة أن يصبـح شبه جزيرتها وملكها الجديد[٨] في العدوة المقابلة من البحر (اي طرابلس الغرب) اغراضاً[٩] لمدافع الاساطيل الانكليزية والفرنسوية وأحلافها[١٠] ولان بينها وبين دول الاتفاق الثلاثي عهوداً خفية لولاها لما وطئت قدمها الساحل الطرابلسي . ثم لانه موعودة بشيء من ملك النمسا مما نزله[١١] الطليان ، وذلك اصل العداوة بينهم

---

(١) هزم وكسر (٢) مكرهم (٣) علاماته (٤) الروابط (٥) اي يسفك كل منهم دم الآخر (٦) الماضي (٧) قدرة (٨) الشاطئ والجانب (٩) جمع غرض وهو الذي يرميه الرامي ويقال له الهدف ايضاً (١٠) جمع حلف وهو الصديق (١١) نزل المكان حلّه

والمنافرة كلَّ يوم حتى ضاق ذرعُ[1] الالمان به ، فهو مـا رتقوه حتى انفتق ولا وصلوه حتى انقطع . وكذلك لا يؤمن جانب السلاف في النمسا متى زحفت جيوش دولة السلاف « اي الروسية » عليها . . فكان من هذا ان دول الاتفاق الرباعي صرنَ اشد التحاماً وانضماماً واكثر عدداً وعُدَداً وحولهن ممالك اخرى بلقانية ستسير تحت لوائهن مثل رومانيا ولها مطمعٌ في شرق النمسا والسرب ولها مطمع في جنوبها . فمتى تكون الحرب مع المانيا ومن والاها[2] ؟ اللهُ أعلم[3] وانما قصارى ما نقول أنهـا اصبحت ضرورةً من الضرورات وستقع تبعتها على المانيا وعاقبتها عليها بلا ريب الّا اذا امدَّها الله بجيش من عنده ومَن يضمن لها هذا المدَد الالهي

مرَّ على حرب السبعين ثلاث واربعون سنة واصحابنا الالمان يُعيّدون يوم « سيدان » كلَّ عام ويعالون ويختالون عـلى الدول . ولو عيّد الفرنسيس أعياد نصرهم على الامم عموماً وعلى امّة الالمان خصوصاً لما ملكوا يوماً لمعايشهم . وهذا عمود « ڤاندوم » الذي سُبك من مدافع اعدائهم وثلثاها من مدافع الالمان أصدقُ راوٍ ومُحدِّث . ولا اذكر من مفاخر الفرنسيس عـلى الالمان الا واحدةً وفيها العبرةُ للالمان لو اعتبروا : كان نابوليون يقاتل الروس والنمسويين معاً في يوم شديد وعنده خبرٌ بما يكيد له ملك الالمان « وكان يُدعى يومئذٍ ملك بروسيا » من المكايد[4] لما لاقى من حروب نابوليون الذي فتح عاصمته برلين مرتين . فجاءه الملك في طلب الرضى والاستعتاب فاستبقاه ثلاثة ايام بطولها حول خيمته لا يلقاه ثم اذن له في الدخول حيث توعّده وأنذره وصرفه وكفى

---

(١) ضاق بالامر ذرعاً لم يقوَ عليه (٢) صادقها وناصرها (٣) انشئت هذه المقالة ونُشرت في الاهرام سنة ١٩١٣ اي قبل وقوع الحرب الكبرى بسنة (٤) جمع مكيدة وهي الحيلة وكادها له دبرها

الكتب

« لعباس محمود العقاد »

الكتب كالناس . منهم السيد الوقور، ومنهم الكيس الظريف، ومنهم الجميل الرائع والساذج الصادق والاديب المخطىء ، ومنهم الخائن والجاهل والوضيع والخليع . والدنيا تتسع لكل هؤلاء . ولن تكون المكتبة كاملة الا اذا كانت مثلا كاملا للدنيا

يقول لك المرشدون اقرأ ما ينفعك . ولكني اقول بل انتفع مما تقرأ ، اذ كيف تعرف ما ينفعك من الكتب قبل قراءته ؟؟

ان القارىء الذي لا يقرأ الا الكتب المنتقاة كالمريض الذي لا يأكل الا الاطعمة المنتقاة . يدل ذلك على ضعف المعدة اكثر مما يدل على جودة القابلية

واعلم أن من الكتب الغث والثمين . وان السمين يفسد المعدة الضعيفة ، وانه ما من طعام غث الا والمعدة القوية مستخرجة منه مادة غذاء ، ودم حياة وقتاء . فان كنت ضعيف المعدة فتحامَ السمين كما تتحامى الغث . وان كنت من ذوي المعدات القوية فأعلم ان لك من كل طعام غذاء صالحاً

وكم من منظر انت تراه فلا تود ان تراه بعدها . او صوت تسمعه ثم لا تحب ان تسمعه آخر العمر . فلا ادري من اين داخل القراء ان الكتاب انما يقرأ قراءة واحدة . مع ان الكتاب اخفى رموزاً واكثر مناحي نظر من المنظر والصوت . وانت تنمو بعقلك اكثر من نموك بحواسك ، فانت احرى ان تعاود النظر فيما يتحمن به نمو الفكر . ومن كان يفهم ان قراءة الكتاب شيء غير الاتيان على كلماته ، وان درسه مطلب غير استظهار صفحاته ، فعليه بلا ريب

ان يكرر قراءته كلما استطاع ، لان كتاباً تعيد قراءته مرتين هو اغنى واكثر من كتابين تقرأ كلّاً منهما مرة واحدة

ثمّ اعلم انه ليس بأنفس الكتب ولا بأجلها الكتاب الذي تتوق الى اعادته بعد قراءته . وليس بافرغ الكتب ولا بأقلها الكتاب الذي تقنع بتركه بعد الفراغ منه . فأنك ربما صادفك الكتاب الاجوف المغلق فأعجبتك رنته فجعلت تقلبه على كل جنب لعلك ان تخلص الى لبابه ولا لباب له ، وربما صادفك السفر القيم الشافي فانتهيت الى آخره مرتاحاً مصدقاً فقنعت بذلك منه . وقد عهدنا الناس يتعهم البخيل فيراجعونه ويلحون عليه ويعطيهم المنعم الكريم فيهجرونه ويعرضون عنه ، وتلك ضرائبهم في مصاحبة الكتب . فلا نكن في المطالعة من هؤلاء

وطريقتي في القراءة ان لا اذهب مع الطرف في الصحيفة الا ريثما اذهب مع الفكر في نفسي . فقد اتناول الكتاب ابدأ فيه حيث ابدأ اذا كان من غير الكتب التي يلتزم فيها الترتيب والتعقيب ، فيستوقفني رأي او عبارة تفتح لي باباً من البحث والروية فأمضي معها واطويه فلا انظر فيه بقية ذلك اليوم او انتقل منه الى كتاب اخر . واجد هذا التوجيه في انفس الكتب كما اجده في اردإها . فلا اميز بينها في الابتداء . ولا يكاد يستدرجني الى المضاء في المطالعة غير موضوع يستوعب ذهني ويأخذ من المؤلف فيه باب الانفراد بالفكر دونه

قوة الارادة

« له ايضاً »

خطر لي ان ابتدع في التجارة بدعة حسنة فاخترت ان اتاجر بالاخلاق النافعة للمصريين . فاقتديت بأولي الخبرة والنظر البعيد من التجار اذا عزموا الاتجار بسلعة من السلع فى بلد من البلدان ، توخوا حاجة السوق واستقصوا عادات اهل البلد ثم يقدمون على بصيرة من عملهم وامل وطيد في رواج بضاعتهم فتوخيت حاجة السوق في مصر وتقصيت عادات المصريين وفتشت عن الخلق الذي ينقصهم اكثر من اي خلق سواه فعلمت انه قوة الارادة فعولت على ان يكون اشتغالي بهذا الصنف من الاخلاق

وراقني هذا الخاطر فمنيت نفسي رواجاً سريعاً وربحاً جزيلاً وانني سأكون انفق تجارة واكثر عائدة من المتاجرين بيننا بالوطنية والدين، لان حاجتنا الى الوطنية والدين اقل من حاجتنا الى الاخلاق ولا سيا قوة الارادة . وفي مصر كثير من الوطنيين والمؤمنين ولكن قلَّ فيها من كملت عليه نعمة الاخلاق فغنوا فيها عن المزيد وذهبت أحصي ارباحي ومكاسبي في السنة الاولى فالسنة الثانية وفي السنين التالية فضاق بها الحصر ولم يستوعبها الحساب . وسرني ان احلم بانه سوف لا يكون في الاثني عشر مليوناً الذين يسكنون وادي النيل مصري واحد الا لديه مقدار كبير او صغير من تجارتي، فقلت إنها والله للتجارة التي لا تبور

واكتريت الدكان في اوسع أحياء العاصمة واحفلها بالسابلة والقطان وزخرفته أيما زخرفة فصفحته بالبلور وغشيت جدرانه بالذهب وصنعت رفوفه من خشب الهند ونقشت عليه لوحة من اجمل ما خط الكاتبون كتبت عليها « هذا دكان قوة الارادة . يعطيك على نفسك سلطاناً لا حد له » ثم جلست

على بركة الله أشمر للتعب والعمل واخففها عني بما ارجوه من المنفعة لي وللناس

فكان اول من سنح لي في صباح اول يوم فتحت فيه الدكان رجل سكران قد تخاذلت اعضاؤه من الوهن واحمرت عيناه من السهر وانعقد لسانه من الخمر فوقف قبالة الدكان يترنح ذات اليمين وذات الشمال واوشك ان يميل على ألواح البلور فيحطمها ويكدر علينا صباح الاستفتاح بطلعته المشؤومة. ولو كنت ممن يتطيرون لاغلقت دكاني لساعتي وجزمت بالفشل ولكنني تصبرت ولبثت الاحظه وهو تارة يحملق الي وتارة يتهجى العنوان حرفاً حرفاً حتى اتى على حروفه بعد شق النفس، ثم قال وكأن روحه تصعد مع كل كلمة

أ أنت صاحب الدكان ؟ قلت نعم. قال لي انت بعينك ؟ قلت انا هو بعيني لا سواي .. قال وتبيع قوة الارادة ؟ ؟ قلت من جميع الاصناف والاثمان . قال ولنا ايضاً تبيعها ؟ ؟ ... لا تؤاخذني فاني احب ان اسأل

قلت : اجل . لك ولكل من يشتريها

قال : فأنا اسهر كل ليلة كما ترى وأسكر وأقامر واجيء في هذه الساعة فيثقلني النوم ولا احب ان انام . فهل عندك صنف من الارادة أتسلط به على النوم ويقويني على السهر ليل نهار ؟

قلت : ليس هذا الصنف من الاصناف الموجودة ولو وجد لما بعناه . ونحن باعة الاخلاق لا نقل في الامانة لصناعتنا والحفاظ بذمتنا عن الصيادلة . وقد تعلم انت ان الصيادلة لا يبيعون كل دواء لكل طالب ولكن عندنا اصنافاً اصلح لك من هذا الصنف فهل لك فيها ؟

قال : ارنيها

فسردت له اسماء الاصناف التي في الدكان وأريته كل صنف منها في علبته ولم آلُ تفصيلاً لفوائدها وترغيباً فيها، وبسطت له اسماء الارادة المانعة وخواصها منع الناس عن مقارفة العادات الضارة . من التدخين الى المقامرة ومن الكذب الى الوقيعة . وتختلف المقادير والاثمان، باختلاف الادمان والازمان

واصناف الارادة العاملة وخواصها ايلاء الناس عزيمة وصبراً على تذليل مصاعب الاعمال وتحقيق همامات الانفس. وارخصها قضاء المرء واجبه، وانفسها قضاؤه واجب امته ونوعه. وهي اغلى من الارادة المانعة لان القدرة على اداء الواجب اندر من القدرة على اجتناب المحظور واعلى من هجرك ما تؤاخذ به فعلك ما تحمد عليه وعددت له اسماء نفر من عظماء الرجال الذين دفعتهم قوة الارادة ودفعت بهم اممهم الى ذروة من الشرف تتقاصر عنها الذرى. واطنبت في الوصف والتحسين وهو يصغي الي بما بقي في حواسه من الانتباه، فأطمعني اصغاؤه في ان يكون اول تجربة ناجحة واصدق اعلان عن الدكان. ورأيته يطرق ملياً ثم قال: ولكن من يضمن لي جودة الاصناف ويكفل نقاوتها من الاخلاط والاوشاب

فقلت في نفسي سبحان الله: هذا الذي يذهب كل ليلة الى الخمار لا يسأله أيسقيه سماً ام خمراً، ويغشى موائد القمار يخسر كل ليلة صحته وماله ثم ينساق اليها بغير سائق لا يريد ان يشتري قوة الارادة الا بضامن؟ ؟ ولكنني جاريته وقلت له: لا خوف عليك من هذه الجهة، فساعطيك علبة نموذجاً فجربها وسل من شئت من التجار. ولك بعد ذلك الخيار

***

انصرف السكران بالعلبة ذلك اليوم وعاد الي في اليوم الثاني مفيقاً صاحياً فجلس بتؤدة وادب وقال لي: لقد تعاطيت امس علبتك ولم اعاقر ولم اقامر ولا ادري أبفضل العلبة ذلك ام لنفاد المال مني. وكنت اذا نفد المال مني اقترضت، فلم اقترض امس، فلا ادري ايضاً أكان ذلك قوة في الارادة ام حياء من الرفض. وكنت لا استحي فلا ادري والله أكان حيائي خلقاً جديداً اكتسبته منذ تعاطيت قوة الارادة ام هو لتكرار الطلب واليأس من الاجابة

ـ أتنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن اكثر التسآل يوماً سيحرم

على انني سألت التجار تاجراً تاجراً فاستغربوا اسم الصنف ولونه ورائحته ومعدنه واتفقوا على انهم لم يسمعوا به لا في الشرق ولا في الغرب ما عدا التاجر فلاناً فقد عرفه وفحصه قليلاً فرده اليَّ مشمئزّاً وهو يقول : يا شيخ ! فقد سئمنا هذا السخف والتدجيل ! وهل فرغ الناس من سلطان الهموم فيسلطوا عليهم قوة الارادة ايضاً ؟ واذا كانت عوائق الدهر تحرمك شطراً من ملذات الحياة وانت تحرم نفسك الشطر الباقي فانت لا شك الذي يقال فيه انه عدو نفسه . فخلِّ عنك هذه الاضاليل ولا يغرنك ما تقرأ من العناوين وما تسمع من المواعيد ، فلو كان في هذه التجارة خير لما غفل عنها الناس الى اليوم، ولم ينسها دهاقين التجار الازمانَ المتطاولة لتكون بدعة من بدع هذا الزمان المنكود

فأسكتُ هذا المهذار وندمت على التفريط في العلبة ، وكان اعجب ما عجبت له كلام ذلك التاجر لعلمي بأنه ممن يميزون امثال هذه الاصناف ويحسون نقص السوق فيها ولم يكن بيننا مجاورة او مشاركة . فخفي عني غرضه من تبغيض الناس في بضاعة ليس بيني وبينه منافسة عليها . ولكني وقفت فيما بعد على سبب ذلك وهاك بيان ما وقفت عليه : —

***

رأى فلان المذكور هذه التجارة المستحدثة فقدر لها الربح الطائل والرواج السريع ورأى انه ليس أيسر عليه من تقليدها . شأن الاعلاق النادرة : تزييفها كثير والغش فيها جائز، وذلك لان عارفيها معدودون ولان جاهليها يحكمون عليها باللون والرونق . وليس بالثمرة والجوهر . فقرر بينه وبين شيطانه ان يستفيد من هذه الفرصة ويختص نفسه بذلك الربح فما وني دون ان فتح له دكاناً تجاه دكاني وتأنق في ترويقه وتنظيمه ، وكتب عليه « هذا دكان قوة الارادة الصحيحة . يعطيك سلطاناً لا حدَّ له على ملذات الحياة »

فتح الدكان واستأجر له دلالاً سليطاً يفتأ سحابة النهار يصرخ بصوت

كقصف الرعود او قرع الطبول : يا طالب الارادة الصادقة ، حي على الغنيمة قبل فواتها ؟ ؟ يا عشاق العزيمة الماضية ، هلموا الى اعظم معمل للعزيمة الماضية من معدنها ، هيا الى ارخص سلعة سعرًا واسرعها فعلًا وأصمدها على الطوارئ أثرًا . أرادة لا تتكاءدها[1] عقبة ولا تصدها من غايتها طلبة . فمن اشتهى السكر فصدته عنه مرارة الراح فليشتر من هذا الدكان فيستعذب تلك المرارة ويعاف عندها كل حلاوة ، ومن صبا الى الشهوات فأشفق من عقابيلها ومغباتها زودناه بقوة ارادتنا فاصبح لا يحفل بالعذل والملام ، ولا يبالي بالضيم والسقام . ومن تورط بالقمار ثم تهيب خشية الاملاق والدمار ، ومخافة الفضيحة والعار ، فعندنا ما ينزع منه تلك المخافة ، ويضحكه من هواجس تلك الخرافة . وعندنا لكل مريد ارادة ولكل ارادة شهادة فالبدار البدار ! قبل غلاء الاسعار ؛ فاليوم بدرهم وغداً بدينار

فما شككت في ان المسكين معتوه قد خسر رأسه وسوف يخسر رأس ماله وتوقعت له الخراب الجائح القريب ، اذ من اين له ان يزاحمني في تجارتي وانا مبتدع التجارة وهو المقلد . وانا ابيع ارادة الجد والعمل ، وهو يبيع ارادة اللهو والكسل . ولكن سرعان ما اخطأ حسابي وارتد علي تكهني وما راعني الا الجماهير على ابوابه يتسكوفون[2] وبضائعه في كل وادٍ تسير ، بحيث لم تخل منها المدينة والقرية ، والبيت ، والحانوت ، والحانة والنادي ، ولم ينتهِ الشهر حتى فتح دكاناً جديداً الى جنب دكانه ، ودار الحول فكان له في الحي خمسة دكاكين واصبح اعظم تاجر في الديار

اما انا فقد اعطيت في اليوم الاول تلك العلبة لذلك السكران فكانت اول واخر ما صدر من دكاني . ومرت ايام وايام . وتلتها شهور وشهور ، وتمت ثلاث سنوات مجرمات[3] ، وانا بتلك الحال اراقب التلف يدب في بضاعتي

---

(١) تكاءدته العقبة وقفت في طريقه (٢) يحتمون

(٣) السنة المحرمة الكاملة

واعاين السوس ينخر في ارادتي — وما الارادة الا كالسيف يصدوءه الاهمال ويشحذه الضراب والنزال — فدهشت وغضبت ، ثم صبرت وتعللت ، ثم يئست وسلمت ، فأقفلت الدكان وطلقت التجارة ، وها انا ذا اسأل عن المحكمة لاودعها الدفاتر والمفاتيح

المستقبل لله [1]

« للشيخ نجيب الحداد »

في العام الحادي عشر من بداية هذا القرن [2] كانت شعوب لا تحصى وامم لا عدد لها تحدق بقصر اللوفر الكبير احداق الغمام وهي تنظر اليه بعين المتأمل وتطلع نحوه بقلب المؤمل والقصر في وسطها كأنه طور التجلي تلمع من خلاله بروق الاقبال . وتظلل اعالي شرفاته سحائب الامال . والناس تموج من حوله امواجاً ويقول بعضهم لبعض سيولد لنا اليوم مولود عظيم واليوم تنتظر الدولة العظمى ميلاد وارثها . فماذا عسى يرزق الله نابوليون الكبير ومن سيكون وليّ عهد لهذا الرجل العظيم الذي هو اكبر من قيصر واعظم من رومة وقد جمع في يديه مفاتيح الاقدار ومستقبل الشعوب وازمة الممالك وعنان الدنيا يصرفه كما يشاء ويقلب كرة الارض على بنانه كما يريد . وبينما هم يتساءلون عن ذلك النبإ العظيم انفتحت شرفة القصر كما ينفرج الغمام وظهر على الشعب ذلك الرجل العظيم كأنه يطل على الدنيا بأسرها ويشارف العالم باقطاره من رفعته وجلال قدره ،

(١) هي قصيدة رنانة لفيكتور هيكو الشاعر الفرنساوي الشهير نظمها بعنوان نابوليون الثاني وصف بها ميلاد هذا الطفل وما كان يرجى له من سعد الطالع وحسن الاستقبال ثم ما صار اليه حاله وحال ابيه من قبله وما لقيا من مرارة الفشل وسوء العقبى بعد تلك الاماني والآمال (٢) سنة ١٨١١

فخفقت عند ذلك الاصوات وعنت الوجوه وسكتت الالسنة ثم ارتفعت الابصار تنظر ما يحمل لها ذلك الجبار بين يديه بشرى ولاية عهده واذا بها قد اطرقت هيبةً واجلالاً لطفل صغير كان يحمله الامبراطور على ذراعيه كأنه يبشر به الارض باسرها ولم يكد ذلك الطفل يظهر للوجود حتى خفقت لانفاسه الضعيفة رايات البلاد كأنها تخفق تحت ريح عاصفة وحتى دوت لاهلاله وصوت بكائه افواه المدافع الهائلة وهو بين يدي ابيه كانه كوكب دري تحمله شمس منيرة من المجد والفخر. ولما اظهر الوالد مولوده لكل تلك الشعوب ورآه تعنو له عوالي الرؤوس والتيجان اخذته عزة الملك وتولاه زهو الرئاسة والمجد ونظر الى الدنيا وهو في ابهة نصره وجلاله كما ينظر النسر الى ما تحت مقلته من الهضاب وصاح بصوت المنتصر الظافر : المستقبل لي

فاجابه صوت الشاعر من وحي الغيب لا يا مولاي ليس المستقبل لاحد فان المستقبل لله فلا يغرنك ما ترى من عظمة الدنيا ومجد الملك وعزة الانتصار وبهاء التيجان ونيل المطامع والآمال فان كل ذلك وهم باطل وظل زائل لا يخيم على فؤاد صاحبه الا كما تخيم السحابة السارية في كبد السماء . وانت ايها المستقبل الذي تدعوك بالغد وتسير وايانا جنباً الى جنب مهما كان الانسان عظيماً ومهما كان التأسه منك شديداً لا يقدر ان يعرف منك شيئاً قبل حينه ولا يمكن ان تنفرج شفتاك عن الخبر اليقين الا متى آن اوانه . والعلم لله . انما الغد شيء عظيم لانهُ شيء خفيّ مستتر لا يعرف كنهه احد ولا تقدر ان تدركه مقلة انسان بل هو الارض الواسعة يلقي فيها المرء بذار آماله والله ادرى متى يكون نباتها ومتى تجنى منها الثمار . بل الغد برق خاطف لا تدري ما يكون بعده من عواصف الايام، وسحاب سار لا تعلم متى تنكشف من تحته نجوم السماء ، وقاتل سفاك يسلب نفائس الاعمار ، وهادم عنيد يهدم صروح الآمال ، ونجم سيار لا يثبت في مكانه ولا تقف عليه عين الدليل . بل هو باريز تتبع بابل في دمارها وخرابها وهو شوك المذلة والقهر ينبت على العرش الذي كان بالامس نضرةً ونعيماً

انما الغد جوادك ايها الفاتح الكبير يكبو بك ساقطاً يرغي ويزبد من اعيائه وكلاله ، وانما الغد احتراق موسكو تخرج منها وهي نار جامحة يطبق دخانها الاقطار فيزيدها ظلاماً بعد اذ دخلتها منتصراً فاتحاً وبعد اذ كانت عليك برداً وسلاماً . بل الغد جيشك العظيم منتثر الجماجم مبدد الاجسام . بل هو موقعة واترلو الهائلة ونفيك الى تلك الجزيرة القاصية ثم مصيرك من بعد ذلك الى القبر

انك تقدر يا مولاي ان تفتح المدائن وتدوسها بحوافر جوادك وتنتصر عند القتال والحروب الاهلية بحد حسامك وتسد النهر الكبير فتمنع مجراه ، وتأخذ عنان النصر بيدك فلا تترك منه شيئاً لسواك ، وتكسر كل باب يقفل في وجهك وتفوق كل ذي شهرة ومجد من قبلك وتجعل من مهماز نعلك نجماً تهتدي به ابصار جنودك وقوادك فان الله قد اعطاك المدى تمرح فيه كما تشاء وحفظ في يده الحد الذي يريد ان تقف عنده فلا تتعداه وانك تقدر ان تأخذ الارض باقطارها وتجمع على رأسك العالي كل تيجانها وتلعب بالممالك لعب الاكر من اطرافها الى اطرافها ، ولكنك لا تقدر ان تأخذ الغد من يد الله

ان في تصاريف الايام لعبرة وان تقلب الاقدار لذكرى . لقد ولد ذلك الطفل الصغير فكان اول تيجانه وهو في المهد تاج رومة واول ألقابه ملك الرومانيين ولقد اظهروه وهو طفل رضيع فعجب الناس كيف يكون الانسان ملكاً عظيماً ويكون طفلاً صغيراً ولقد جمع له ابوه اثار المفاخر ومجد المعارك والنزوات وشق في سبيل مستقبله صفوف جنود ابطال كانت في نظام قتالها كانها البنيان المرصوص واقام حول سريره المهتز اسواراً متينة من صدور العساكر والقواد وصنع له وجه الدنيا على ما يريد كما يصنع الصانع الماهر قوام التمثال وأعدّ له من صنوف المجد والفخر ما لم يطمع به فاتح ولم يدر في خلد انسان ووضع امامه فرنسا كلها كأساً ملؤها الرجاء والآمال . ولكنه قبل ان يمس تلك الكاس او يذوق من شرابها قطرة ما . اقبل فارس الدهر بجواده فخطف ذلك الصبي من مهد جلاله واردفه في مؤخر سرجه وسار به من بين كل تلك

العظائم والآمال تقتطف الزهرة من وسط بستانها وكما تسقط الثمرة الغضة اذا طرحتها عواصف الريح قبل اوانها

اجل فلقد كان نابوليون الكبير نسرًا يحلق في العلاء ويرمي بابصاره الدنيا ويحوم بجناحيه على العالم باسره واذا بزوبعة شديدة عصفت به فكسرت جناحيه فسقط من أعلى سمائه كأنه شهاب ثاقب وقد ترك وراءه من المجد الباهر اثرًا مستطيلًا فتهافتت طيور الممالك عليه من كل مكان فاخذت انكلترا النسر واخذت النمسا فرخه الصغير

ولقد اقام ذلك الفاتح الكبير اسيرًا ذليلًا في جزيرة مهجورة قاصية ست سنين كاملة ذاق فيها مرارة الوحدة والاسر كأنه الاسد الهائج في قفص من حديد . وان الاسود وان كانت شرسة قاسية فان في صدورها قلوب إباء وهذا الاسد الشديد كان في صدره قلب والد وكان هذا الوالد يحب وحيده بل ان هذا الرجل الذي ملك الدنيا لم يبقَ لديه في محبسه الاخير سوى امرين يلهو بهما عن مصائبه واحزانه اولهما صورة ابنه وهي كل فؤاده والثاني رسم اوربا وهو كل عمله ونتيجة اجتهاده . فكان يجلس كل مساء على شاطئ البحر في منفاه ويرمي بابصاره آفاق السماء ويغرق في بحر عميق من الهموم والافكار كأنه ينظر في الماضي ويفكر في ما تقدم له من الظروف والاحوال . الا انه مع كل ذلك الجمود الطويل واغراق الفكر لم يكن يتذكر آثار سيفه ولا سوابق نصراته ولا دوي المدافع التي كانت تصب البلاء بامره وتهتز منها الارض تحت اقدام رجاله وتميل منها الرايات تباعاً كأنها ساريات السفائن تكسرها عواصف البحر في هياجه وشدة انوائه . بل كان كل ما يتذكره ويشغل افكاره خيال ذلك الطفل الصغير يتراءى له على بعد المدى وشاسع الاميال فيحني رأسه على يده وتجري دموعه على خديه ويصبح من كان لا يشتري الدنيا بدمعة من دموعه وهو يذرفها هدرًا ضياعاً على تذكار طفل صغير كان يعد له مستقبل العالم فوجد ان المستقبل لله

الارض والكائنات

« له ايضاً »

ينظر المرء الى السماء نهاراً فيحسبها من فوقه قبةً زرقاء ويدير ابصاره في انحائها ليلاً فيخال نجومها مصابيح لامعة في ذلك الفضاء . ويرى الشمس يحسبها قرصاً منيراً على قدر ما ترتسم فيه الابصار . ويجيل نظره في صفحة البدر فيخالها دارة صغيرة في حجم ما تراه الابصار . وينظر في نجوم الثريا فتبدو له قرطاً وهاجاً من الحجر الكريم ثم ينقل بصره في ما حوله من الكواكب فتظهر له جواهر لامعة قد نثرتها يد الخالق على ذلك الاديم فيحسب ان دائرة الافلاك ما احاطت به ابصار المقلتين . وان كل عوالم الدنيا محصورة عنده في ما ارتسم على حدقة العين . وهو لو تأملها بعين العلم لبدت له اوسع من ذلك النطاق ولو فحصها بما اخترعه من آلات البصر لفاتت به فوق ما يتوهمه من السبع الطباق . ووجد ان تلك العوالم فوق قدرة ادراكه وانها دليل على قدرة الخلاق . وان الشمس وان كانت اكبر ما يراه فقد يكون اصغر ما يبدو له من الكواكب اكبر منها حجماً في شاسع الفضاء . وان القمر وان كان مصباح ظلامه فان الارض اعظم منه جرماً وان اخفى ما حولها من النجوم ابهر منه في الاشراق والضياء . فسبحان من خلق فسوّى فجلت دقائق ابداعه من الافهام والعيون . وتبارك من ابدع تلك العوالم في افلاكها فكلٌ في فلك يسبحون

ولا يخفى ان المقرر في افهام العامة في هذه الايام ان الشمس اكبر ما يبدو لنا من نيرات الافلاك واعظمها جرماً ونوراً ، ولكن لو تأمل المرء بعين الحقيقة ونظر نظرة الباحث في تلك الملايين من الانجم الصغيرة المنبثة في اقطار الفلك لوجد ان اصغرها في انظارنا قد تكون في الواقع شموساً كبيرة وان شمسنا العظيمة التي هي حياة ارضنا والتي تبعد عنا ٣٧ مليون غلوة ليست في جانب

تلك الشموس المنيرة الا نقطة صغيرة في بحر الفضاء . بل لوجد الشعرى اليانية التي هي اقرب الشموس الينا انما تبعد عن ارضنا ملايين من المراحل حتى ان نورها لا يصل الى ابصارنا الا بعد الفي سنة من انبعاثه مع ان نور الشمس يصل الينا في اقل من ثماني دقائق وانها اكبر من حجم شمسنا الهائل الف مرة مع ان شمسنا اكبر من الارض بمليون وثلثماية الف مرة

ومتى وقف الانسان ينظر ما حوله من صفحة الفلك الواسع ، وما حواه ذلك الجو الفسيح من تلك النجوم السواطع . لا يلبث ان تدخلـه الدهشة والاستغراب . ويتولاه العجب والذهول مما خفي عنه من الاسباب ويقول ما عسى ان يكون وراء تلك الانجم التي نراها، ثم مـا عسى ان يكون ايضاً وراء النجوم التي يفوت ابصارنا مداها . ثم ما يكون بعد ذلك مما نتصوره تصوراً ولا تبلغ مرامي نظرنا اليه . ومن يكشف لنا عن اسرار هذه الكائنات ومـا صارت اليه وما كانت عليه . فيجيبه صدى عجزه وقصوره ان وراء ذلك ما يسمونه اللانهاية مما لا تصل العقول الى مداه ان وراء ذلك كله ما ينتهي اليه مدى البصائر والافكار من الاعتقاد بالخلود والايمان بوجود الله

ولقد مضى على الانسان حين من الدهر كان يحسب فيه ان ارضه مركز العوالم والاكوان . وان هذه النجوم الزاهرة من فوقه مصابيح انوار معلقة في العنان . وفاته ان هذه الارض التي يقطنها ليست الا حبة غبار في عالم الافلاك العلوية . وانها اصغر من قطرة ماء في بحر تلك الكائنات الجوية . وان حولها من الوف الشموس ما لو قيست اليه لكانت ذرة هبـاء . وان حول تلك الشموس من سيارات الانجم اضعاف ما يبدو لنا على صفحة هذا الفضاء . اما الان فقد علم المرء ما هو مقدار ارضه في جنب تلك الكائنات . وعرف ما هي قيمة الدنيا امام تلك المشاهد الباهرة من عوالم المخلوقات . وانه ذرة غبار تسري على كتلة ارض هي مثله ذرة غبار . وانه احقر من ان يشمخ بانفه كبراً وتيها في ذلك الملك الواسع والملك لله الواحد القهار .

ولقد كان الناس يزعمون ان العالم هو ما تألف من شمسنا وما يدور حولها من الارض وكواكبها السيارة وان ما بقي من النجوم ليست الا كواكب صغيرة لانارة هذه الارض . اما الآن فقد تحقق لدى العلم ان فلكنا الشمسي ليس الا فلكاً صغيراً من افلاك كثيرة واسعة ذات شموس عظيمة لا تقاس شمسنا اليها بشيء ، وان العالم العلوي اعظم من ان يحيط به وصف او يدركه عقل انسان مهما اخترع من آلات البصر ومقربات الابعاد . وجلّ ما توصل العقل الى اكتشافه من اسرار هذا الكون ان له ناموساً خاصاً به يجري على مقتضاه وهو ناموس الجاذبية الذي اهتدى اليه العلامة الانكليزي نيوتن وبه ترتبط الاكوان بعضها ببعض في هذا الفضاء الواسع الذي لا نهاية له وهو الرابط الوحيد بين شمسنا وما حولها من الكواكب والسيارات

ومن اقوال العلماء في بداية الارض وتكوينها انها كتلة نارية انفصلت عن الشمس في ما غبر من القرون بقدرة الخالق جل جلاله ثم اخذت قشرتها تبرد على التوالي حتى اصبحت صالحة لظهور الحياة فوجد عليها الانسان والحيوان والنبات وان الشمس التي نراها دائرة حولنا من الشرق الى الغرب انما هي ثابتة في مركزها وان الارض هي التي تدور على نفسها من المغرب الى المشرق مرة في كل ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤ ثوان ثم هي تدور حول الشمس مرة في كل عام اي في مدة ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و١١ ثانية على سرعة معدلها ٢٩ كيلومتراً في الثانية وهي تدنو من الشمس في الشتاء ٦ ملايين كيلومتر وذلك في اول كانون الثاني فيكون بينها وبين الشمس عندئذٍ اكثر من ١٤٥ مليوناً من الكيلومترات . اما في شهر تموز فيكون البعد بينها وبين الشمس ١٥١ مليون كيلومتر ، واما محيط قطرها فيبلغ ١٢٧٣١ كيلومتراً

مثل الاسد والثعلب

« له ايضاً »

قيل كان لاحد التجار ولد نجيب فلما بلغ اشده اعدّ له احمالاً من البضائع النفيسة وارسله يتاجر بها فبينما هو سائر باحماله وقد توسّط البرية رأى ثعلباً قد شاخ وكبر حتى عجز عن المشي ولم يعد يستطيع ان يخرج من وجاره الا زحفاً فقال في نفسه ما يصنع هذا الثعلب بحياته وكيف يقدر ان يعيش في هذه الصحراء المقفرة وهو لا يقدر ان يصيد

وفيا هو كذلك اذا باسد قد اقبل وفي فمه كبش حتى وضعه على مقربة من الثعلب فاكل حاجته ثم تركه وانصرف فاقبل الثعلب يجرّ نفسه الى ان اكل ما بقي من فضلة الاسد . وكان ابن التاجر ينظر اليها فقال سبحان الله يرسل للثعلب رزقه وهو في مكانه لا يستطيع المشي وانا اتعب واسافر واتحمل تعب السير لارتزق وازيد ثروة ابي مع ان رزقي سوف يأتيني كما اتى هذا الثعلب رزقه . ثم امر غلمانه فردوا الاحمال وعاد الى ابيه ببضائعه واخبره بما رأى من امر الاسد والثعلب وان الله يرزق عباده فلا حاجة للسفر والمشقات . فقال له ابوه ان الامر لكما ذكرت وان الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكني ارسلتك تتّجر وتتعب لكي تكون اسدًا تطعم الناس لا ان تكون ثعلباً تنتظر ان يطعمك سواك

اقسام المهنة والحكمة في اختيارها

« للخوري بطرس البستاني »

المهنة قسمان يدويّة وعقلية ، فاليدوية ما استلزمت مزاولتها عمل اليدين ، بل ما اشترك فيها العقل والجسم معاً من مثل فن التصوير والموسيقى والنحت والجراحة والصياغة والحياكة وغير ذلك من الحرف . واما العقلية فهي التي ينفرد بتعاطيها العقل كفنّ المحاماة والهندسة وعلم الفلك والفلسفة والرياضيات وما شاكل ذلك . وكلا القسمين لم يبلغ في بلادنا مبلغ الاتقان ، ولذلك نرى النجاح بطيئاً فيها والثروة زهيدة وارباب الاعمال يشتكون من كساد تجارتهم وعدم الاقبال على مصنوعاتهم ومنسوجاتهم في حين ان الامم الراقية هي القابضة على اعنّة التجارة وقد ذهبت في عالم الاختراع كل مذهب ، ونحن مقيّدون بالاساليب القديمة ، ينسج الولد في صناعته على منوال ابيه ولا يتقدّمه خطوة في ميدان التفنن والتجدد . وكان علينا بعد ان انتشرت المعارف في هذه الاصقاع ان نجاري الشعوب الناهضة في مجال التأنق والابداع ، ونحل ايدينا من اغلال المحاكاة المقعدة عن التقدم ، ولكن تمسكنا بالقديم هو الذي اوقفنا عند هذا الحد حتى بتنا ننظر الى الغربي بعين الدهشة وهو لا يفوقنا ذكاء ولا جلدا . واذا تقصّينا في البحث عن جمودنا تبين لنا ان هنالك ما عدا التشبُّه الاعمى اسباباً جمة اخصّها عدم اتقان مهننا ، ودفعُ اولادنا الى تعلم المهن التي ليس لهم ميل اليها ، فيُقبلون على تعلمها بكره ، وهم خالون من الاستعداد الفطري حتى لقد يقضون السنين الطوال في مزاولتها بدون ان يجرُوا شوطاً في ميدان النجاح . فاذا سألت احد الآباء ماذا يريد ان يزاوله بنوه الصغار عند بلوغهم سن الرشد اخذ يعين لكلّ مهنة على ميله هو ، ولا يلبث ان يُبرز عزمه الى حيز الفعل ، فيعلم هذا الطب وهو ميال

للتصوير ، وذاك فن المحاماة مع رغبته في فن الموسيقى . واذا اتفق ان ساق احد اليه النصيحة ليترك كلًا من بنيه وشأنه ، فيختار المهنة التي له كلَفٌ بها قابل نصحه بالازدراء .

على ان بعض الابناء الموسرين ينتهي بهم الحمق الى ان يحسبوا من الغضاضة والعار ان يتعلموا احدى المهن تحوُّطاً لتقلبات الدهر ، فيصرفون ايام الصبا والشباب في اللهو معتمدين على ثروة آبائهم ، حتى اذا انقلب عليهم الزمان ونسف بناء غناهم عضوا اصابعهم ندماً . ومن السيدات المثريات مَن يحملهن الكِبر على تنفير بناتهنّ من تعلم الخياطة وفن الطبخ والادارة المنزلية وعلم الاقتصاد اتكالاً على ان البائنة (الدوطة) التي يَرِثنها عن والديهنّ تُغنيهنّ عن هذه الفنون التي لا غنى للمرأة عنها مهما اتسعت ثروتها ، فيزينَّ لنفوسهنّ انهنّ بالمال يُمكنهنّ ان يستخدمن من يشأنَ من الخدم والخادمات لقضاء حاجاتهنّ البيتية ، حتى اذا تزوجن كنّ جاهلات للامور المنزلية ، فيصرفن حياتهن بين آلات الطرب وفي اندية الانس متقاعدات عن تدبير منازلهن ملقين تبعة ذلك على الخدم والحشم والله اعلم بما يكون وراء ذلك من سوء العواقب ولاسيما اذا غادرت السيدة منزلها وانصبّت على موائد القمار تاركةً الدار تنعي من بناها . . .

وكنا نتمنى لو انحصرت الكبرياء في نفوس هذه الطبقة الغنية ولكنا نرى كثيرين من الآباء الفقراء تترفع نفوسهم عن تعليم بنيهم المهن اليدوية ، كأن هذه المهن تغضّ من قدر اصحابها او تكسبهم عارًا ، فترى الزرّاع يستنكف من ان يكون ولده مثله زرّاعاً ، فيعمل الليل والنهار في كسب الاموال حتى اذا تهيأ له مبلغ يستعين به على تعليم ولَده في احدى المدارس العالية وضعه فيها سنة او سنوات ، ثم يشعر من نفسه بالعجز عن القيام بالنفقات اللازمة لولده حتى يُنجز دروسه ، فيخرجه منها وهو لم يتلقّ من اللغات والعلوم ما يساعده على تحصيل معاشه ، فيضطر ان يُعيده الى الحقل ، وهناك لا تسل عما يقع بينهما

من الخلاف اذ يتصور الولد انه اصبح ارقى معرفةً من ابيهِ، وان العلم الذي اذّخره في صدره يُجلّه عن ان يُمسك بيده المعول، فيقضي ايامه والخيزرانة تهتزّ في يده، ويمشي على الارض وهي تئنّ من وطأة كبريائه. فما ضرَّ هذا الاب لو انفق الاموال التي اقتصدها على تعليم بنيه في احدى المدارس الزراعية حتى اذا اتقن علم الزراعة عاد اليه حاملاً من نتائج معارفه ما يُنمي زرعه وضرعه وتؤتيه الارض ذهباً ونضارًا. ألا ترى القروي في الغرب كيف يستنبت حقولـه على افضل الطرق الفنية مجتنياً منها ريعاً كبيرًا يضمن له ولبنيه سعـة العيش. فاذا جلت في اكواخ القرويين رأيت من حولهـا رياضاً غنَّاء حافلة بانواع الطيور والمواشي، وهم بحالة هنيئة يحسدهم عليها كبار الاغنياء... ومن اكبر آفاتنا اننا نتشبه في اقتباس المهن بسوانا الى حد يورثنا البلاء. فاذا رأينا احدنا قد نجح في دراسة فن الطب مثلاً نشط اكثرنا الى تعليم بنيه هذا الفنّ، حتى تصبح البلاد وفي كل قرية منها اطباء. والسعيد فيهم من قام بنفقات معاشه، فيضطرون الى الجلاء عن اوطانهم. وكذا قل عن سائر الفنون التي كسدت أسواقها في انحائنا بسبب اقبال الطلّاب عليها. على اننا لا ننكر ان هذا التشبه طبيعي في البشر الذين دأبهم التنافس والتحدي، ولكننا نحن نسيء التصرف فيه اذ نكتفي بان نقتصّ آثار غيرنا بدون ان نتفنن ونتأنق في المهنة التي انصببنا عليها فيحصل من هذا التزاحم لجميع ارباب هذه المهنة ابينُ ضرر. امّا الغربيون فاذا رأى احدهم تاجرًا اصاب ثروة من الصنف الذي يتجر به، واراد ان يفتح محلًا للمتاجرة في الصنف نفسه، بذل مجهوده في مسابقة اخيه في تحسينه او اقتصر على جلب الصنف العالي في حين ان زميله يتاجر بالصنف العادي. فبدلاً من ان نتمشى نحن على هذه الطريقة المثلى نأخذ في التزاحم حتى يشملنا الاذى جميعاً. وكان الاولى بنا لو كنا من العقلاء ان نبحث عن غير صنف او نزاول فنّاً جديداً فنصيب من ذلك ارباحاً طائلة. وهكذا تعمّ الفنون في البلاد ويجزل المكسب بدون ان يُمس احدنا باذى

ومما يوجب الأسف الشديد ، ان كثيرين من الآباء الاشحاء يُقلعون عن تعليم بنيهم مهنة لائقة بحالتهم ومقامهم ، ضنًّا بالدنانير التي في ايديهم ، فيكتفون بوضعهم في مكتب عادي ، حتى اذا ألمّوا فيه ببعض العلوم اخرجوهم منه ، وهم عاجزون عن المتاجرة بما تلقنوه ، فيسدّون في وجوههم باب الفلاح ، فبئس المسلك الذي يسلكه هؤلاء الآباء ، فانه غاية في الخرق ومضارّه اكثر من ان توصف . فلو كان عندهم شيء من الحكمة ، لبذلوا الاموال في تعليم بنيهم بكفٍّ ندّية ، لانه خير للولد ان تورثه علماً من ان تورثه مالاً . لان العلم يجلب المال والجهل يبدّده مهما كان غزيراً

فاذا كان في قلوبكم ايها الآباء شفقة على بنيكم فلا تتغاضوا عن تعليمهم مهناً توفر لهم اسباب الارتزاق . ولتكن هذه المهن موافقة لحالتكم ، ولا تبالوا بالنفقات التي تُنفقونها في هذا السبيل ، فانهم اذا ترعرعوا ونزلوا الى ميدان العمل كافأوكم اضعافاً على ما كابدتم في جنبهم ، وذكروكم بالحمد والثناء ، واستنزلوا عليكم بعد مماتكم غيوث الرحمات . فان بلادنا يتعذّر عليها ان تجاري بقية الامم النجيبة بدون ان تُتقن الفنون والمهن . فعسى ان نرى في فلكها بدر التقدم الوهّاج ، بعد اهتمامكم بالناشئة الجديدة وتربيتكم اياها على طرق الشعوب النبيهة

مضار المسكرات

« له ايضاً »

ألِف سواد الناس في هذه البلاد معاقرة المسكرات حتى اصبحت فيهم ملكة لا يرون عنها محيداً ، واكثرُهمْ يشغلهم الالتذاذ بها عن التبصّر بغوائلها الفتّاكة ، فلا ينتبهون لمضارّها الا بعد تبريحها بهم وتغلّبها على ارادتهم السقيمة الضعيفة .

ومن المعلوم ان الذين يُدمنون شرب المسكرات انما يتناولون منها في اول

الامر كمية قليلة ، ربما احدثت في نفوسهم على قلّتها انقباضاً واشمئزازاً ، اذ لم تألفها بعد اجسادهم ، ثم يتدرّجون في الاستزادة منها حتى اذا لعبت سورتها في رؤوسهم ودبّ دبيبها في عروقهم ارتاحوا الى معاقرتها ارتياحاً يجعلهم بعد مدة من السكّيرين الشرهين والمعاقرين المفرطين . ومنهم من يقتصر منهـا على قدح يتناوله قبل الاكل تنبيهاً لشهوة الطعام وتفكيهاً للنفس ، غير ان هذه الفئة قلّما تأمن تجاوز حد الاعتدال في الشرب، فيؤول بها الامر الى ما لا تحمد عقباه

وبديهيٌّ ان السكّير لو عرف ما تُنزله به المسكرات من المحن قبل الاقدام على شربها ، لنفرت منها نفسه كما تنفر من السمّ الزّعاف . كيف لا وهي توهن جسده ، وتُضعف بصره ، وتُطفئ شعلة ذهنـه ، وتجعله شرس الطباع خائر العزيمة فاتر الهمّة بل تفسد في الجملة دينه ودنيـاه ، وتُعرّض اسرته لاشدّ النوازل وافتك الآفات . واذا كنت في ريب من ذلك فانظر اليـه وهو على مائدة الشراب متلجلجَ اللسان محمرّ العينين ميّاد الرأس يكاد يُغشى عليـه، وكثيراً ما يتقيأ ما شربه حتى تتقزّز العين من مرآه ، فاذا حُمل الى بيته أوسع أسرته سباباً وشتماً وتجديفاً ، وربما انهال عليها بالضرب ، فتأملوا في سوء حاله وحال أُسرته الشقيّة به

على ان السكير يكون في الغالب قصير الحياة ، يُدركه العجز في كهولته وهو معرّض لعلل موبقة اهمّها تصلّب الشرايين وما يتفرّع عنه من الامراض القلبية والرئويّة . ولو لم يكن للمسكرات غير هذه الاضرار لكان التحرّز من شربها فرضاً على من فيه مسكة من العقل ، ولكنها تتطرّق مضارّها الى النفس والاخلاق فتعمي البصيرة وتُفسد حكمها ، وتضرب سدّاً بينهـا وبين المدركات ، وتتناول الذاكرة فتمحو من صفحاتها محفوظاتها السالفة وتذكاراتها الغابرة ، وتُعجزها عن ادخار ما تريد ادّخاره من المعقولات والمنقولات . ثم انها تجعل في الطبـاع خشونة وشكاسة ، فيغضب السكير ويعربد من لا شيء ، ويسمعك من احاديث البطولة والحماسة ما يُضحك الثكلى ، وكثيراً ما يسلق

ندمائه بقوارص كلامه ولواذع لسانه ، ولا سيا اذا خالفوه في رأيه . ومما يزيد في بلائه ان ضرر هذه العادة غير مقصور على السكير وحده بل ينتقل الى ذريته فينشأ اولاده وحفدته بلهاء العقول مهازيل الاجسام ، سيئي الاخلاق ، ضعفاء الارادة والحافظة ، مناخيب جبناء ، من اهل الاهواء ، معرضين للسل الرئوي ، ويكونون في الغالب سكيرين لان السكير لا يلد الا سكيراً كما انه لا ينجب وان كان نجيباً

قلنا وبعد ان رأيت ما رأيت من عواقب المسكرات الوخيمة فلا تعجب اذا اتفق الدين والشرع على تحريم معاقرتها والافراط من شربها ، اذ تقوض اركان المجتمع ، وتفصم عرى الوئام بين اعضاء الاسرة ، وتفسد الاخلاق ، وتذيب الاجسام ، وتضعف الاذهان ، وتتلف النسل ، وتثير بركان الشهوات ، وتحمل على ارتكاب المعاصي والمنكرات . وهل من داء ادوأ من هذا الداء الدوي ، وهل من جناية افظع من جناية الاباء اذا ادمنوا شرب المسكرات وانزلوا بنفوسهم ونفوس بنيهم كل هذه البلايا ، الا فليتقوا الله في فلذات اكبادهم ، والا كانوا اقسى من الضواري واصلب من الجلامد . وما اشد ما يكون عقابهم يوم يناقشون الحساب امام منبر القضاء . وما يكون مقامهم عند ابنائهم يوم يعلم هؤلاء ان العلل التي حلت بهم انما ورثوها من والديهم السكارى

الشرف

« للشيخ محمد عبده »

الشرف كلمة يهتف بها اقوام من الناس إلّا انّ اكثرهم عن حقيقة معناها غافلون

فئة ترى الشرف في تشييد القصور والتعالي في البنيان ، وزخرفة الحوائط والجدران ، ووفرة الخدم والحشم ، واقتناء الجياد وركوب العربات . وفئة اخرى تتوهم ان الشرف في لبس الفاخر من الثياب ، والتزين بألوان الالبسة

وانواعها ، والتحلي بالجواهر الثمينة ، مرصعة بالاحجار الكريمة . وفئة تتخيل الشرف في الالقاب والرتب كالبك والباشا ، او في الاوسمة المعروفة بالنياشين . حتى انك ترى الرجل يسلب مال ابيه ، وينهب ثروة اقاربه وذويه ، او بني ملته ومواطنيه ليشيد بما يصيب من السحت قصراً ، ويرفع ويزخرف بيتاً ، ويقيم له حراساً من المماليك ، ويظن انه نال بذلك مجداً ابدياً ، وفخاراً سرمدياً . وتجد الآخر يذهب في الكسب أشنع مما يذهب في الاول ليكتسي برفيع الثياب ويتزين باجمل الحلي ويتوهم انه بلغ بذلك درجة من الرفعة لا يدانى فيها . ومنهم ثالث يسهر ليله ويقطع نهاره بالفكر في وسيلة ينال بها لقباً من تلك الالقاب . وسواء عنده الوسائل يطلبها اياً كان نوعها وان افضت الى خراب بلاده ، او تذليل أمته ، او تمزيق ملته ، وعنده انه رقي الذروة من معنى الشرف

نحن نرى هذه الاوهام قائمة مقام الحقائق في اذهان كثيرين من الناس . ولكن لا نظنها طمست عين الحق فيهم حتى عموا من إدراك خطإهم

ماذا يجد من نفسه المباهي بقصوره ، وولدانه وحوره ؟ ألا يحس من نفسه أنه وان حاز منها أعلى ما يتصوره العقل فذاته التي هي اعز لديه من جميع ما كسب لم تستفد شيئاً من الكمال ؟ ماذا يشعر به المفاخر بحليه ولباسه اذا تجرد منه وخلا بنفسه ان لم يكن لذاته حلية من الفضيلة وزينة من الكمال ؟ ماذا يتصور الزاهي برتبته المعجب بوسامه ان لم يكن قبل وسمته او الصعود لرتبته على حال تجل ، او كمال يبجل ؟

نعم لهذه الالقاب الشريفة شأن يرتفع به النظر اذ سبق بعمل يعترف عموم العالم بشرفه وكان اللقب دليلاً عليه ، ومشيراً اليه

خدع قوم بالاحلام وغرتهم الاوهام ففرطوا في شؤون بلادهم وباعوا مجدها الشامخ بتلك الاسماء التي لا مسمى لها . ولو أحسوا بما رزئت به اوطانهم وما ألصق من الذل والعار بذراريهم لطرحوا الاوشحة ونبذوا الاوسمة ولبسوا أثواب الحداد وأسرعوا الى طلب الشرف الحقيقي

الشرف حقيقة محدودة كشفتها الشرائع وحددتها عقول الكاملين من البشر . الشرف به . للشخص يحوم عليه بالانظار ، ويتوجه اليه الخواطر والافكار . و ... يروق حسنه في البصائر والابصار

ويشرق ذات المرء عمل ينبه طالبه يكون له أثر حسن في أمته او بني ملته او النوع الانساني عامة ، كإنقاذ من تهلكة ، او كشف لجهالة ، او تنبيه لسالب حق سلب ، و تذكير بجد سبق ، او إنهاض من عثرة ، او ايقاظ من غفلة او تهذيب اخلاق و تثقيف عقول ، او اعادة قوة ، او انتشال من ضعف

... عملاً من هذه الاعمال ... من هذه الآثار فهو الشريف وان كان يسكن الاكواخ ويلبس الاسمال ويبيت على تراب الفقر . هذه له حلية من عمله ، وزينة من فضله ، و ... من كماله ، وضياء من جده ! . .

عيشة الخلاء

« لاديب اسحق »

لقد سكن الهواء وفتر الماء ووقعت سهام الشمس على الرأس وثقلت وطأة الليل على النفس فما لطلاب الهناء سوى الخلاء وما لاخوان الصفاء غير الفضاء . .

فامحر هواجر الخواطر . وذر مفاسد المحاشد وسر بي بسرب الادب وصحب ارني الادب نلتمس في الجبال نسيماً بليلاً وفي الاودية ظلاً ظليلاً ولا تتبع بنا العربة سارية على عجل بين السهل والجبل فانك ان ادركت اثارها لم تأمن عثارها ولا تجر وراء الفرس يركضه القرمي خبباً فيسحب قوائمه تعباً . فانك لم تجد ثم رفيقاً يكون معك رفيقاً بل انفرد بالخاطر تطلقه اطلاق الجواد بين الربى والوهد

واغتنم نشق نسمات السحر قبل ان تفنى بانفاس البشر

وقبل الصبح قبل انتشار ... النهار وقبل طلوع الغزالة على هودج النار ... من خطرات الريح . وسرح طرف عينيك بجمال

جمال ما بين يديك . فقد نسقت صفوف الاشجار على ضفاف الانهار وتكللت هام الاغصان من لآلئ الندى بتيجان وغرّد العندليب على العود فاذكر بانغام اسحق على العود والهواء يملأ القلوب حياةً وهناء والماء يسيل في الابدان صحة وشفاء

والافق يبسم والطيور صوادحٌ والنهر يرقص والغصون تصفّق

ومن فوق ذلك جبال لبنان تستهزئ بعاديات الزمان لزم رؤوسها الشيب فازدادت به جمالاً فنادى لسان حالها ربِّ زدني كمالاً . فكان في هامها الشتاء وفي عنقها الربيع وفي قلبها الخريف وتحت اقدامها الصيف والبحر من وراء ذلك يحدجها بعينه الزرقاء فترده صخورها الصماء فيعود راغياً وجداً مزبداً حقداً يدفع سابق موجه اللاحق انكساراً كما انهزم الجيش فارتدت طلائعه السابقة فراراً

فتلك هي الحياة لا ما انفقت في الطلب وما صرفت في التعب بين مداجٍ تدنيه وتخشاه . ومفاجٍ تخاف غضبه ولا تأمن رضاه . والفرِ رأى اللوم راعه . وسكنٍ اذا اودعته القلب اضاعه . وبين ذلك قالك وانقباض وصدّ واعراض ودلال وهجر . وملال وغدر . وصحبة بالموادعة ووفاء بالمدافعة وجفاء لا صلة بينها وبين الضمائر . والسنة لا علاقة لها مع السرائر . وعيون لا تشف عن القلوب . واخوان فيما لا يمس الجيوب . ودعاء واجلال واعظام . ورياء واكرام واحتشام

ولقاء الانام عذبٌ ولكن كدرته مؤونة الاحتشام

فاغنم هذه الاويقات قبل انهدام اللذات فالزمان يومان ماض لا يرد . وحاضر لا يعلم له غد . فاذكر امسك الذي فات . ووات يومك قبل الفوات

وداع الشتاء ولقاء الربيع

« له ايضاً »

غاب عنا الشتاء والغائب حقيق بالكرامة فما نذكر مطره ووحوله ولا نوءه وسيوله ولا كثافة غيومهِ ولا احتجاب نجومه . ولا ظلمة لياليه ولا التزام المنزل فيه . وانما نذكر طيب المنام ومروءة الطعام ولذة السهر وحلاوة السمر . وصفاء

الاذهان ونشاط الابدان والتآم الاحباء وانقطاع البغضاء وان الساعي فيه لا يحرق العرق جبينه ولا يكحل الغبار عيونه ولا تصهر الشمس رأسه ولا يضيق الحرّ انفاسه . فاذا جلس فلا يؤذيه الهواء ، ولا تتراخى منه الاحشاء ، ولا يتولاه الملال ، ولا يعتريه الكلال . واذا نام فلا يحوم الذباب عليه ولا يتداعى البعوض اليه . ولا يصيبه من الحرّ أرق ، ولا تخبث منه ريح العرق . ولا تؤلمه بثور الحرارة ، ولا يضرم الاكال في بدنه ناره . بل يغمض على الراحة جفنيه ، وينام الليل ملء عينيه

فسلامٌ على الشتاء من راحل . اغرقنا طوفان دمع السحاب في توديعه وانقذنا فلك صحو السماء في تشييعه . واهلاً بالربيع من قادم تبتسم لقدومه الازهار . وتغرد للقائه الاطيار . وتميل فرحاً به قدود الاغصان . فيكلل هامها من نداه بتيجان . فقد انجلت منه ديباجة السماء . ورقت به حاشية الهواء . فنمنم بُرُودَ الحدائق . واحكم تدبيج الشقائق . وزين حلة الارض . بحلية النبات الغض . فاختالت الغصون من الورق والاثمار . بابهى من الزبرجد والنضار .

ومرحباً بطلائع صبح الآمال . في مطالع نجح الاعمال . وبشائر حسن المآل . في اشائر صلاح الحال . ونضرة زهر المنى . في خضرة روض الرجاء . فهذا هو الربيع . بمعناه البديع . فانشده قول البهاء . في لقائه ووداع الشتاء

ايا راحلاً عني رحلت معظماً ويا نازلاً عندي نزلت مكرماً

النجاح والفشل

« لسلامة موسى »

من الناس من يطرد بهم النجاح وينساق لهم الزمان فيخرجون من فوز الى فوز . يبتدأون الحياة في المدارس فيكونون في مقدمة الناجحين واذا انتهوا من التحصيل تمهد لهم طريق النجاح فكأن الدهر يستثنيهم من صروفه وينحي عنهم عقباته ويحوطهم بطلسم يضمن لهم الفوز والتبريز

ومن الناس من يرافقهم الفشل وهم بعد في طور الطفولة فاذا صاروا صبياناً والتحقوا بالمدارس صاروا في اذناب الفرق واذا خرجوا الى ميدان الحياة ادركهم نحسهم فطريقهم مبثوث بالعقبات واعراضهم معكوسة عليهم - فهم في فشل مستمر لا يزايلهم ولا يجدون منه مفراً

وقد يكون الناجح والخائب كلاهما حاصلاً على مقدار متساو من الكفاية ، ولكن احدهما مجدود والآخر مكدود . فما هي علة هذا الاختلاف ؟

ترجع علة ذلك الى جملة حوادث صغيرة تحدث لكل منهما تجعل احدهما متفائلاً واثقاً بنفسه مؤملاً النجاح في جميع ما يعمل، بينما يكون قد وقر في ذهن الآخر الفشل الاكيد في جميع ما يتناوله من الاعمال فهو يتوهم الخيبة حتى يخيب

والوهم يتمثل في الذهن حقيقة واقعة يزودها الخيال بجميع ما ينقصها من الحواشي والزوائد التي تجسمها في الذهن فاذا توهم احدنا الفشل في عمل، تحتم جميع الظروف المحيطة به بنجاحه ، فان الوهم السابق ينتهي بفشل اكيد

ولزيادة الايضاح نضرب مثلاً بسيطاً : فاذا وضع احدنا على الارض قائمة مستطيلة من الخشب فليس فينا من يجد اقل مشقة في السير عليها دون ان يعثر

او يرتبك . ولكن اذا وضعت هذه القائمة نفسها فوق هوة عميقة بـين جدارين فقليل منا من يجرؤ على السير عليها . وذلك لان الوهم بالسقوط يتسلط على اذهاننا وتتحرك عضلاتنا بما ينتهي بنا الى السقوط .

وكذا الحال في سائر اعمالنا . اذا شرعنا في عمل ما توهمنا فيه الفشل فنحن لا شك خائبون . اما اذا تفاءلنا وانبسطنا له واقبلنا عليه واثقين بالنجاح فالاغلب والارجح اننا ننجح فيه اذا كان النجاح فيه في حدود الممكنات

ومن هنا نعرف علة النجاح المطرد عند بعض الناس كما نعرف علة السقوط المتوالي عند البعض الآخر . فالفوز الاول يملأ النفس ثقةً فيبوّئ الخيال صاحبه على النجح في حين تنكسر نفس المهزوم فيعتقد انه في كل وقت فوق هوة عميقة سوف يتردى فيها فيأتيه الشار من حيث يحتسب ولا يحتسب

وغرضنا من جميع مـا قدمناه ان نستخرج عبرة نعتبر بها في الامتحانات العمومية التي تعقد كل عـام للمدارس . فقد يقضي رسوب التلميذ المتوالي في الامتحانات الى ان يعتقد الخيبة في نفسه مدى حياته فلا يتناول عملًا او مسيرًا جليلًا او حقيرًا الا وهو معتقد الفشل متوهم الخيبة وينتهي به وهمه الى خيبة حقيقية وفشل اكيد

وكثيرًا ما تدعو غيرة الابوين بالمبالغة في تعنيف ابنهما والنعي عليه بضرب الامثال له بنجاح فلان وتخلفه عن قرنائه وما الى ذلك الى ان يعتقد حطة نفسه وخمول ذهنه فيعود هذا عليه باسوإ اثر في حياته المقبلة ولا ينفك يخرج من فشل الى فشل

والخلاصة ان معاملة الطفل او الصبيّ ينبغي ان ترمي الى ان يتوهم في نفسه القدرة لا العجز والسمو لا الحطّة

فهرس الكتاب

صفحة	
	الباب الاول
	في العلم والادب
٥	شرف العقل
٧	شرف العلم
٩	الحض على العلم
١٠	فنون العلم
١٢	اجلال العلماء
١٤	الادب
١٥	تأديب الصغير
١٧	ادب المجالسة
١٨	ادب الملبوس
١٩	آداب المضيف والضيف
	الباب الثاني
	في الفضائل والنقائص
٢١	التواضع والكبر
٢٣	الصدق والكذب
٢٤	النميمة والغيبة والسعاية
٢٦	الحسد
٢٨	شكر النعمة وكفران الجميل
٢٩	الغدر والمكر
٣١	الغضب
٣٢	الحلم والعفو
٣٤	في محاسن الاخلاق ومساوئها
٣٦	الحياء
٣٧	القناعة
٣٨	المشورة
٣٩	كتمان السر
٤١	المودة والاخوة
٤٢	في الاخوان العديمي الوفاء
٤٤	فضل الصداقة على القرابة
٤٥	معاتبة الصديق
٤٦	البشاشة والتحبب الى الناس
٤٨	الوفاء بالوعد واستنجازه
٤٩	الكرم والبخل
٥١	بر الوالدين وذم العقوق
٥٢	شفقة الوالدين
٥٥	العافية والصحة

صفحة	
٥٦	الحنين الى الوطن
٥٨	مدح السفر
٥٩	الصبر والتأسي والجزع
٦١	الصمت وحفظ اللسان
٦٣	الضحك والمزاح
٦٤	العمل وعواقب الفراغ
	الباب الثالث
٦٥	في الفكاهات
	الباب الرابع
٨١	في المطائف
	الباب الخامس
١٠١	في الحكايات
	الباب السادس
١٢٠	في الشعر القديم

الشعر المصري

١٢٣	اللغة العربية على منبر الخطابة — للخوري بطرس البستاني
١٢٥	التربية والامهات — للرصافي
١٢٧	ذم القمار — للشيخ نجيب الحداد
١٢٩	بلسان فتاة عمياء — لولي الدين يكن
١٢٩	رثاء علي ابي الفتوح — لحافظ ابراهيم
١٣٣	رثاء المطران يوسف ابي نجم — للخوري بطرس البستاني
١٣٤	النجوم — لالياس فياض
١٣٥	تحية حافظ للبنان وسوريا — لحافظ ابراهيم
١٣٨	شكوى الزمان — لولي الدين
١٤٠	الرائد — لحليم دموس
١٤٢	نثر الخريف — ليوسف غصوب
١٤٤	ابن الليل — لايليا ابي ماضي
١٤٦	يا ثلج — لرشيد ايوب

صفحة

١٤٧ الولادة الجديدة — للشاعر القروي

١٤٨ الاحسان — لالياس فياض

١٥٠ في سبيل الفن — لابراهيم الزهاوي

١٥٣ تهنئة الشيخ عبدالله البستاني بيوبيله — لخليل المطران

١٥٥ فقير يستعطي — لبطرس البستاني

١٥٦ انا ان مت — لنذره حداد

الباب السابع

١٥٧ في اللغة

الباب الثامن

في المقالات

١٦٧ المدارس والدروس — للشيخ ابرهيم اليازجي

١٧١ العادة 〃 〃 〃

١٧٦ العفو والحلم — للخوري بطرس البستاني

١٨٠ الخريف — لجبران خليل جبران

١٨٢ الصياد — لمصطفى لطفي المنفلوطي

١٨٦ الانتحار 〃 〃 〃

١٨٩ عبرة الدهر 〃 〃 〃

١٩٤ ايهما الافضل في ترقية الامم — ليوسف العيسى

٢٠٠ الكهول والشباب — لولي الدين يكن

٢٠٤ مفاخر المرأة في هذه الحرب — لامين البستاني

٢٠٦ واترلو الالمانية

٢١٠ الكتب — لعباس محمود العقاد

صفحة

صفحة	
٢١٢	قوة الارادة — لعباس محمود العقاد
٢١٧	المستقبل لله — للشيخ نجيب الحداد
٢٢٢	الارض والكائنات 〃 〃
٢٢٤	مثل الاسد والثعلب 〃 〃
٢٢٥	اقسام المهنة — للخوري بطرس البستاني
٢٢٨	مضار المسكرات 〃 〃 〃
٢٣٠	الشرف — للشيخ محمد عبده
٢٣٢	عيشة الخلاء — لاديب اسحق
٢٣٣	وداع الشتاء ولقاء الربيع — له ايضاً
٢٣٥	النجاح والفشل — لسلامه موسى